اللسانيات الوظيفية النظامية
الوافد الغربي و النحو العربي



الدكتور
إبراهيم عبد التواب حمزة

اللسانيات الوظيفية النظامية

الوافد الغربي والنحو العربي

د. إبراهيم عبد التواب حمزة

إهداء

إلى من كان دومًا سندًا وظهيرًا لي،

ولم تتزعزع يومًا ثقته بي،

إليك والدي الحبيب

اللهم أتمم عليه نعمتك وعافيتك.



شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر وصادق العرفان بالجميل للأستاذة الدكتورة وفاء كامل لما تفضلت به من علمها ووقتها، ولرعايتها وإرشادها لي، جزاها الله عني كل خير، كما أتوجه بوافر الشكر للأستاذين الجليلين الدكتور محمود فهمي حجازي والدكتور محمد العبد اللذين تفضلا بمناقشة رسالتي للماجستير التي هي أصل هذا الكتاب.

وأتقدم بكل الشكر والتقدير لأساتذتي الأجلاء بقسم اللغة العربية على أيديهم تعلمت كيف أفكر وأنقد، ومنهم من أعارني كتبه أو استعار لي كتبًا، ومنهم من ناقشني في أفكاري أو اقترح عليّ أخرى، وشكر خاص للأساتذة الدكتور عبد الحكيم راضي، والدكتور عماد عبد اللطيف، والدكتورة عزة شبل، والدكتور عبد الرحمن الشرقاوي، والدكتورة سلوى كامل، والدكتور محمد فتحي عبد العليم. لهم جميعًا عليّ الفضل، ولهم مني كل تقدير وعرفان.

وكل شكري وخالص مودتي لعائلتي: والدي ووالدتي وأخواتي وإخوتي؛ فقد حفّتني محبتهم واهتمامهم، وحثّتني مساندتهم ودعمهم، ولزوجتي الحبيبة الزميلة سحر محمد فتحي التي أدين لها بهذا العمل؛ فقد ضحّت بحبٍّ وصبرت عن رضًا؛ وكانت نعم الرفيق والمعين. والشكر موصول إلى والدتها الغالية التي كثيرًا ما تحملت عنا أعباء الحياة.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

قائمة المحتويات

قائمة الأشكال

قائمة الجداول

مصطلحات أساسية

الوظيفية Functionalism

اتجاه في علم اللغة الحديث يركز على الجانب الوظيفي للغة، ويرى أنه لا يمكن النظر إلى اللغة من منظور تركيبي مجردةً عن سياقها الاجتماعي والثقافي؛ فاللغة في الأساس ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمنظومة الاجتماعية والثقافية وتؤثر فيها، وتشترك كل النظريات اللغوية الوظيفية في التركيز على جانب الدلالة، والاستخدام الفعلي للغة، والعوامل البرجماتية التي تؤثر في استخدامها، والسياق ودوره الدلالي[1]. ويعد النموذج النحوي الوظيفي الذي ابتكره هاليداي من نظريات هذا الاتجاه.

النظرية النظامية Systemic theory

هي النظرية التي يرتكز عليها نحو هاليداي، وهي مؤسسة على نظرية "النظام ــــ البنية" عند فيرث، وتستمد مفاهيم أكثر تجريدًا من هيلمسليف، وتدين بكثير من الأفكار لمدرسة براغ. وهي نظرية في اللغة بوصفها مصدرًا لصناعة المعنى، فكل نظام من أنظمة اللغة يقدم اختيارًا يتمثل في مجموعة من البدائل الممكنة مثل جملة تقريرية أو استفهامية، مفرد أو جمع .... إلخ، هذه البدائل قد تكون دلالية أو معجمية أو صوتية، لكنها جميعًا اختيارات من معانٍ[2]. البدائل التي تناولتها الدراسة نحوية ومعجمية.

---

[1] ميشيل ماكارثي، قضايا علم اللغة التطبيقي، ترجمة عبد الجواد توفيق محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م. ص ٢٣١.

[2] Halliday, M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold. P. xxvii.

وظائف اللغة Language functions

يرى هاليداي أن التنظيم الداخلي للغة هو انعكاس للوظائف التي تؤديها، وأن للغة ثلاث وظائف: ١- وظيفة تصورية: لترتيب عالم الكاتب أو المتحدث الحقيقي أو المتخيل(*)، وهذا يعنى أن اللغة تشير إلى أشخاص، وأشياء، وأفعال، وأحداث، وحالات حقيقية أو خيالية. ٢- وظيفة بين- شخصية: ترتبط بالعلاقات بين الأشخاص، وهي تقوم بإظهار هذه العلاقات أو إنشائها أو الحفاظ عليها، وتتضمن أساليب الخطاب، ووظائف التحدث. ٣- وظيفة نصية: لإنتاج نصوص مكتوبة أو شفهية متسقة داخليا ومتناسبة مع الموقف الذي تستخدم فيه[١].

(*) هكذا ورد بالنقل، وأظن أن المقصود (لترتيب العالم الحقيقي أو المتخيل للكاتب أو المتحدث).

[١] جاك سي. ريتشاردز، وجون بلات، وهايدي بلات، وسي. إن. كاندلين، معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، ترجمة: محمود فهمي حجازي ورشدي طعيمة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٨٥.

مقدمة الدراسة

بزغت الأنحاء المعاصرة، شكليُّها ووظيفيُّها، في سياق علمي مغاير، فلم تعد مجرد قائمة بالقواعد "set of rules" تحدد ما يصح وما لا يصح من البنى التركيبية، بل صارت النماذج النحوية مرتكزة على نظريات لغوية واضحة المعالم، ملتحمة بها، تمهد لها وتتجلى في مقولاتها وتصنيفاتها وإجراءاتها. وتطورت بعض تلك الأنحاء، كالنحو الوظيفي النظامي، متجاوزةً قضية الصحة التركيبية إلى غايات أبعد، هي تحليل النصوص وتفسيرها وتقييمها.

في الوقت نفسه، ربما ما تزال فكرة الأنحاء"grammars" غائمة بالنسبة إلى عقل القارئ العربي، مثلما تبدو كلمة "الأنحاء" نفسها غريبة على الأذن العربية، التي عهدت نحوًا واحدًا لا يتعدد، وإنْ تعددت مدارسه أو اتجاهاته. في المقابل يجد الدارس للسانيات الغربية بعض الاختلافات الجذرية، والقطبية أحيانًا، بين بعض الأنحاء الغربية، كتلك التي بين الأنحاء الشكلية والوظيفية[١]. هذه الاختلافات هي تجلٍّ لاختلافات أعمق تتعلق بالنظريات اللغوية الكامنة وراء النماذج النحوية، بأسئلتها الأساسية حول الطبيعة الجوهرية للغة نفسها: أصوات هي أم معرفة أم سلوك اجتماعي؟ أتُكتسب أم تُتعلم، وكيف؟ وما الغاية من دراستها؟ وما وظائفها؟ أَمستقلٌ عِلمها "علم اللغة" بذاته كما يرى دي سوسير، أم فرع عن علم النفس كما يقول تشومسكي، أم فرع عن علم الاجتماع حسب ما يرى هاليداي؟ ... وغير ذلك كثير من الأسئلة التي لبعضها صدى وتأثير مباشر في تشكيل الأنحاء المعاصرة. لعل فيما سبق إجابة عن سؤال ضمني مهم، وهو: لماذا الانطلاق من اللسانيات إلى النحو؟ بعبارة أخرى: لماذا لم نبدأ مباشرة في النحو

[١] راجع مقارنة تفصيلية بينهما في القسم (١-١٠ بين الوظيفيين والشكليين) من هذه الدراسة

على طريقة نحاتنا القدماء، فنستهل كلامنا ـ مثلا ـ بالحديث عن "أقسام الكلمة" على طريقة الألفية، أو عن "حروف المعاني" على نهج ابن هشام في المغني؟

النحو العربي منجز بشري (محاولة لوصف البنية التركيبية للعربية في زمن ما وتفسيرها[١])، ليس له أي قداسة، وليس هناك ما يسمى بـ "قرآن النحو"، (تلك الاستعارة التي كان لها أسوأ الأثر)، وليس في إعادة النظر فيه ما يدعو للاستحياء خلافًا للمازنيّ. هو جهد بشري محمود، محكوم بشروط إنتاجه: الهدف الذي وُضع من أجله، وما حدده هو موضوعًا لدراسته، والتصورات النظرية التي صدر عنها، والمنهج الذي سار عليه...إلخ. ومن ثم يبدو من المشروع دراسة النحو لأهداف أخرى، بمناهج مختلفة، انطلاقًا من أسس أو مبادئ مختلفة عن نظيرتها التي صدر عنها النحو العربي. فما النحو العربي إلا أحد الأنحاء الكثيرة الممكنة للغة العربية التي حوصرت وحُصرت في نحو واحد، بغض النظر عن أي حكم قيميّ عليه ـ سلبيا كان أم إيجابيا.

تتناول هذه الدراسة الجملة في النحو العربي والنحو الوظيفي عند هاليداي، من خلال المنهج التقابلي، راصدةً أوجه الاتفاق والافتراق بينهما. وتنتقد المقولات والتفسيرات الشكلية التي أغفلت المعنى أو الوظيفة، وتُقدِّم بدائل مفهومية وتفسيرية جديدة تعتمد على المعنى. وقد عملت الدراسة على تطويع النحو الوظيفي عند هاليداي؛ ليصلح أساسًا لمنظور آخر في النحو العربي يضطلع بتحليل النصوص وتفسيرها، من خلال تعديل بعض المفاهيم وسك المصطلحات اللازمة وإعداد تصنيفات دلالية جديدة.

---

[١] راجع في القسم (١-٢-٢) مفهوم النحو الذي تقترحه الدراسة.

يمثل هذا الكتاب[1] الحلقة الأولى من مشروع علمي يهدف إلى إعادة قراءة النحو العربي، في ضوء النموذج النحوي الوظيفي الذي قدمه مايكل هاليداي، مع الوعي بالخصوصية التركيبية للعربية. ولهذا المشروع أربع حلقات هي:

١- عرض الاتجاه الوظيفي النظامي في اللسانيات المعاصرة، ونقد بعض جوانبه، وتأصيل بعض أطروحاته، ودراسة الجملة البسيطة دراسة مقارِنة بين مسلكه في معالجتها، ومسلك النحو العربي، (وهذا موضوع هذا الكتاب)

٢- دراسة الجملة المركبة من المنظور الوظيفي النظامي

٣- تأسيس نحو وظيفي[2] تعليمي

٤- استعمال النحو الوظيفي العربي في تحليل النصوص وتقييمها، على اختلاف أنواعها (هذه الحلقة قد أنجزتُ بعضها في رسالتي للدكتوراه)[3].

ولهذا المشروع غايتان كُبريان: أولاهما تعليمية تتعلق بتيسير النحو على أساس نظرية لغوية جديدة؛ ليقوم بالوظيفة التي وُضع من أجلها، أعني ضبط الألسنة والأقلام وصونها

---

[1] أصل هذا الكتاب دراسة قدمت إلى قسم اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب، جامعة القاهرة؛ للحصول على درجة الماجستير بعنوان "الجملة البسيطة بين النحو العربي والنحو الوظيفي عند هاليداي" بإشراف أ. د. وفاء كامل. وقد نالت الدرجة بتقدير ممتاز وبالتوصية بالطبع والتبادل بين الجامعات. وقد فضَّلت الإبقاء على هيكلها الخاص بتنظيم الرسائل في عناصر معلومة، مثل الدراسات السابقة، وأهداف الدراسة...إلخ دون تعديل إلى هيكل تنظيم الكتب؛ لعل الباحثين يجدون فائدة في هيكلها ذاته.

[2] راجع المفاهيم المختلفة لكلمة "وظيفة" في القسم (١-٨ النحو والوظيفة: هل النحو العربي نحو وظيفي؟) والتي يترتب عليها بالضرورة اختلاف مفهوم "النحو الوظيفي".

[3] استعملت بعض مفاهيم النحو الوظيفي وإجراءاته في تحليل نصوص مختلفة النوع، بعضها سياسي (خطب رئاسية)، واقتصادي (تقارير صندوق النقد الدولي) وشعري (قصائد لمحمود حسن إسماعيل). راجع رسالتي للدكتوراه بعنوان "الاستعارة في البلاغة العربية والاستعارة النحوية عند هاليداي: دراسة تقابلية وتطبيقية على أنواع نصية متنوعة" بإشراف أ.د. وفاء كامل. قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٢٠م.

عن اللحن[1]، و"تحسين" التواصل اللغوي فهمًا وإفهامًا. ومن الغني عن الاستدلال أن تلك الغاية التعليمية لم تتحقق يومًا على الوجه المنشود، وأن الصعوبة هي توأم النحو، لازمته جيلا بعد جيل منذ نشأته؛ وهذا ما يدفع العقل إلى ترجيح أن الصعوبة راجعة إلى "النحو" لا إلى متعلميه، فلا يُعقل أن يكون من يجيدون نحو لغةٍ ـ أيًّا كانت ـ هم قلة من أبنائها لا يُذكر عددهم. فلو نَقَل لنا التاريخ عبر هذه القرون المتتابعة أن جيلا واحدًا عُرف عن معظم أبنائه أنهم أجادوا نحو العربية بعد أن تعلموه ـ وتلك هي الحالة الطبيعية لا ما نحن فيها ـ لكان هذا الجيل حجة قاطعة على سائر الأجيال. أما الغاية الثانية فهي إعداد إطار تحليل نحوي موجه لتحليل النصوص وتفسيرها وتقييمها.

هذا الكتاب محاولة جديدة، على أسس مختلفة، تشفع الغاية القديمة للنحو العربي بهذه الغاية الجديدة. ولكل محاولة جديدة موقف مما سبقها، أما الموقف من النحاة القدماء، فهو موقف إجلال وحب، مبني على تقدير عملهم وفضلهم؛ فهم من حملوا ورووا ونقلوا، ولولا عملهم، لما وجدنا كثيرا من مادة الدراسة، ولهم فضل السبق وفضل الإبداع وإثارة الفكرة الأولى، وإن خالفناها. وجهدهم في خدمة العربية عزّ نظيره في خدمة اللغات الأخرى. وما تعيبه هذه الدراسة عليهم هو أمران: الأول جورهم على المعنى متى عارض اللفظ، وهو يعارضه في بعض المواضع لا محالة، في العربية وفي الإنجليزية وفي كثير غيرهما من اللغات. الأمر الثاني، الأهم، هو إقامة الأبواب النحوية عامة على الأسس الشكلية لا الدلالية[2]. وهذان الأمران مفهومان في ضوء الغاية التي

---

[1] انظر تعليقي على كتابي "النحو الوظيفي" لعبد العليم إبراهيم، وعاطف فاضل، في الدراسات السابقة في التمهيد.

[2] المسألة أوضح ما تكون في باب الفاعل، فالفاعل في النحو العربي فاعل شكلي لا علاقة له بالضرورة بالمعنى أو الواقع الخارجي.

وضعوها هم للنحو وهي إقامة الشكل ، فلا عجب أن انتصروا له، ولكلٍّ وجهة هو موليها.

سأعرض في التمهيد التالي أمثلة قليلة لكنها بارزة وكاشفة عن بعض المشكلات الجوهرية في النحو العربي، ولا أقصد هنا حذف أبواب أو تضييقها، أو ضمها...أو غير ذلك من حيل التيسير والتجديد، وإنما أقصد هنا الأسس: أعمدة البناء التي لا تمسها يد الإصلاح، مثل مخالفة بعضُ الأعاريب الحسَّ اللغوي والمنطقي، وإهمال بعضها للمعنى على حساب السمات النحوية الشكلية. وسأعرض بالتفصيل أهمية الدراسة وأهدافها وإشكاليتها ومنهجها والدراسات السابقة المتقاطعة أو المتحاورة معها، وسأحاول خلال القسم التالي الجواب عن السؤال الضمني الثاني، وهو: لماذا نختار اللسانيات الوظيفية النظامية خاصةً؟

تمهيد

موضوع هذه الدراسة هو الجملة في النحو العربي والنحو الوظيفي عند هاليداي، وقد أُعدت كثير من الدراسات النحوية العربية عن الجملة، لكنها على وفرتها وتنوعها تشترك في أنها تدرس الجملة من زاوية واحدة: زاوية الإسناد. ما يُميّز هذه الدراسة هو أنها تدرس الجملة من ثلاث زوايا تركيبية مختلفة ترتبط بوظائف اللغة من جهة، وترتكز على أسس منهجية جديدة تختلف عن تلك التي قام عليها النحو العربي، من جهة أخرى. هذه الأسس مستقاة من نحو هاليداي الوظيفي، وهي: (أ) الالتزام بالاستعمال الفعلي للغة (ب) والانطلاق من المعنى والاحتكام إليه، (جـ) والتركيز على الوظيفة (د) والاعتماد على مفهوم الاختيار.

تقصد الدراسة بـ"الالتزام بالاستعمال الفعلي للغة" أن يدرس النحاة اللغةَ كما يستعملها الناس، وهذا الالتزام يعني رفض مقولات نحوية مثل: "محذوف وجوبًا" و"مستتر وجوبًا" و"مضمر وجوبًا"؛ لأن الوجوب هنا معناه عند النحاة العرب هو عدم الظهور في الاستعمال مطلقًا. ومذهبنا أن ما لا وجود له في الاستعمال ينبغي ألا يكون له وجود في النحو الواصف والمفسر للاستعمال.

قد يقول قائل إن النحو العربي ينطلق من المعنى ويحتكم إليه، لكن الدراسة الفاحصة تكشف عن أنه ينطلق من التركيب ويحتكم إلى المعايير الشكلية كالحالة الإعرابية والاسمية والمصدرية والاشتقاق والمطابقة...إلخ، ويستعين بعد ذلك بالمعنى. وهناك كثير من الشواهد والأدلة التي تؤيد تقديم الشكل على المعنى والوظيفة، إليك أربعة نماذج إعرابية منها، وستقابلك في هذه الدراسة نماذج أخرى كثيرة:

١- يقول ابن هشام عن جملة: (جاء زيد والشمس طالعة): مما يُشكِل إعرابهم جملة (والشمس طالعة) حالًا؛ مع أنها لا تنحل إلى مفرد ولا تبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا

هي حال مؤكدة. ويقول الزمخشري: هي حال حكمها حكم الظروف. من الواضح هنا أنهما يدركان فساد الإعراب وانقطاع صلته بالمعنى، لكن لا ابن هشام ولا الزمخشري ولا غيرهما يقول إنها ظرف للزمان؛ لأن النحاة قد ألزموا أنفسهم بأن الظرف لا يكون إلا اسمًا منصوبًا، فالظرف اسم منصوب متضمن معنى "في" باطراد دال على زمان أو مكان. لكننا إن استخدمنا "في" صراحة، فقلنا: (جاء محمد في الصباح) فلن تُعَدَّ شبه الجملة (في الصباح) ظرفًا في اصطلاحهم؛ بسبب الشرط الشكلي السابق الذي فرضوه على أنفسهم، وهذا يكشف من جهة أخرى عن التناقض، وعن غياب الاتساق المنهجي؛ لماذا ارتضى النحويون أن يكون "الحال" مفردًا وجملة وشبه جملة، ولم يرتضوا هذا في الظرف والمفعول لأجله وغيرهما من مقيدات الإسناد؟[1]

٢- إنْ أعرب طالبٌ كلمة (الناس) في عبارة: (يا أيها الناس) منادى، معتمدًا على حسه العقلي واللغوي، فسيقال له: أخطأت، ينبغي أن تحفظ عن ظهر قلب كزملائك أن الاسم المحلى بـ (ال) الواقع بعد (يا أيها) يعرب نعتًا، وإلا سترسب في الامتحان. في الحقيقة النحاة العرب مختلفون في إعرابها، جمهورهم يعربها نعتًا، وبعضهم يعربها بدلًا أو خبرًا لمحذوف، لكنهم متفقون على أنها ليست منادى! هنا مشكلتان: الأولى أننا إن جارينا النحاة ـ مغفلين أمر الوظيفة وأمر المعنى معهم ـ فسنضطر إلى أن نستنّ قاعدة تقول: النعت في نحو العربية اختياري إلا في هذا الأسلوب[2]، فهو لازم؛ إذ لا يصح أن تقتصر على أداة النداء والمنادى "المزعوم"، فتقول: (يا أيها، انزلْ) كما تقول: (يا محمد، انزلْ). إن قلنا: (يا محمد الكريم) نكون قد وصفنا (محمدًا) بصفة هي الكرم، وإن قلنا:

---

[1] راجع القسم (٤-١٠-٢) من هذه الدراسة. نظرة عجلى على بابي المفعول فيه والمفعول له ـ على سبيل المثال ـ كفيلة بأن تكشف عن أن كثيرا من الأشكال التركيبية التي تُعبِّر عن معنيي الظرفية والسببية قد استُبعدت من بابيهما؛ لأنها لم تحقق الشروط الشكلية التي وضعها النحاة للبابين.

[2] أظن من الواضح أنه لا يصح الإصرار على إعراب (الناس) نعتًا، والتعليل للزومها بلزوم النعت في نحو (أنت رجل طيب) في خطاب رجل لا صبي ولا شيخ؛ لأن ثمة فروقًا تمنع ذلك القياس.

(يا أيها الناس) نكون قد وصفنا (أيا) بصفة هي...؟! المشكلة الثانية أن (أي) التي يعربونها هي (المنادى) مخالفة في هذا التركيب لحالها في جميع استعمالاتها (استفهامية، موصولة، شرطية، حالية، وصفية)، فهي هنا غير مضافة لشيء يبين معناها، فهي هنا مبهمة لا معنى تامًّا لها حتى يصح نداؤها. وإلامَ تشير كلمة "أي"؟ ما معناها؟ وعلى هذا فالإعراب المقترح، هو (يا) أداة نداء، (أيها) واسطة أو وصلة لنداء المعرّف، (الناس) منادى مرفوع. (وليس في محل نصب متخيل)، وليست (ها) في (أيها) للتنبيه كما يزعمون؛ لأنك تقول للمنتبه والغافل (يا أيها الرجل) على السواء، ولو صح زعمهم، لكان من المفترض أن نجد في كلام العرب (يا أي الرجل، ويا أية المرأة)، لأن النداء يستعمل للمنتبه المقبل عليك، وللغافل عنك. هذه العبارة (يا أيها الناس) هي جزء من آيات قرآنية كثيرة، راجعْ ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى التي تجيدها، فربما تجد أن مقابل كلمة (الناس) هو منادى أيضًا؛ لأن المسألة معنوية عقلية في الأساس، على أية حال هي في أنحاء الإنجليزية والفرنسية والألمانية منادى.

٣- في جملة: (أحاضر الطالبان) يُعرب النحويون (حاضر) مبتدأ، محتكمين إلى المعيار الشكلي وحده ـ وهو هنا المطابقة في العدد بين ركني الجملة ـ ومهملين المعنى؛ فـ(حاضر) محكوم به لا محكوم عليه. لا يمكننا في هذه المسألة وأشباهها مجاراة النحاة في زعمهم أن الإعراب فرع المعنى؛ لأن الإعراب يسير في اتجاه والمعنى يسير في الاتجاه العكسي، ما هو مبتدأ في إعرابهم هو خبر في المعنى؛ إذ هو المسئول عنه والمجهول نسبته للمعرفة (الطالبان) والعكس صحيح، ما هو ساد مسد الخبر هو مبتدأ في المعنى؛ إذ هو المعرفة المحكومة عليها المسئول عن حضورها. هنا مشكل آخر أن إعرابهم يجعل كلمة (الطالبان) فاعلا سادّا مسد الخبر، وهذا تخليط ليس بعده تخليط، لأن الفاعل والخبر من واديين مختلفين، الفاعل مسند إليه ومحكوم عليه ومتحدث عنه، والخبر مسند ومحكوم به وحديث. فلا يمكن لكلمة واحدة أن تجمع الوظيفتين معًا أبدًا!

فالإعراب لا يصح عقلا، ولا يصح في علم المنطق فلا تكون كلمة واحدة هي المحمول والموضوع في قضية واحدة. لاحظْ أن هذه ليست جملة مركبة لا من جهة المعنى ولا من جهة التركيب. أما ما جاء مثل قولهم: (شربي الشاي ساخنًا) حيث تكون (ساخنا) جامعة بين وظيفتي الحال والخبر؛ فالخطب فيه أهون، لأن الخبر والحال من وادٍ واحد، أو كما يقول عبد القاهر الحال خبر بعد خبر.

٤- وظيفة ضمير الشأن هي الإشارة إلى أن ما يليه هو معنى مهم، أو غرض فخم؛ كما في قوله تعالى: (قل هو الله أحد) فالضمير بما فيه من إبهام يثير التطلع إلى ما يزيل إبهامه، فتقديم الضمير ليس إلا تمهيدًا لما بعده[١]. تلك هي وظيفة ضمير الشأن، وهي وظيفة يستحيل أداؤها إن كان الضمير غير مذكور في الجملة، كما أن "المصدر المؤكد لا يجوز حذف عامله؛ لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته والحذف مناف لذلك"[٢] لكنّ النحويين حوَّلوا الضمير إلى أداة احتجاجية لتعليل قواعدهم، جاحدين الواقع اللغوي وناسبين الوهم إلى كلام العرب: يقول ابن مالك:

"وجوِّز الإلغاء لا في الابتدا ... وانو ضمير الشأن أو لام ابتدا

في موهمٍ إلغاء ما تقدما ... والتزم التعليق قبل نفي (ما) [٣]

ويقول أيضًا:

"ومضمر الشأن اسما انو إن وقع ... موهم ما استبان أنه امتنع

---

[١] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٢٠٠٨م. ج١ ص٢٥٠.

[٢] ابن عقيل (عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (-٧٦٩هـ))، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، د.ت. ١٧٥/٢.

[٣] المرجع نفسه ٤٦/٢-٤٧.

يعني أنه إذا ورد من لسان العرب ما ظاهره أنه ولي كان وأخواتها معمول خبرها فأوله على أن في (كان) ضميرًا مستترًا هو ضمير الشأن[1].

الولوج إلى عالم النحو من جهة الشكل يسير؛ لا فرق في الإعراب بين: (حَزِنَ محمدٌ) و(مَرِضَ محمدٌ)، والفعلان لازمان على وزن (فَعِلَ)، لكن المدخل الشكلي لا يمكنه أن يفسر لِمَ يصح أن يُقال: (حُزِنَ) و(هو محزون)، ولا يصح أن يُقال: *(مُرِضَ) و(هو ممروض).

ليس المقصود بالاعتماد على مفهوم الاختيار دمجَ النحو وعلم معاني النحو معًا، وإنْ كان هذا نافعًا. إنما المقصود أن ننظر إلى استعمال اللغة بوصفه اختيارًا من بدائل دلالية تقدمها أنظمة اللغة، التي منها النظام النحوي. متى نبدأ من المعنى ندرك أن ما يُعد واجبًا أو ممتنعًا على مستوى تركيب الجملة ما هو إلا أحد البدائل الممكنة على مستوى نظام اللغة.

النحو العربي يصف الظواهر النحوية ـ كظواهر المطابقة والربط والتقديم والحذف ـ ويُحدِّد أحكامها من حيث الوجوب والجواز والامتناع، لكنه لا يبيِّن وظائفها، تاركًا عَمَلَه لعلم المعاني. والتحليل النحوي العربي لنص من النصوص قاصر عن إدراك خصوصية النص، إن كان النص صحيحًا من الجهة النحوية ـ أي خاليًا من اللحن ـ ومفهومًا معناه، فليس هناك ما يمكن أن يقدمه لنا التحليل سوى إعراب يبين وظائف الكلمات في الجمل فحسب: فعل، فاعل، مفعول به، حال...إلخ، فضلًا عن أن يُقدِّم تفسيرًا وتقييمًا. ولا يبدو التحليل النحوي العربي ثريًّا ومتألقًا، إلا حين يكون النص المحلَّل ثريًّا تركيبيًّا، فيه كلمات تحتمل أوجهًا إعرابية، كالقرآن الكريم أو الشعر.

---

[1] المرجع نفسه ١/٢٨٠-٢٨١.

تبدأ عادةً حركة الدرس أو التحليل النحوي من الشكل، وتُطرح أسئلة تتعلق به، كأن يقال: لمَ نُصب أو رُفع هذا الاسم؟ وما رافعه أو ناصبه؟ أو ما معنى الرفع أو النصب في العربية؟ وتستعين بعد ذلك بالمعنى. أما في النحو الوظيفي، فالانطلاق من المعنى، وتطرح أسئلة تتعلق بتحققاته الشكلية، كأن يقال: كيف تُعبِّر العربية عن الظرفية الزمانية أو السببية أو الفاعلية؟ وما الفرق الدلالي بين التحققات الشكلية لتلك المعاني؟ ولعل الأدق هنا أن نستخدم كلمة "التمثيل" بدلا من "التعبير"؛ لأن النحو الوظيفي يرى اللغة بوصفها نظامًا لتمثيل المعنى وتأويله، لا مجرد قناة أو أنبوبة تُنقل الأفكار والمشاعر عبرها. معنى هذا أنه يرى اللغة نظامًا لإنشاء المعاني، وليس لمجرد التعبير عنها فقط[1].

لم تقتصر الدراسة على رصد أوجه التشابه والاختلاف بين النحو العربي ونحو هاليداي في دراسة الجملة، ولا على نقد المقولات والتفسيرات التي أهملت المعنى أو الوظيفة. وإنما تجاوزت ذلك إلى تقديم بدائل مفهومية وتفسيرية جديدة تعتمد على المعنى، وإلى تطويع نحو هاليداي ليصلح للتطبيق على العربية، من خلال تعديل بعض المفاهيم وسك المصطلحات اللازمة وإعداد تصنيفات دلالية جديدة، ومن ثم لا تعد هذه الدراسة تطبيقًا مباشرًا أو قولبة لنموذج معد سلفًا؛ لأن نحو هاليداي هو نحو إنجليزي، بمعنى أنه قد وُضع أصلًا للتقعيد للغة الإنجليزية، وهي لغة لها بنيتها التركيبية الخاصة وغير مُعرَبة، وبمعنى أنه يستخدم الإنجليزية لغةً شارحة.

وقد نبَّه هاليداي نفسه إلى النزعة المركزية العرقية في علم اللغة الحديث وإلى خطورة افتراض أن المقولات والتصنيفات التي قدمها صالحة لوصف أية لغة، على

[1] Halliday, M. A. K. and Martin, J. R. (2004). *Writing science: Literacy and Discursive Power*. London: Routledge. pp. 22-3.

الرغم من أنها قد أُستخدمت أساسًا لدراسة كثير من اللغات[١]. فقد طُبقت النظرية الوظيفية النظامية على العديد من اللغات كالفرنسية[٢] والإسبانية[٣] والصينية وغيرها[٤].

الدراسات السابقة

أ- هاليداي في الدراسات اللغوية العربية

اقترن اسم هاليداي في الدراسات اللغوية العربية باسم رقية حسن وكتابهما "Cohesion in English"[٥] ويمكن تقسيم هذه الدراسات تبعًا لمجالها إلى مجموعتين، أولاهما: تركز على دراسة السبك (أو الترابط اللفظي) في اللغة العربية في إطار المعايير الخمسة التي قدمها هاليداي ورقية حسن في كتابهما، ومن الأمثلة على دراسات هذه المجموعة: (محمد سالم أبو عفرة، السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م). و(صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م).

أما المجموعة الأخرى فتمثلها الدراسات العربية التي عنيت بتقديم علم اللغة النصي للقارئ العربي وتطبيق معاييره في تحليل النصوص. وهذه الدراسات تشترك مع دراسات المجموعة الأولى في الإفادة من تنظير هاليداي ورقية حسن لظاهرة "السبك" - بوصفها

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold. P. xxxiii.

[2] Caffarel, A. (2006) *A Systemic Functional Grammar of French: From Grammar to Discourse*. London & New York: Continuum.

[3] Lavid, J., Arus, J., & Zamorano-Mansilla, J. R. (2010). *Systemic Functional Grammar of Spanish: A contrastive study with English*. London and New York: Continuum.

[4] Caffarel, A. (2006). *A Systemic Functional Grammar of French: From grammar to discourse*. London & New York: Continuum. P.4.

[5] Halliday, M. A. K & Hasan, R (1976). *Cohesion in English*. London & New York: Longman.

تمثل هنا أحد المعايير السبعة المعروفة للنصية ـ وتزيد عليها بأنها تفيد من كتاب آخر لهاليداي ورقية حسن هو "Language context، and text: aspects of language in a social-semiotic perspective" في دراستها "الحبك" وسياق الحال (أو الموقف) والسياق الثقافي، ومن الأمثلة على دراسات هذه المجموعة: (حسام أحمد فرج، "نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري" مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٩م)[١] و(عزة أحمد شبل، "علم لغة النص: النظرية والتطبيق" مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م)[٢].

على أن ما قدمه هاليداي لا ينحصر في هذا النطاق الضيق[٣] الذي أفادت منه هذه الدراسات، ولا في مجال النحو الوظيفي، بل يتسع لموضوعات وقضايا بحثية أخرى؛ فلقد أرسى هاليداي خلال بحوثه أسس اتجاه عام يتناول كثيرًا مما يتصل بدراسة اللغة وقضاياها ونصوصها، يعرف باسم "علم اللغة الوظيفي النظامي" "Systemic Functional Linguistics" الذي يختصر إلى (SFL) عادة. مما سبق يتضح أن الإفادة من هذا الاتجاه في محيط الدراسات اللغوية العربية كانت ـ ولا تزال ـ محدودة للغاية، (والأمر أوضح إن قورنت تلك الحالة بما حظي به الاتجاه التحويلي التوليدي). وترى الدراسة أنه ربما كان السبب وراء هذا هو أن كثيرًا من دراسات تاريخ علم اللغة المؤلفة بالعربية والمترجمة إليها ـ التي عُنيت بعرض النظريات اللغوية الحديثة ـ لم تتعرض لهذا الاتجاه (على الرغم من أن معظمها ـ إن لم يكن كلها ـ قد عرض الاتجاه التحويلي التوليدي، وبعضها رصد كثيرًا من أوجه الشبه بينه وبين النحو العربي). ومن الدراسات العربية التي تناولت النحو التحويلي التوليدي، "(قواعد تحويلية للغة العربية) للدكتور

---

[١] انظر ص ص ٢٢-٣٠، والفصل الرابع: السبك.

[٢] انظر الفصل الخامس الربط اللفظي ص٩٩-١٨٣.

[٣] تمثل دراسة السبك cohesion فصلًا واحدًا (الفصل التاسع من عشرة فصول) من كتاب هاليداي "An Introduction to Functional Grammar"

محمد علي الخولي، (النحو العربي والدرس الحديث) للدكتور عبده الراجحي، (نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث) للدكتور نهاد الموسى، (الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية) للدكتور ميشال زكريا"[1] (في علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية) للدكتور أحمد سليمان ياقوت.

لاحظ الباحث وجود ندرة في الدراسات العربية التي تناولت التعريف بالنحو الوظيفي النظامي عند هاليداي، فضلًا عن الإفادة منه في دراسة النحو العربي. فلم يجد . بعد طول بحث . إلا كتاب "علم اللغة النظامي: مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي" للدكتور محمود أحمد نحلة، وترجمةً له أيضا لفصل من كتاب هاليداي" Language and text: aspects of language in a social-semiotic perspective،context " يتحدث فيه عن وظائف اللغة[2] وقد أشار الدكتور محمود نحلة ـ من قبلُ ـ إلى عدم وجود دراسات عربية عن النحو الوظيفي النظامي إذ يقول:

"لعل مما يستلفت النظر أنني لم أعثر على بحث واحد كتب باللغة العربية عن هذه النظرية مع شدة طلبي له، وسعيي للوصول إليه، على كثرة الدارسين للنظريات اللغوية المعاصرة، والباحثين في مدارسها المختلفة...مع أن المرحلة الأولى من هذه النظرية اتضحت معالمها منذ بداية العقد السادس من القرن العشرين، أي أنه انصرم من عمرها قرابة أربعين عامًا من البحث الدائب الذي قدمه هاليداي، وشاركه فيه عديد من زملائه وتلامذته، لا يكاد يحصيهم عد، ووجدت من يطبقها على لغات كثيرة غير الإنجليزية"[3] وقد قام الدكتور محمود نحلة بالتعريف بالمرحلتين الأولى والثانية من النظرية فحسب، ولم يتعرض للمرحلة الثالثة التي يمكن التأريخ لها ـ وفقًا لما قاله ـ بكتاب هاليداي: " An

[1] أحمد سليمان ياقوت، في علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م. ص١٢- ١٣.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م. ص ٢٦٩.

[3] محمود أحمد نحلة، "علم اللغة النظامي: مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي"، ص ١٦٧.

"Introduction to Functional Grammar" . (وهذا الكتاب هو المصدر الأجنبي الرئيس لهذه الدراسة)، ويشير د. نحلة إلى ذلك بقوله: "وهذه المرحلة [يعني الثالثة] من الثراء والعمق بحيث تحتاج إلى بحث منفرد يعنى بجوانبها المختلفة، ومن ثم اقتصرت في هذا البحث على المرحلتين الأولى والثانية، وتركت لمن يأتي بعدي استكمال هذا الجانب"[١].

ب- هناك عدد من **الدراسات التي تناولت موضوع الوظيفة**، تتنوع حسب مفهوم الوظيفة الذي تتبناه، بعضها يلتقي مع هذه الدراسة حول موضوع أو أكثر، ومن ثم يمكن الإفادة من نتائجها، ومن هذه الدراسات:

دراسات أحمد المتوكل:

نقل أحمد المتوكل نظرية النحو الوظيفي لدى سيمون دِك إلى العربية في سلسلة من الدراسات تزيد على عشرين كتابًا ومقالًا[٢]، ولم يقتصر عمله على نقل النظرية، وإنما حاول تأصيلها في العربية وتطويرها، "والنحو الوظيفي لدى دِك يجمع بين المرتكزات النظرية للاتجاه الوظيفي والمنطق الصوري، ويقع ضمن الإطار الواسع للنحو التحويلي التوليدي، ويتفق دِك مع تشومسكي في اعتبار النحو جزءًا من علم النفس المعرفي، أما النحو الوظيفي لدى هاليداي فليس نحوًا شكليًا؛ إذ إن هاليداي يضع مصطلح (وظيفي) في مقابل مصطلح (شكلي) ومن هذه الناحية يختلف عن النحو الوظيفي لدى سيمون دِك (١٩٧٨) وعن النحو الوظيفي لدى كاي (١٩٨٥)، مع أن هذه النماذج الثلاثة قد تأثرت بأعمال مدرسة براغ"[٣]. تخالف الدراسة أحمد المتوكل في أنه ما زال يتحدث عن بنى تحتية وأخرى سطحية، وعن "قواعد للتعبير" عن الأولى بالثانية، وعن بنية حملية من موضوع ومحمول، إن فُقد أحدهما وجب أن يُقدَّر، مع استخدام الرموز بصورة مفرطة

---

[١] المرجع نفسه، ص ٧.

[٢] انظر عناوين بعضها في قائمة المصادر والمراجع.

[3] Malmkjaer, K. (ed.) (2006). *The Linguistics Encyclopedia*. London and New York: Routledge. P. 190.

قد تعوق الفهم.[1] وتسعى الدراسة إلى الإفادة من دراساته التي كشفت عن بعض الجوانب الوظيفية في النحو العربي.

يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر (ربع سنوية)، وزارة الإعلام بالكويت، المجلد العشرون، العدد الثالث أكتوبر ١٩٨٩م، ص٦٩-٩٩.

يقدم الباحث تعريفًا بالاتجاه الوظيفي، وعرضًا عامًا للمدارس الوظيفية، كما يقدم تحليلًا موجزًا لمقتطف من كتاب "المستطرف في كل فن مستظرف". وستفيد الدراسة من هذا البحث عند عرضها للاتجاهات الوظيفية عامة.

عبد العليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة ٢٠٠٦م.

تُضيّق الدراسة مفهوم الوظيفة، بل مفهوم النحو، وتجعل المعيارية سمته الأساسية، والمؤلف يقصد بالنحو الوظيفي: "مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام الجمل؛ ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة"[2]، والمؤلف يضع نصب عينيه الغرض التعليمي مع اهتمام مفرط بظاهرة الإعراب، يبدو ذلك في قوله: "حتى لا تطغى على ذهن الطالب المصطلحات الجانبية على النواحي الإعرابية التي هي أساس النحو الوظيفي"[3].

عاطف فاضل محمد، النحو الوظيفي، دار المسيرة، الأردن، ط٢، ٢٠١٣م.

لا تختلف هذه الدراسة عن سميّتها السابقة لا في مفهوم النحو الوظيفي ولا في هدفه، يقول المؤلِّف عن الغرض من كتابه: "هو أن يتعرف الطالب قواعد النحو ويتذوقها

---

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٦ م. ص١٢٣-١٢٤، ٢٣٢-٢٣٤.

[2] المقدمة ص هـ.

[3] المقدمة ص ز.

ويستوعبها ليسلم لسانه وقلمه من اللحن، وهذا هو الهدف الرئيس من تعلم النحو"[1] وأن يبسط "القواعد التي يحتاجها الطلبة في حياتهم اليومية، بمعنى القواعد الأساسية التي لها استعمال وظيفي، والبعد عن القواعد العقلية الافتراضية... والبعد عن الخلافات التي لا يفيد منها الطالب"[2]. يجدر هنا التنبيه إلى الاختلاف بين مفهوم "النحو الوظيفي" في الدراستين السابقتين ومفهومه في دراستي هذه. (راجع القسم ١-٨ النحو والوظيفة: هل النحو العربي نحو وظيفي؟)

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أنها تقدِّم أطرًا نظرية لدراسة الجملة البسيطة من ثلاث زوايا تركيبية مختلفة، في ضوء الأسس المنهجية للنحو الوظيفي عند هاليداي، هذه الأطر النظرية تسهم في تأسيس نحو عربي وظيفي لتحليل النصوص وتفسيرها وتقييمها من جهة، وفي تطوير النحو العربي وتيسيره من جهة أخرى. وهذا قد اقتضى التعريف بالنحو الوظيفي عند هاليداي، ورصد أوجه الاتفاق والافتراق بينه وبين النحو العربي، لا سيما أن نظرية هاليداي الوظيفية "لم يُكتب لها ما كتب لغيرها من الذيوع والانتشار في العالم العربي خاصة، على الرغم مما تتميز به من ضبط منهجي، وتواؤم مع طبيعة اللغة، وقابلية للتطبيق على اللغة العربية"[3].

وقد أشار عدد من الباحثين إلى أهمية نحو هاليداي وصلاحيته للتطبيق على العربية، منهم محمد العبد إذ يقول: "قدَّم هاليداي M. A. K. Halliday في كتابه (مدخل إلى النحو الوظيفي An Introduction to Functional Grammar) منهجًا لدراسة التوازي

---

[1] ص١٩.

[2] ص١٩.

[3] محمود أحمد نحلة، "علم اللغة النظامي: مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص ١٦٦.

هو الأدق والأوفى حتى الآن وهو منهج يصلح لتطبيقه على العربية."[1] ومحمد عناني حيث يقول: "وليتنا نوجِّه لنظرية النحو الوظيفي الاهتمام اللازم في مجال اللغة العربية، خصوصا عند الترجمة."[2] ويقول أيضًا: "أما منهج تحليل الكلام الذي أثر أكثر من غيره في البحوث الجارية في هذا الحقل[مناهج تحليل النصوص] فهو ما يُسمَّى بالنموذج الوظيفي المنهجي الذي وضعه هاليداي، وهو مبني على ما أسماه هاليداي بالنحو الوظيفي المنهجي Systemic Functional Grammar الذي وضعه لدراسة اللغة من حيث هي أداة توصيل، فاختلف في ذلك عن المناهج السابقة لتحليل اللغة (عند تشومسكي مثلا) من حيث هي مبانٍ ثابتة، ودون إقامة علائق دينامية بينها وبين غيرها من النظم، أي أن النحو الوظيفي يُوسّع من دائرة المعنى، فيجده في الاختيارات اللغوية للكاتب، ويضع أسسًا منهجية لعلاقة هذه الاختيارات بالإطار الثقافي والاجتماعي الواسع"[3] وقد أشار نورمان فيركلوف ـ أحد رواد التحليل النقدي للخطاب ـ إلى نحو هاليداي بوصفه "مصدرًا قيمًا للدراسات النقدية للخطاب[4].

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التقابلي، و"هو منهج حديث نسبيًا، لجأ إليه الدارسون لاستخدامه في مجال تعليم اللغات. وهو ـ كما يبدو من التسمية ـ يقوم في الأساس بمقابلة حقائق لغة معينة بحقائق لغة أخرى... والمنهج التقابلي (بعكس المقارن) وصفي في الأساس ويقوم بالمقابلة بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة"[5]. يقول محمود

---

[1] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص٢٥٤.

[2] نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، أبو الهول للنشر، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٥م، ص ١٦٥.

[3] المرجع السابق، ص١٦٠.

[4] نورمان فيركلوف، تحليل الخطاب: البحث النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م ص ٢٧.

[5] كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص٢٣٧.

فهمي حجازي: "موضوع البحث في علم اللغة التقابلي ـ أحدث مناهج علم اللغة ـ هو المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة، أي بين مستويين لغويين متعاصرين. ويهدف علم اللغة التقابلي إلى إثبات الفروق بين المستويين. ولذا فهو يعتمد أساسًا على علم اللغة الوصفي."[1] ويقول أحمد سليمان: "يقصد بعلم اللغة التقابلي Contrastive Linguistics (المقارنة) بين لغتين ليستا مشتركتين في أرومة واحدة، كالمقابلة بين الفرنسية والعربية مثلا، أو بين الإنجليزية والعربية مثلا آخر."[2]. ولا تنحو الدراسة منحى مقارنًا يهدف إلى رصد الأسبقية إلى الأفكار وعلاقات التأثير والتأثر.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعريف بالاتجاه الوظيفي في علم اللغة عامة، وبالنحو الوظيفي عند هاليداي خاصة.
- المقارنة بين الاتجاهين الوظيفي والشكلي في المنطلقات النظرية وإجراءات التحليل.
- رصد الفروق بين النحو العربي والنحو الوظيفي عند هاليداي في هدف النحو وسياق نشأته ومنهج دراسته.
- رصد أوجه التشابه والاختلاف بين النحو العربي ونحو هاليداي في دراسة الجملة البسيطة.
- نقد المقولات والتفسيرات التي تعارِض المعنى أو الوظيفة أو تغفلهما، أو تبالغ في الاحتكام إلى المعايير الشكلية، وتقديم بدائل لها.
- نقد تفسيرات هاليداي التي خلطت بين المفاهيم الشكلية والدلالية للمصطلحات.

---

[1] محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٠-٤١.

[2] أحمد سليمان ياقوت، في علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م. ص ٧.

- دراسة الجملة البسيطة من ثلاث زوايا تركيبية مختلفة في ضوء أربعة معايير هي الالتزام بالاستعمال الفعلي للغة، والانطلاق من المعنى والاحتكام إليه، والتركيز على الوظيفة، والاعتماد على مفهوم الاختيار.
- تطويع نحو هاليداي ليصلح للتطبيق على العربية، بتعديل بعض المفاهيم والتصنيفات والتفسيرات أو اقتراح أخرى مناسبة للعربية إن دعت الحاجة إلى ذلك.
- استخلاص أطر نظرية لدراسة الجملة البسيطة تكون مبنية على المعايير الآنفة الذكر.
- الإسهام في تأسيس نحو وظيفي عربي يضطلع بتحليل النصوص وتفسيرها وتقييمها.

حدود الدراسة

تركز الدراسة على "الجملة البسيطة" معتمدة في تناولها في العربية على المصادر النحوية الرئيسة كالكتاب والمقتضب وعلى المراجع الموسوعية كشرح المفصل للزمخشري وهمع الهوامع للسيوطي، أما في الإنجليزية فيمثل كتاب هاليداي: "An Introduction to Functional Grammar" ـ في طبعتيه الثانية ١٩٩٤م والثالثة ٢٠٠٤م ـ المصدر الأجنبي الرئيس، مع الاستعانة بكتابات بعض شراحه ونقاده مثل جيف طومسون وسوزان إيجنز ومارجريت بيري.

إشكالية الدراسة

تكمن إشكالية الدراسة في أمرين، الأول هو التركيز على الوظيفة والمعنى، ومحاولة تخليص الدرس النحوي من بعض الجوانب الشكلية التي أهملت المعنى أو الوظيفة، ومن الاقتصار على الأحكام المعيارية التي حصرت غاية النحو في معرفة الصواب والخطأ، والواجب والجائز والممتنع، والتي ارتبطت بالغاية التعليمية التي

استنفدت واستنزفت جهد الدرس النحوي العربي فترة طويلة من تاريخه. أما الأمر الآخر فهو تطويع نظرية النحو الوظيفي عند هاليداي لتصلح أساسًا لبناء نظرية عربية موازية، مع الوعي بخصوصية البنية التركيبية للغة العربية وما كفلته لها ظاهرة الإعراب من حرية تركيبية عالية مقارنة باللغة الإنجليزية.

بنية الدراسة

تقع الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ومسرد بأهم المصطلحات الواردة فيها، يتناول الفصل الأول منها مفهوم النحو وموضوعه وهدفه عند النحاة العرب القدماء والمتأخرين وعند الاتجاهين الشكلي والوظيفي في علم اللغة الحديث، ويقدم تعريفًا بالاتجاه الوظيفي في علم اللغة عامة، ثم يتوقف عند أهم مدارسه مقدمًا عرضًا موجزًا لإسهامها اللغوي، وراصدًا ما أصاب بعض المصطلحات من تغير وتطور في مفاهيمها، ثم يقدِّم عرضًا مستفيضًا لنظرية النحو النظامي الوظيفي عند هاليداي، يتناول هذا العرض تعريفًا برائد النظرية هاليداي، وبنشأتها ومراحل تطورها، وبمهادها النظري، وإجراءاتها التحليلية. ويتضمن كذلك مقارنات بين الاتجاهين الوظيفي والشكلي من جوانب متعددة. ويختتم الفصل ببيان المنهج الذي ستسير عليه الدراسة في عرض الفصول الثلاثة التالية.

ويعالج الفصل الثاني التركيبَ الذي يعطي الجملة طابعها المميز بوصفها رسالة، يُحلِّل الباحثُ أولا دراسةَ النحاة العرب لهذا التركيب، ثم دراسة هاليداي وأتباعه وبعض رواد حلقة براغ له، ويناقش بعد ذلك آراء بعض من يرون عدم صلاحية الإطار النظري الذي قدَّمه هاليداي للتطبيق على العربية كـ (محمد عناني، ومنى بيكر) ثم يُحلِّل دراسةَ أحمد المتوكل (لوظائف المحور والمبتدأ والبؤرة) والمقترحات النظرية التي طرحها حسام قاسم لدراسة المحدث عنه. ويُختتم الفصل بتقديم إطار نظري مقترح لدراسة الجملة بوصفها رسالة.

أما الفصل الثالث فيدرس الجملة من زاوية أخرى بوصفها تبادلًا: حدثًا تواصليًّا يقوم على الإعطاء والطلب بين طرفين أو أكثر. يُحلل الباحث في هذا الفصل دراسة النحاة العرب القدماء والمحدثين وبعض المستشرقين للجملة ولأنواعها ومكوناتها، ثم يعرض تصورات هاليداي عن الجملة بوصفها تبادلًا، ثم يقترح إطارًا نظريًا لدراسة الجملة من هذه الزاوية، يتضمن تعريفها، ومكوناتها، وأنواعها، ووحدات التحليل النحوي، وموقف المتكلم من الجملة.

يأتي الفصل الرابع ليكمل دراسة الجملة من زاوية ثالثة، هي زاوية العلاقة بينها وبين الواقع الذي تمثله والذي قد تصنعه أحيانا؛ فاللغة ليست مرآة صافية بريئة تعكس الواقع كما هو بقدر ما هي وسيلة استعارية لتمثيله محكومة بإيديولوجيات منتجيها وأهوائهم. يُمهِّد الباحث لهذا الفصل بتقديم مخطط دلالي للواقع مؤسَّس على أبعاد نحوية، ثم يُحلِّل أنماط الجملة في العربية وفقًا لوظائفها وسماتها الدلالية والنحوية، ثم يُناقِش المعايير التي اعتمد عليها النحاة العرب في دراسة مقيدات الإسناد، ويُعدِّل بعضها. ويقوم بكل ذلك من خلال عرض متداخل منظَّم لآراء النحاة العرب وهاليداي وأتباعه من جهة، ولنقد الباحث وتعديلاته المقترحة من جهة أخرى. وتأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفصل الأول

الوظيفية: الإطار النظري وإجراءات التحليل

١-١ مقدمة

يتناول هذا الفصل مفهوم النحو وموضوعه وهدفه عند النحاة العرب القدماء والمتأخرين وعند الاتجاهين الشكلي والوظيفي في علم اللغة الحديث، ويقدم تعريفًا بالاتجاه الوظيفي في علم اللغة عامة، ثم يتوقف عند أهم مدارسه مقدمًا عرضًا موجزًا لإسهامها اللغوي، وراصدًا ما أصاب بعض المصطلحات من تغير وتطور في مفاهيمها، ثم يقدم عرضًا مستفيضًا لنظرية النحو النظامي الوظيفي عند هاليداي، يتناول هذا العرض تعريفًا برائد النظرية هاليداي، وبنشأتها ومراحل تطورها، وبمهادها النظري، وإجراءاتها التحليلية. ويتضمن كذلك مقارنات بين الاتجاهين الوظيفي والشكلي من جوانب متعددة. ويختتم الفصل ببيان المنهج الذي ستسير عليه الدراسة في عرض الفصول الثلاثة التالية.

أولا: الإطار النظري

١-٢ مفهوم النحو

يطلق مصطلح النحو على عدد من المفاهيم[١]: فقد يقصد به: (أ) **النموذج الواصف لقواعد لغة معينة.** وهذا المفهوم ينطبق إلى حد كبير على النحو كما هو في كتاب سيبويه[٢]. (النحو = Grammar) (ب) وقد يطلق على سبيل الاتساع على **النظرية اللغوية العامة** التي يرتكز عليها ذلك النموذج الواصف، والتي تتعرض لكل قضايا اللغة، فيقال مثلا النحو التوليدي التحويلي، والنحو النظامي الوظيفي (النحو في هذه الحالة يكاد يكون مرادفا لعلم اللغة). (ج) وقد يطلق على **مستوى بعينه من مستويات**

---

[١] أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، مكتبة الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م. ص ٣٦-٣٩.

[٢] راجع: الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (-٧٩٠هـ) الموافقات في أصول الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م. ج٤، ص٩٥.

اللغة (الدلالي، **النحوي**، الصرفي، الصوتي) أو على فرع من فروع الدرس اللغوي يدرس هذا المستوى[1]، وهذا المفهوم ربما ينطبق على النحو عند المتأخرين من النحاة. (النحو= Syntax).

يتفق جمهور اللغويين المحدثين على أن هناك مفهومين للنحو العربي، أحدهما واسع مرتبط بالنحاة الأوائل، وهو ما أطلق عليه "علم العربية" أو "انتحاء سمت كلام العرب"[2]، والآخر ضيق مرتبط بالنحاة المتأخرين، يطابق "الإعراب"[3] حسب تعريفاتهم للنحو (لكنه في الحقيقة يزيد عليه حسب دراستهم له؛ لأنهم درسوا مسائل أخرى كثيرة ليست من الإعراب، كالتقديم والربط والحذف).

يقصد هاليداي بمصطلح النحو Grammar قواعد اللغة. والمصطلحات التي تُستخدم في التقاليد الوظيفية لتشير إلى مستويات اللغة أو طبقاتها ـ مراحل عملية التشفير من المعنى إلى التعبير اللغوي ـ هي الدلالة والقواعد والأصوات. أما في اللغويات الشكلية فيُستخدم مصطلح النحو syntax، أي علم بناء الجملة، وهذا الاستخدام جاء

---

[1] ترى الدراسة أن التمييز بين النحو من حيث هو جزء من اللغة، والنحو من حيث هو نظرية في اللغة (علم النحو) ليس يسيرًا كما قد يبدو، أو كما هو الحال في التمييز بين الطبيعة وعلم الطبيعة مثلا؛ لأن النحو وعلم النحو كليهما مستوى مجرد، ولأن كل كلام سيقال لتعيين نحو اللغة ووصفه سيعد جزءًا من علم النحو.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان (-٣٢٩هـ) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م. ج١، ص٣٥. وقد عُبِّر عن هذا المفهوم أيضا بـ "نهج العرب في التعبير" مصطفى ناصف، النحو والشعر: قراءة في دلائل الإعجاز، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الأول، العدد الثالث، أبريل ١٩٨١م. ص٣٣-٣٤. وراجع كذلك: مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٩م، ص٢٤٦-٢٤٧.

[3] الصبان، أبو العرفان محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت. ج١، ص٤٨-٤٩. ومحمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م. ص٢٩-٣٧. ومحمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م. ص٢٦.

من فلسفة اللغة حيث يكون النحو مقابلًا للدلالة، وهذا هو السياق الذي قد تأتي فيه التداولية[1] مصطلحًا ثالثًا[2].

ويعد هاليداي النحو Syntax جزءًا من القواعد Grammar التي تتكون منه ومن المفردات vocabulary والصرف، ويرى أن النحو والمفردات هما جزء من المستوى نفسه؛ لذا يُفضِّل أن يُطلق عليهما مصطلحًا شاملًا هو النحو المعجمي. وهو لم يستخدم مصطلح Syntax لسبب آخر هو أن هذا المصطلح يقترح التقدم في اتجاه معين، هو أن تُفسَّر اللغة بوصفها نظامًا من الصيغ والأبنية الشكلية التي تتصل بها المعاني في مرحلة تالية. ففي تاريخ علم اللغة في الغرب منذ بداياته عند اليونان القدماء كان هذا هو الاتجاه المأخوذ به: تُدرس أبنية الكلمات صرفيًا ثم أبنية الجملة نحويًا ثم يُطرح السؤال: ماذا تعني هذه الأبنية؟ أما في النحو الوظيفي فينعكس الاتجاه، تُفسَّر اللغة بوصفها نظامًا من المعاني يلازمه أبنية تُدرَك وتتحقق المعاني فيها، ويُطرح السؤال: كيف يُعبَّر عن هذه المعاني؟ وهذا اتجاه يرى الأبنية من منظور مختلف، يراها وسيلة لغاية لا غاية في ذاتها[3].

ويُعبِّر هاليداي عن مفهوم النحو استعاريًا بقوله: "النحو هو وحدة المعالجة المركزية في اللغة حيث تُستقبل المعاني من مدخلات ذات وظائف عليا مختلفة، وتُجدل معا لتكوين مخرجات متحدة أو صياغات"[4] وقوله: "ما نعرفه على أنه "النحو" هو جهاز لغوي لربط اختيارات المعنى معًا، تلك الاختيارات التي تُستَمد من الوظائف المتنوعة للغة، ثم لتحقيقها realizing أو تجسيدها في شكل تركيبي متماسك"[5].

---

[1] لا ينفصل المستوى التداولي عند هاليداي عن المستويين النحوي والدلالي بخلاف الحال عند سيمون دك.

[2] Halliday, M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold. P. xiv.

[3] Ibid. P. xiv.

[4] Ibid. P. xxxiv.

[5] Halliday, M. A. K. (1973). *Explorations in the functions of language*. (in Explorations in Language Study), London: Edward Arnold. P.42

١-٢-١ النحو المعجمي Lexicogrammar

يمثل النحو والمفردات قطبين أو طرفين مختلفين لسلسلة متدرجة بينهما (كما في الشكل ١-١)[١] ويفضل هاليداي التنظير من خلال مفهوم النحو المعجمي؛ لأنه يرى أن الخط الفاصل بين النحو والمعجم ضبابي غائم، فهما على درجة التجريد نفسها، وبينما نحتاج إلى أن نتعرف إلى الأقسام المميزة للنحو والمفردات، نحتاج أيضا إلى التنظير لهما بوصفهما وحدة تقع في مستوى واحد (شكل المحتوى عند هيلمسليف).[٢]

النحو المعجمي
(مستوى الصياغة)

النحـــو ⟷ المفردات

(أنظمة مغلقة، محددة الأفراد، عامة المعاني) (مجموعات غير محدودة ، خاصة المعاني)

الشكل (١-١) وحدة النحو والمفردات

إذا تأملنا الجملتين التاليتين: (أ) لم ينجح الطالب غير المجتهد. (ب) فشِل الطالب المهمل. نجد أنهما تحملان سمة دلالية واحدة هي "النفي"، عُبِّر عنها بطريقتين مختلفتين على مستوى الصياغة، في (ب) عُبِّر عن النفي **معجميا** بـ "فشل، المهمل"، في (أ) عُبِّر عن النفي **نحويًا** باستخدام "لم، غير". بعض السمات الدلالية الأخرى كالجمع قد يُعبَّر عنها نحويًا كما في (رجل، رجال) أو معجميًا كما في (امرأة، نساء). تخيَّل لغةً يُعبَّر فيها عن كل المعاني معجميًا، ليس هناك مورفيم أو وزن للجمع، المفرد له كلمة وجمعه له كلمة أخرى مختلفة مثل (امرأة، نساء). وليس هناك مورفيم أو علامة للتأنيث، المذكر

---

[1] Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2004). *An introduction to functional grammar*. (3rd ed.). London: Hodder Education. pp. 43, 46.

[2] Halliday, M. A. K. (2009b). Methods- techniques- problems. In Halliday, M. A. K., & Webster, J. J. (eds.), *Continuum companion to systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum. P. 74.

له كلمة ومؤنثه له كلمة أخرى مختلفة مثل (رجل، امرأة ـ حمار، أتان) في الأسماء والصفات. وليس هناك تصريفات للفعل بحسب الزمن والنوع والشخص، كل تصريف في مكانه كلمة مختلفة... وهلم جرا. ستحتاج تلك اللغة إلى بلايين من الكلمات المختلفة، بعبارة أخرى سيكون من المستحيل تعلمها أو استخدامها. ربما لن تصبح لغةً البتة[١].

إن عُبِّر عن معنى نحويًا، فهذا يعني أنه يُنظَّم في اللغة: (أ) في صورة نظام مغلق (محدد الأفراد ومحدود العدد، واختيار أحد الأفراد يمنع اختيار الآخر) مثل: (الإثبات والنفي، المفرد والمثنى والجمع، المذكر والمؤنث). (ب) يقترن بقسم عام (سمة لكل الجمل، لكل الأسماء، لكل الأفعال، لكل الصفات...). (ج) يقوم على التناسب (مثلا، كل مفرد له جمع يختلف عنه بزيادة أو نقص، هذا هو المطرد، ولا يؤثر في التناسب أن يجيء المفرد والجمع متطابقين، مثل: فُلك في العربية، "fish، deer،sheep " في الإنجليزية. وهذه الخصائص الثلاث (الإغلاق، والعموم، والتناسب) تُميِّز النظام النحوي.[٢]

١-٢-٢ مفهوم النحو الذي تقترحه الدراسة

مفهوم النحو الذي تقترحه الدراسة وتتبناه هو: "النموذج الواصف والمفسر للبنية التركيبية للغة بعينها في فترة زمنية بعينها تفسيرًا وظيفيًا دلاليًا". تقول: "**للغة بعينها**" لأن الدراسة ترى أن النماذج النحوية تتأثر بعاملين أساسيين: الأول هو اللغة المدروسة نفسها، فهي تترك بصمتها على النموذج النحوي الواصف لها[٣]. والآخر هو اللغة الشارحة التي استخدمها النموذج النحوي. (نحو هاليداي هو نحو إنجليزي بالمعنيين). **و "في**

---

[1] Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P. 46.

[2] Ibid. pp. 46-47.

[٣] انظر (في الفصل الثاني) مناقشة مفهوم المحدث عنه (Theme) وتنظير هاليداي له، حيث يشترط وجوب تصدره، ولاحظ مدى ارتباط ذلك بطبيعة اللغة الإنجليزية التي يطرد فيها الابتداء بالاسم (Subject- Prominent Language).

فترة زمنية بعينها" لأن اللغة تتغير، ومن المفترض أنها كلما تغيرت، تغير النموذج الواصف لها. و"**تفسيرا وظيفيا دلاليا**" لأن طرق تفسير البنية التركيبية عديدة، قد يكون **التفسير شكليًا** (يفسر بنية بردها أو تحويلها إلى بنية أخرى، كما في النحو التوليدي التحويلي) وقد يكون **تاريخيًا** (كافتراض وجود فعل الكينونة بين المسند إليه والمسند في فترة من تاريخ اللغة العربية اعتمادًا على شاهد أو شاهدين، أو اعتمادًا على **مقارنتها** بلغات أخرى) وقد يكون التفسير **وظيفيًا** (كتفسير النحاة استخدام أداة النداء "يا" في نداء البعيد بأنها تسمح بمد الصوت خلافًا للهمزة) أو **دلاليًا** (كتفسير التقديم بين عناصر الجملة على أساس الاهتمام أو التخصيص) وقد يعتمد التفسير على اللغة الشارحة Metalanguage (كتفسير نصب المنادى بأنه مفعول به لفعل محذوف وجوبا تقديره "أدعو" ونصب الاسم المختص بفعل محذوف وجوبًا تقديره أخص) وهذا أضعف طرق التفسير في النحو العربي؛ لأنه يُفسِّر ما يقال ويستخدم بالاستناد إلى ما لا يقال ولا يستخدم.

١-٣ هدف النحو

يكاد يُجمع دارسو النحو العربي على أن أهم أسباب نشأة النحو العربي هي معالجة مشكلة اللحن[١]، والحفاظ على لغة القرآن، فقد "كان الخوف على القرآن حينا من عوادي الفتنة وحينا من مخاطر اللحن هو الدافع للسلف الصالح من المسلمين إلى اتخاذ خطوات مخلصة تقية سعوا بها إلى المحافظة على النص القرآني من أهواء التحريف وأخطاء اللحن"[٢]. "ولأمر ما كان الخطأ في الإعراب قديمًا هو أول الأسباب الداعية إلى وضع علم النحو كله خوفًا على العربية، وحرصا على كتابها الكريم أن يتطرق إليه

---

[١] بتعليم العربية "ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها..." الخصائص، ج١، ص٣٥.

[٢] تمام حسان، الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م. ص٢٤.

لحن، أو يستشري في لغته فساد"[1] ويضيف بعض الدارسين أسبابًا أخرى، منها ما هو سياسي يرتبط بحاجة الموالي إلى الاندماج في النظام السياسي للدولة وإلى تقلد المناصب فيها، "فأما العربي فعلى لسانه لغة القرآن ولغة الدولة وهي عدة في يده للتفوق والتسلط...ولعل اللغة كانت الحاجز الأول الذي يحول بين معظم الموالي وبين الوصول إلى المناصب الرفيعة...حتى وجد الموالي ضالتهم المنشودة التي تمكنوا بواسطتها من تعلم لغة الدين والدولة والمجتمع جميعًا. وهكذا انتزع الموالي الراية النحوية من أيدي العرب... وسرعان ما حول الموالي النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي"[2] (ولشدة اشتغالهم به أطلق عليه علم الموالي)، ومنها ما هو ديني يرتبط بالحاجة إلى فهم القرآن والكشف عن معانيه ومقاصده[3].

أما نحو هاليداي فقد وُضع لأسباب أخرى وفي سياق ثقافي مغاير تمامًا، فهاليداي يهدف في كتابه مقدمة للنحو الوظيفي (An Introduction to Functional Grammar) إلى بناء قواعد نحوية لتحليل النصوص وتقييمها، قواعد يمكنها أن تقول كلامًا دقيقًا ومفيدًا عن أي نص مكتوب أو منطوق... وفي أي نموذج من نماذج تحليل الخطاب هناك غايتان يُهدَف إلى تحقيقهما، الأولى هي الإسهام في "فهم" النص: فالتحليل اللغوي يُمكِّن المرء من أن يرى الطريقة التي بها يعني النص ما يعنيه وسبب ذلك. وهذه هي الغاية الدنيا التي يجب دائما تحقيقها. والثانية هي الإسهام في "تقييم" النص؛ فالتحليل اللغوي قد يُمكِّن المرء من أن يقول لمَ يُعد النص فعالًا أو غير فعال بالنسبة إلى الغرض الذي يرمي إلى إنجازه، في أي الجوانب نجح وفي أيها أخفق أو كان أقل نجاحًا، وهذه الغاية أصعب لأنها لا تتطلب تفسير النص فحسب، وإنما تفسير

---

[1] محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص٥.

[2] تمام حسان، الأصول، ص٢٧-٢٨.

[3] محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص٣٠.

سياقه (سياق الموقف والسياق الثقافي) وتفسير العلاقة النظامية بين النص والسياق أيضًا.[١*]

وقد نُظر إلى نحو هاليداي منذ ظهوره وطوال مراحل تطوره بوصفه مقابلًا منهجيًا للاتجاهات الشكلية التي غَلَّبت الشكل على المعنى، وعزلت النصوص عن سياقاتها الاجتماعية، ورأت اللغة شكلًا من أشكال المعرفة. وواكب تطوره اتجاهات لغوية عديدة شاركته الاهتمام بالنصوص، كعلم لغة النص، وتحليل الخطاب، والتداولية.

إذا كان من الممكن التسليم بأن أهداف الدراسة قد تملي على الدارس في بعض الأحيان منهجًا معينًا، فيبدو طبيعيًا في تلك الحالة أن يختلف نحوٌ وضع في الأساس لمعالجة مشكلات إنتاج النصوص وفهمها ـ كالنحو العربي ـ عن نحوٍ وُضِع في الأساس لتحليل النصوص وتقييمها، **فالأول** سيغلب عليه الطابع التعليمي[٢] والمعياري، وسيرى النحو مجموعة من القواعد set of rules تقرر للمتعلم الصواب والخطأ، وتستعين بالمعنى لبيان الفروق بين الأشكال التركيبية، أما **الآخر** فسيغلب عليه الطابع النقدي والتقييمي، وسيرى النحو مجموعة من الاختيارات أو البدائل set of options، وهذا بدهي؛ "لأنه لا فضيلة حتى ترى في الأمر مصنعًا، وحتى تجد إلى التخيُّر سبيلا"[٣]. وسينطلق من المعنى إلى تحققاته التركيبية (الصياغة) عاقدًا مقارنات أو موازنات بين

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. xv.

[*] مهما يكن الهدف من تحليل نص ما، فإن التحليل النحوي للنص هو الخطوة الأولى والأساسية، ومن المفترض أن يتبعه بعض التعليقات والتأويلات ضمن إطار لغوي عام كما في دراسة الاختلاف بين اللغة المنطوقة والمكتوبة، أو ضمن إطار من مفاهيم علوم أخرى كالسياسة والاقتصاد والإعلام...إلخ كما في دراسة اللغة المستخدمة في الإعلانات التجارية والدعاية السياسية وما إلى ذلك.

(Halliday, M. A. K. (1994). P. xvi.)

[٢] لاحظ أن الغاية التعليمية قد اقتضت منهم وصف ما ينتمي للغة العربية وما لا ينتمي؛ لأن بعض المتعلمين كانوا أبناء لغات أخرى.

[٣] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (~٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م. ص ٩٨.

ما قيل في نص معين وما كان من الممكن أن يقال في ضوء نظام اللغة التي كُتب بها ذلك النص.

لا تتفق الدراسة ـ في ضوء ما سبق ـ مع عبد السلام المسدي في قوله "إن علم النحو لما كان في جوهره معياريًا: يؤكد في ذاته قانون "ما يجب" فإنه يتضمن في منعطفاته بالاستتباع الحتمي إقرارا بأنه تقنين مغاير لـ "ما هو كائن" بالفعل، أو لما هو صائر بالقوة... فالنحو إذن موقف من تغير اللغة وليس موقفًا من الظاهرة اللغوية في حد ذاتها" لها أو عليها"[١]؛ ـ لا تتفق لأن هذا الكلام لا ينطبق بحال من الأحوال على الجيل الأول من النحاة، إنما ينطبق على من تبعهم من المقلدين ممن ألزموا أنفسهم بما لا يلزمها، مع أن اللغة كانت قد تغيرت والأهداف الأولى قد تحققت.

١-٤ موضوع الدرس النحوي

يتفق الدرس النحوي العربي والبلاغي في دراسة البنية التركيبية للكلام العربي، ويختلفان في حدود الدراسة والمنظور الذي تتبناه في معالجة موضوعها[٢]، يقول الدكتور عبد الحكيم راضي مفرقًا بين موضوعي الدرسين: "النحوي لن يمد تفكيره إلى الفقرة الكاملة أو إلى العمل الكامل، كالقصيدة أو الرسالة أو الخطبة، إن كل ما يعنيه هو الاطمئنان إلى خضوع الشكل الإعرابي ـ ومحله أواخر الكلمات ـ لمقتضيات المواقع الإعرابية التي تحتلها هذه الكلمات بصرف النظر عن الموضوع أو المناسبة أو الغرض من الكلام[٣]...لذلك يبقى المجال خاليًا لعلم لغوي آخر يقوم على درس النص اللغوي

---

[١] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م. ص٩٥-٩٦.

[٢] قال السيد الجرجاني: "أما عن المركبات على الإطلاق، فأما باعتبار هيئتها التركيبية، وتأديتها لمعانيها الأصلية، فعلم النحو، وأما باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى، فعلم المعاني، وأما باعتبار بنية تلك الإفادة في مراتب الوضوح، فعلم البيان" نقلًا عن: (عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، المملكة العربية السعودية،١٩٨٠م. ص٢٣١.)

[٣] أشار الدكتور عبد الحكيم راضي إلى تضييق البلاغيين لمفهومي المطابقة والمقتضى. راجع: (عبد الحكيم راضي، نصوص بلاغية من مباحث المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م. ص ١٣. وراجع كذلك: جميل عبد المجيد، البلاغة

والنظر فيه من زاوية أخرى، وهي زاوية العلاقة بين النص والموقف الذي سيق فيه من حيث ملاءمة ـ أو عدم ملاءمته ـ لذلك الموقف، وهذا هو موضوع علم البلاغة"[١].

الشاغل للنحويّ في دراسته للتراكيب هو الخروج من استقراء المادة اللغوية بقواعد تقرر ما هو صواب وما هو خطأ، وصفتا الصواب والخطأ هنا صفتان ذاتيتان مطلقتان تستمدان من اللغة ولا تتغيران، أما الملاءمة وعدم الملاءمة في حالة البلاغة فهما صفتان نسبيتان لا تتقرران بالرجوع إلى النص وحده، وإنما بالرجوع إلى النص اللغوي والموقف الذي قيل فيه[٢]

يمكن للمتتبع للعلاقة بين الدرسين النحوي والبلاغي ولحدودهما أن يرصد اتجاها يدعو إلى دمج علمي النحو وعلم معاني النحو[٣] يمثل هذا الاتجاهَ عددٌ من الدارسين منهم إبراهيم مصطفى[٤] ومهدي المخزومي[٥] وتمام حسان[٦] ومحمود فهمي حجازي[٧]. والدراسة تتبنى هذا الاتجاه، مع الدعوة إلى ضرورة إعادة النظر في المواضع التي عدها النحاة مواضع وجوب أو امتناع؛ فأغفل البلاغيون دراستها؛ لأن ما يُعد واجبا أو ممتنعا

والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص٥٤.) يتضح هذا التضييق إن قورن مفهوم المقام بمفهوم السياق عند هاليداي (انظر ١-١٠-٦ النص والسياق).

[١] عبد الحكيم راضي، نصوص بلاغية من مباحث المعاني، ص ٥.

[٢] المرجع نفسه. ص٦-٧.

[٣] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص٢٢٧.

[٤] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م. ص١٩، ٢٠.

[٥] مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م. ص٢٢٥-٢٢٨.

[٦] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط ١٩٩٤م. ص١٨. وراجع كذلك تمام حسان، الأصول، ص٣١٣.

[٧] محمود فهمي حجازي، علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م. ص٤٥. وكذلك: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة: المجالات والاتجاهات، ط٤، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م. ص١٣٠.

على مستوى التركيب ما يزال اختيارا على مستوى نظام اللغة، إن ابتدأ التحليل من المعنى لا من التركيب.

١-٥ النحو والاختيار

درس النحاة العنصر النحوي في الإطار النظري الآتي: بيان المقصود به ووظيفته وأمثلة عليه، ثم بيان أحكام المطابقة (في النوع والعدد والتعيين والشخص والإعراب) والتعلُّق والربط بينه وبين ما يجاوره من عناصر، ثم بيان رتبته من حيث التقديم والتأخير (في ضوء مجموعة من المحكات التي تتكرر في كثير من أبواب النحو، مثل: الألفاظ التي لها الصدارة، والحصر، وخوف اللبس، وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة)، ثم بيان متى يحذف جوازا (في حالة الحوار غالبا) ووجوبا (في أساليب معينة غالبا) ينتج عن هذا الإطار مجموعة من القواعد المعيارية المتعلقة بالوجوب والجواز والامتناع في مسائل المطابقة والربط والتقديم والحذف، وهى قواعد تحكم الاستخدام اللغوي السليم لكنها لا تفسر وظيفة هذه الظواهر النحوية وسبب اختيار المتكلم لها؛ أي إنها لا تنظر إلى النحو بوصفه اختيارًا[١].

١-٦ البلاغة العربية والاختيار

إن المطالع لمباحث علم البلاغة العربية يمكنه أن يدرك بسهولة أن هذا العلم مؤسس على أن أي استخدام للغة هو عمل اختيار من بدائل يطرحها نظام اللغة أمام المتكلم، وأن كل بديل منها له معنى معين، وأن الاستخدام اللغوي ـ من هذه الزاوية ـ

---

[١] يرى متأخرو النحاة أن معاني النحو هي خارج إطار موضوع الدرس النحوي، فابن هشام ـ على سبيل المثال ـ يرى أن كلام النحاة عن أغراض حذف الفاعل هو "تطفل منهم على صناعَة الْبَيَان" ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري المصري(-٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م. ص٧٤٨.

هو عملية اختيار للمعاني. إن قيام البحث البلاغي العربي على بيان الفروق الدلالية فيما بين صور التركيبية (في علم المعاني)، وفيما بين طرائق إيراد المعنى (في علم البيان) ـ هو ما يُؤهّل البلاغة لأن تكون أداة نقدية ـ وقد كانت ـ لأنها تستطيع أن تجيب عن السؤال: هل اختار المتكلم من بدائل النظام اللغوي ما يلائم غرضه والمقام أم لا؟ وهو ما يجعلها تتقاطع مع علم الأسلوب عند نقطة الاختيار. وعلى الرغم من اشتراك هاليداي والبلاغيين العرب في الارتكاز على مبدأ الاختيار، نجد بينهم فرقًا جوهريًا في الموضع الذي يبدأ منه الاختيار، فالبلاغيون يبدءون في علم المعاني من مواضع الجواز التي حددها النحاة، "على سبيل المثال في مبحث التقديم والتأخير نراهم يركزون على المواضع التي يكون التقديم فيها جائزًا وليس واجبًا، لسبب رئيسي هو أن البلاغي يتجه ببصره إلى حيث تكون الحرية في استخدام طاقات اللغة وإمكاناتها مكفولة، وهذا لا يتحقق في المواضع التي لا تسمح القواعد النمطية بالتصرف فيها، وقُل مثل هذا في مبحث الحذف حيث لا يناقش البلاغي مواضع الحذف الواجب، وإنما مواضع الحذف الجائز؛ لأن الحذف الواجب ليس مجالًا لإمكانية التصرف في التركيب"[1].

أما هاليداي فيبدأ من المعنى ثم يبحث عن كل الطرائق الشكلية التي تستخدمها اللغة للتعبير عن هذا المعنى ثم يقارن بينها. فجملة "لمحمد عِلْمٌ" ـ مثلا ـ لا نظر للبلاغي العربي فيها من حيث التقديم والتأخير؛ لأنه سيبدأ من صورتها التركيبية ثم يقول هذا من التقديم الواجب للخبر كما يقرر النحاة. أما من حيث التعريف والتنكير، فسيقول إن المتكلم اختار التنكير في (علم) للتقليل أو التكثير أو التعظيم...حسب المقام. أما هاليداي فسيبدأ من المعنى فيقول معنى الجملة وصف محمد بالعلم، ونظام اللغة العربية يقدم بدائل عديدة في هذه الحالة، الأصل فيها هو العملية الوصفية (محمد عالم) لكن المتكلم اختار العملية الاختصاصية (التي كما في: لمحمد بيت أو أخ) للوصف،

---

[1] عبد الحكيم راضي، نصوص بلاغية من مباحث المعاني، ص٢٤.

وللعملية الاختصاصية بدائل هي: لمحمد علم، محمد له علم، العلم لمحمد، محمد العلم له. (انظر الفصل الرابع: العملية الوصفية والاختصاصية)

بناء على هذا لا تتفق الدراسة وقول الدكتور تمام حسان: "النحو كما رأينا يجعل نقطة البداية هي المباني، وينطلق منها للوصول إلى غايته من المعاني،...أما علم المعاني (لاحظ دلالة التسمية) فربما اتجه معاكسا للنحو، فبدأ من المعنى باحثا له عن المبنى"[١] ـ لأن علم النحو وعلم معاني النحو كليهما يبدأ من التركيب ويستعين بالمعنى في بيان الفروق بين التراكيب، ومباحث علم المعاني كلها تكشف عن ذلك، أما العلم الذي يبدأ ـ بحق ـ من المعنى فهو علم البيان، حيث البداية من المعنى العام أو الغرض إلى تحققاته التركيبية الممكنة (في تشبيه أو استعارة أو كناية...إلخ) إلى بيان الفروق المعنوية بين هذه التحققات. وهو أقرب من هذه الزاوية إلى نحو هاليداي. وقد يقال: إن عبد القاهر "انطلق من المعنى، وذهب إلى أن ترتيب الألفاظ في الذكر تَبَعٌ لترتيب المعاني في النفس[٢]، حيث يقول:" وأما "نظم الكلم" فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتِّبُها على حسب ترتُّب المعاني في النفس"[٣]. وواضح أن هذا مرتبط بتفسير عملية إنتاج الكلام، وليس مطابقًا لما عليه الحال في دراسة علم المعاني؛ الذي لا يبدأ من معاني التوكيد والاهتمام والتخصيص...إلخ ثم يبحث عن تحققاتها التركيبية، وإنما يبدأ من التراكيب المتشابهة من جهة الترتيب أو الزيادة والنقصان...إلخ ثم يفرِّق بينها بأن يسند إلى كل منها معنى يخصه.

---

[١] تمام حسان، الأصول، ص٣١٢.

[٢] أحمد سعد محمد، نظرية البلاغة العربية: دراسة في الأصول المعرفية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م. ص ٤١. وراجع تفسيره لانطلاق عبد القاهر من المعنى في ضوء المذهب الأشعري وفكرة الكلام النفسي. ص٤٢-٤٣.

[٣] دلائل الإعجاز، ص٤٩.

١-٧ النحو وتحليل النصوص

استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يصوغ من النحو أداة منهجية لتحليل النصوص وتقييمها والمفاضلة بينها، متساميا به عن غايات السلامة اللغوية وتعليم اللغة. "ماذا يكون نظام اللغة العربية وقوامها بمعزل عن النحو؟ هذا هو السؤال الذي دعا إليه عبد القاهر. وهكذا كانت البلاغة خبرة متسامية بالنحو. فإذا وجدت الناس يشرحون نصوص الشعر ويقلبون عقولهم فيه دون احتكام إلى أنظمة نحوية فعالة، فمن الممكن أن تتصرف عما يصنعون أو أن تشك في قيمة النتائج التي يمكن الوصول إليها."[١] "وهكذا وجد عبد القاهر في أماكن كثيرةِ البلاغةَ القرآنيةَ لن تتضح اتضاحًا كاملًا إلا إذا أقيمت أسس للدراسة تبدأ من النحو في خارج العمل الأدبي ثم تنتهي إلى النحو في داخله"[٢].

هذا التصور الذي يراوح النظر بين النصوص ونظام اللغة هو أحد الأسس المنهجية لنحو هاليداي، يشرح ذلك بقوله: النحو هو نحو النظام والنص كليهما في الوقت نفسه. إن علماء اللغة في المدارس الوظيفية الأوربية الرئيسة: مدرسة براغ، والوظيفيين الفرنسيين، ومدرسة لندن، ومدرسة كوبنهاجن ـ جميعهم بطرق مختلفة ومترابطة ـ يعدون النص موضوع علم اللغة مع النظام جنبًا إلى جنب. ورأيهم أن المرء لا يستطيع أن يفهم أحدهما دون الآخر، فلو أن لدينا نظرية ممتازة عن نظام اللغة فإنها ستكون قليلة النفع إن لم تستطع أن تُفسِّر كيف يُولِّد النظام نصًّا، وبالمثل ستُضيف قليلا حين تُحلل نصًّا ما، إن لم تستطع أن تربطه بالنظام الذي يكمن وراءه؛ لأنه عندما يفهم أي شخص نصًّا ما، فإنه إنما يفهمه فقط لأنه يعرف نظام اللغة[٣]

---

[١] مصطفى ناصف، النحو والشعر: قراءة في دلائل الإعجاز، ص٣٥.

[٢] المرجع نفسه. ص٣٦.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. xxii.

ويشير هاليداي إلى طبيعة العلاقة الجدلية بين تحليل النص ودراسة نظام اللغة التي أُنتج بها بقوله: "يجب أن يُؤسس تحليل الخطاب على دراسة نظام اللغة، وفي الوقت نفسه السبب الرئيس لدراسة نظام اللغة هو إلقاء الضوء على الخطاب: على ما يقوله الناس وما يكتبونه وما يسمعونه وما يقرءونه. لابد أن يكون النص والنظام كلاهما في بؤرة الاهتمام، وإلا فلن يكون هناك طريقة لمقارنة نص بآخر، أو بما كان من الممكن أن يكونه (أي بصورته الافتراضية)[١]

١-٧-١ الاستغناء عن النحو في تحليل النصوص

يتفق هاليداي وعبد القاهر الجرجاني ـ على الرغم من الفارق الزمني والاختلاف الثقافي ـ على أن الاستغناء عن النحو في تحليل النصوص وهم خادع. يؤكد هاليداي أهمية النحو قائلا: "إن السبق اليوم والاتجاه السائد هو تحليل الخطاب أو اللسانيات النصية، ويظن بعض الناس أنه يستطيع أن يواصل تقدمه دون النحو، بل إنه بطريقة ما يمكن أن يعد بديلا للنحو، لكن هذا **وهم خادع Illusion**؛ فتحليل الخطاب الذي لا يُبنى على أساس النحو ليس تحليلا البتة"[٢] إن النص وحدة دلالية، وليس وحدة نحوية، لكن المعنى يتحقق ويُدرك في الصياغة Wording، ودون نظرية في الصياغة ـ أي: في النحو ـ ليس هناك وسيلة لتقديم تفسير واضح للمعنى في نص ما، ومن ثم فالاهتمام الحالي بتحليل الخطاب هو في الواقع يُقدِّم سياقا يحتل فيه النحو موقعا مركزيا."[٣] ومن قبله (بألف سنة تقريبا) يقول عبد القاهر: "فقد بان وظهر أن المتعاطي القول في "النظم"، والزاعم أنه يحاول بيان المزية فيه، وهو لا يعرض فيما يعيده ويبديه للقوانين والأصول

---

[1] Ibid. P. xxii.

[2] Ibid. P. xvi.

قارن موقف هاليداي بموقف عبد القاهر الجرجاني من الزاهدين في النحو وتأكيده أهميته في تفسير النصوص، وعلى رأسها القرآن. (دلائل الإعجاز، ص٢٨-٣٠)

[3] Ibid. P. xvii.

التي قدمنا ذكرها، ....، في عمياء من أمره، وفي غرور من نفسه، **وفي خداع من الأماني والأضاليل**".[1]

١-٨ النحو والوظيفة

هل النحو العربي نحو وظيفي؟ تتحدد إجابة هذا السؤال وفقا للمقصود بمصطلح "الوظيفة". يشير مصطلح الوظيفة - وفقا لهاليداي - إلى ثلاثة مفاهيم مختلفة، يعرضها الشكل (١-٢) [2]، الأول: يرادف الاستعمال أو الاستخدام، وهو مفهوم عام يكاد يكون مشتركًا بين النظريات اللغوية جميعها. والثاني: يشير إلى وظيفة العنصر أو الوحدة النحوية في التركيب. من هذا الجانب يمكن اعتبار النحو العربي وظيفيا إلى حد بعيد؛ لأنه مع استعراض كتب النحو قديمها وحديثها نجد أن أغلب الأبواب النحوية معنونة بالوظائف حتى إن كان الكتاب يقسم الأبواب وفقا للموقع الإعرابي، ولا يشوب هذا الجانب الوظيفي إلا بعض المواضع التي جار فيها جانب الصنعة النحوية على جانب الوظيفة. (المثال الأوضح على ذلك هو الاسم الواقع بعد "يا أيها" حيث يختلف النحاة في إعرابه ما بين النعت والبدل وعطف البيان والخبر[3]، ويتفقون في أنه لا يعرب منادًى!) أما المفهوم الأخير فيُقصَد به أن تفسير نظام اللغة يرتكز على وظيفتها واستخدامها، وهذا المفهوم هو المُميِّز لهاليداي عن سابقيه، حيث يربط في تحليله بين

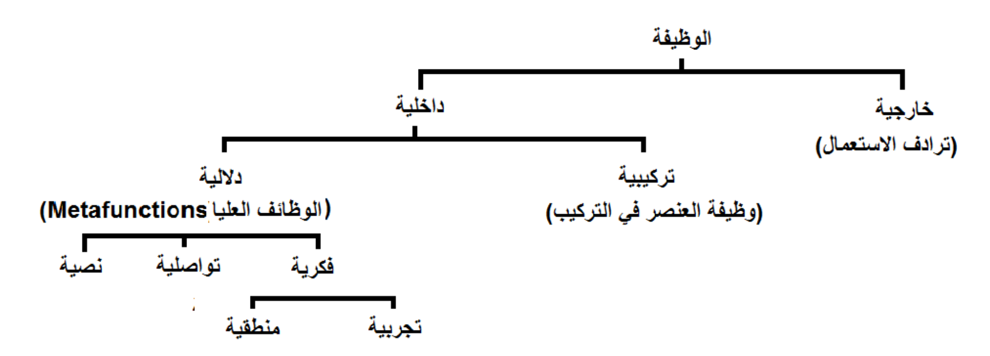
---

[1] الدلائل، ص٣٩٢.

[2] Matthiessen, C. M. I. M., Teruya, K., & Lam, M. (2010). *Key terms in systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum. P. 103. (Halliday, M. A. K., & Webster, J. J. (eds.). (2009). *Continuum companion to systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum. P. 253.)

[3] انظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج٢، ص ٣٨-٤٠. وابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (-٦٤٣هـ) شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م. ج١، ص٣٣٧-٣٣٩. وابن عقيل، عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (-٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، د.ت. ج٣، ص ٢٦٩.

الوظائف العليا للغة Metafunctions (وهي ذات طابع دلالي) ومكونات النظام النحوي. من هذا الجانب يفتقد النحو العربي الإطار النظري الذي يربط به بين وظائف اللغة[1] ونحوها.



الشكل (١-٢) مفاهيم الوظيفة وأقسامها

مع محاولة تأسيس نحو وظيفي لتحليل النصوص وتقييمها يجد الدارس أنه من اللازم النظر إلى النحو بوصفه اختيارا بين بدائل متعددة يطرحها نظام اللغة، والإعراض عن التفسيرات التي تستعين بلغة شارحة غير مستعملة فعليا، أو التي تنظر إلى اللغة "كما ينبغي أن تكون لا كما هي بالفعل".[2]

---

[1] من حيث هي أداة للتفكير في العالم الواقعي والمتخيل ولتمثيله لغويا، وللتواصل، ولصياغة النصوص.

[2] راجع تفسير ابن عقيل لبناء "هنا" بقوله: "لشبهها حرفًا كان **ينبغي** أن يُوضع فلم يُوضع. وذلك لأن الإشارة معنى من المعاني، **فحقها** أن يُوضع لها حرف يدل عليها..." شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص٣٢. أو قول مهدي المخزومي: "وهناك موضوعات منصوبة وكان **حقها** ألا تُنصَب؛ لأنها مسند إليه...وحق المسند إليه أن يكون رفعا" مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص٨٤.

١-٩ الاتجاه الوظيفي وأهم مدارسه

الاتجاه الوظيفي في علم اللغة هو أحد اتجاهات الفكر اللغوي الحديث، يركز أنصاره "على الاستعمال الفعلي للغة والوظائف التواصلية المختلفة لها"[١]، ويرون أنه "لا يمكن النظر إليها من منظور تركيبي مجردة عن سياقها الاجتماعي والثقافي، فإنما هي في الأساس ظاهرة اجتماعية تتأثر وتؤثر في المنظومة الثقافية والاجتماعية الخاصة بها"[٢]. وبهذا يتاخم الاتجاه الوظيفي فروعا لغوية أخرى كالتداولية وعلم اللغة النصي وتحليل الخطاب، ويتقاطع معها؛ "فعلم اللغة النصي وتحليل الخطاب كلاهما "لا ينظر إلى اللغة باعتبارها نظاما مجردا، بل ينظران إليها في سياقات اجتماعية، أي أنهما يتعاملان مع منتجي اللغة ومتلقيها بالقدر نفسه الذي يتعاملان به مع الصيغ اللغوية"[٣] يضم الاتجاه الوظيفي مدارس متعددة تشترك في "التركيز على جانب الدلالة، وترفض هذه النظريات التوصيف اللغوي الذي يركز على البنية أو الشكل form بمعزل عن الدلالة...ولا يشتمل التحليل اللغوي وفقا لهذه النظريات[٤] على أية قواعد تحويلية، حيث إن الربط بين الجانب الدلالي والصيغ التركيبية يتم مباشرة دون الحاجة إلى قواعد تحويلية أو بنية تحتية"[٥]. ومن أهم ما يميز هذا الاتجاه "انعكاس النظرة الوظيفية على كيفية

---

[١] ميشيل ماكارثي، قضايا في علم اللغة التطبيقي، ترجمة: عبد الجواد توفيق محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م، ص٢٣١-٢٣٢.

[٢] المرجع نفسه، ص ٢٣٧

[٣] المرجع نفسه، ص ١٢٩.

[٤] الأدق أن يقال "وفقا لبعض النظريات" لأن هناك بعض النظريات التي تفيد من الاتجاهين الوظيفي والشكلي.

[٥] المرجع نفسه، ص٢٣٨.

تحليل اللغة" وأن "الجانب الوظيفي ليس شيئا منفصلا عن النظام اللغوي"[١] وهذه السمة أشد وضوحا لدى هاليداي."[٢]

يرى يحيى أحمد أن الربط بين النظام اللغوي وأداء المعاني له ثلاثة مظاهر في الاتجاه الوظيفي، هي: (أ) التركيز على الفروق الدلالية بين اختيارات المتكلم من أبنية اللغة وتراكيبها المختلفة، (ب) انعكاس البنية الاجتماعية على اللغة وعدم إمكان فصل الثقافة (التراث، والعادات والتقاليد...) عن اللغة، (ج) تضافر عناصر اللغة ومستوياتها في أداء المعاني.[٣]

١-٩-١ حلقة براغ

انعقد الاجتماع الأول لحلقة براغ في أكتوبر ١٩٢٦م بمبادرة من اللغوي ماثيسيوس Mathesius ثم تجمع حوله عدد من اللغويين من بلدان مختلفة وتكررت لقاءاتهم بشكل دوري، حتى توالت خطوب على الحلقة فشتَّتتْ أفرادها، منها إغلاق القوات الألمانية جميع جامعات تشيكوسلوفاكيا مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وموت تروبتسكوي أحد العلماء البارزين في الحلقة عام ١٩٣٩م، وفرار رومان ياكبسون من الحكم النازي إلى الولايات المتحدة، ووفاة ماثيسيوس مؤسس الحلقة عام ١٩٤٥م[٤].

إن أهم سمتين تميزان النشاط اللغوي لحلقة براغ هما، أولا: دراسة المعنى من منظور وظيفي يربط بينه وبين مستويات اللغة كلها من جانب، وبينه وبين الواقع الخارجي من جانب آخر. وهم بذلك يختلفون عن البنيويين الأمريكيين الذين درسوا

---

[١] يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام بالكويت، أكتوبر. نوفمبر. ديسمبر ١٩٨٩، ص٧٠-٧١.

[٢] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م. ص٢٧٧.

[٣] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٧١-٧٢.

[٤] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص ٧٤. وجفري سامسون، مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧م. ص ١٠٥.

المعنى في ضوء معطيات علم النفس السلوكي. ثانيًا: تركيز التحليل اللغوي على إيضاح الوظائف التي تؤديها الأبنية اللغوية المختلفة في استخدام اللغة.[١]

ومن أبرز إسهاماتهم في مجال التحليل اللغوي نموذج قدمه ماثيسيوس باسم "المنظور الوظيفي للجملة" Functional Sentence Perspective "ويقوم هذا التحليل على أساس القيمة الاتصالية للغة."[٢] يقسم التحليل الجملة إلى مكونين هما المحدث عنه Theme والحديث [*]Rheme، وهذا التقسيم قائم على أساس ما يعلمه السامع مسبقا وما يراد إعلامه به.[٣] فتبدأ الجملة بالمحدث عنه عادة ثم يليه الحديث، وهذا هو الترتيب المحايد [أو غير الموسوم Unmarked أو ما يناظر "الأصل" في اصطلاح النحاة العرب] هو يمثل الترتيب المألوف الذي يراد به الإخبار فحسب، أما إن أراد المتكلم إبراز عنصر معين من عناصر الجملة فهو يعدل عن هذا الترتيب إلى غيره.[٤]

تجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح "Theme" في المنظور الوظيفي للجملة يصدق على ما يعده هاليداي Topical Theme أي المحدث عنه الموضوعي، وعلى Given أي ما هو معلوم أو معروف للسامع، معنى هذا أن مصطلح"Theme" ـ من هذه الزاوية ـ أخص عند هاليداي منه عند حلقة براغ.[٥]

---

[١] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص ٧٤–٧٥. ومدارس اللسانيات، ص١٠٥.

[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٧٦.

[*] يترجمهما يحيى أحمد بـ "المسند" و"المسند إليه" وستناقش الدراسة مدى دقة هذه الترجمة مناقشة تفصيلية في الفصل الثاني.

[٣] مدارس اللسانيات، ص١٠٦.

[٤] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٧٦. ومدارس اللسانيات، ص١٠٧. و(جاك سي. ريتشاردز، وجون بلات، وهايدي بلات، وسي. إن. كاندلين، معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، ترجمة: محمود فهمي حجازي ورشدي طعيمة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٨٢.)

[5] Halliday, M. A. K. (1994). P.38. (Baker, M. (1992). *In other words: A coursebook on translation*. London and New York: Routledge. P. 121.)

وقد طور جان فرباس Jan Firbas هذا المنظور وقدم مفهوما وظيفيا جديدا سماه "دينامية الاتصال" Communicative Dynamism مركزا على المعلومات التي تنقلها عناصر الجملة، فأوضح أنها تتفاوت في قدر المعلومات التي تنقلها بالنسبة إلى المتلقي، فبعضها ينقل معلومات يعلمها المتلقي سابقا أو من السياق، ومن ثم فقدرتها على تحريك الحدث الكلامي منخفضة جدا، وبعضها الآخر جديد له أعلى درجة في دينامية الاتصال.[١] (وستناقش الدراسة الفرق بين هاليداي ولغويي براغ في تحليل تركيب المعلومات في الفصل الثاني: الجملة بوصفها رسالة)

١-٩-٢ مدرسة لندن

ترى الدراسة أن أهم ما يميز هذه المدرسة هو انطلاقها في دراستها اللغوية من احتياجات الواقع وتركيزها على الجوانب العملية في دراسة اللغة. فقد أنشئت مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية لخدمة الامبراطورية البريطانية التي امتدت مستعمراتها على مساحات واسعة من إفريقيا وآسيا، والتي كانت في حاجة لدراسة لغات البلاد المستعمرة وثقافتها كما كانت في حاجة لوصف اللغة الإنجليزية: أصواتها وقواعدها لتسهيل تعليمها للأجانب. وقد كان فيرث J.R. Firth أول من عيِّن أستاذا لعلم اللغة العام في هذه المدرسة وفي الجامعات البريطانية. وقد ركزت كتاباته على المعنى والأصوات، وتوسَّع من تتلمذ على يديه في تطبيق أفكاره في مجال المفردات والنحو.[٢]

وكان من أهم ما توصل إليه فيرث ـ في دراسته الصوتية ـ من أفكار سيكون لها صدى أو تطور عند هاليداي، ما يلي: (أ) أن النظام الصوتي في أية لغة يتألف

---

[١] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٧٧. (Baker, M. (1992). pp. 160-166.)

[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨١. وانظر كذلك مدارس اللسانيات، ص٢٢٧-٢٢٨. محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي: مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص١٦.

من عدة أنظمة Polysystemic[1] (وهذه الفكرة سيطورها هاليداي في دراسته للنحو لتصبح اللغة كلها نظاما مكونا من أنظمة أو **شبكة من الأنظمة** Network of Systems ، ومن الواضح أن في هذا تحولا عن تصور اللغة بوصفها نظاما واحدا عند دي سوسير[2]) وأن النظام هو نظام من المعاني، وكل اختيار لصوت إنما هو اختيار لمعنى[3] (وهذه فكرة أساسية في تصور هاليداي لأنظمة النحو المعجمي) (ب) العناية بجانب **الاختيار** في تصوره لمفهوم النظام، "فالنظام، بلغة فيرث هو مجموعة من الاختيارات أو البدائل"[4] وهذه العناية تزداد عند هاليداي مع تركيزه على تحليل النصوص وضرورة الربط بين النص والنظام اللغوي، يقول سامسون: "وإليكم المفتاح إلى النحو في مدرسة لندن: إنه مثل الصوتيات الوظيفية عند فيرث، يهتم بالدرجة الأولى بطبيعة ومضمون الاختيارات المختلفة التي يجريها المرء (سواء أكانت تلك الاختيارات تتخذ عن وعي أو بلا وعي)[5] عند اتخاذه قرارا بنطق جملة معينة من العدد غير المحدود من الجمل التي توفرها لغته[6]."

ينظر فيرث إلى اللغة بوصفها نشاطا اجتماعيا يقوم به أفراد المجتمع في تحقيق أغراض معينة. ويرى أن المعنى هو نتاج "علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس وليد لحظة معينة فحسب بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضا حصيلة المواقف

---

[1] علم اللغة النظامي، ص١٧، ومدارس اللسانيات، ص٢٢٨.

[2] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص ١١٨، ٢١٣.

[3] علم اللغة النظامي، ص١٧.

[4] مدارس اللسانيات، ص٢٤٢. علم اللغة النظامي، ص١٧.

[5] تؤكد بري أنه من الأهمية بمكان أن ندرك أن مصطلح "الاختيار" هنا لا يستلزم بالضرورة أن تكون الاختيارات واعية أو حرة، ما يهم علم اللغة هو الاختيارات التي اتخذت بصرف النظر عن درجة الحرية في اتخاذها أو الوعي بها. راجع: Berry, M. (1975). *An introduction to systemic linguistics: structures and systems*. London: B.T. Batsford Ltd. P. 53.

[6] مدارس اللسانيات، ص٢٤٢. علم اللغة النظامي، ص١٧.

الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع. فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال سياق الحال Context of Situation"[١]

يفيد فيرث في تأسيس نظريته في دراسة المعنى من ملاحظات عالم الأنثروبولوجيا البولندي مالينوفسكي Malinowesky الذي واجه في خلال بحوثه الميدانية عن أهالي جزر تروبرياند ـ صعوبةً في ترجمة ما يقوله أهل تلك الجزر إلى الإنجليزية لا سيما ما يتصل بعاداتهم وتقاليدهم.[٢] كان مالينوفسكي في حاجة إلى مصطلح يصف السياق غير اللغوي؛ لذا سك مصطلح "سياق الحال/ الموقف" Context of situation في مقال له عام ١٩٢٣م، ثم رأى أنه لتقديم وصف دقيق من الضروري عدم الاكتفاء بوصف سياق الحال، ويلزم تقديم معلومات عن الخلفية الثقافية التي تكمن وراء المشاركين في التفاعل اللغوي، ووراء النشاط الذي يمارسونه ؛ لأنها تسهم في فهم المعنى؛ لذا قدم مصطلح السياق الثقافي.[٣] "ويعتقد مالينوفسكي أن التكلم ليس "قولا" بل "عمل"... وأن الكلمات هي أدوات، و"معنى" الأداة يكمن في استعمالها"[٤]

وقد أفاد فيرث من ملاحظات مالينوفسكي في تكوين وجهة نظره التي عبر عنها في مقال كتبه عام١٩٣٥م قال فيه: "علم اللغة كله دراسة للمعنى، والمعنى كله وظيفة في سياق."[٥] وقد عبّر هيليبيج عن هذا بقوله: "لقد كان المعنى عند فيرث حجر الزاوية

---

[١] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨١–٨٢.

[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٢. وعلم اللغة النظامي، ص٢٢. ومدارس اللسانيات، ص٢٣٨.

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). *Language, context and text: Aspect of language in social- semiotic perspective.* (2nd ed.). Oxford: Oxford University Press. pp. 6-7.

[٤] مدارس اللسانيات، ص٢٣٨. "وقد استطاع فتجنشتاين أن يحقق شهرة واسعة بإعادة صياغة هذه الفكرة بعد مالينوفسكي بوقت طويل، وأخذها عنه أوستن ـ حسب ما يقول جون ليونز ـ لتكون منطلقا لوضع نظرية الفعل الكلامي" علم اللغة النظامي، ص٢٤.

[5] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P. 8.

في النظرية النحوية، وكان يرى أن عمل اللغوي ينصب كله على المعنى؛ ولهذا لم يكن يرى سببا لتخصيص مستوى من مستويات الدرس لعلم الدلالة."[١]

حدد فيرث مجموعة من العوامل التي تضع إطارا لوصف سياق الحال، هي: الجوانب المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي (كالسن والنوع والمكانة الاجتماعية، وعلاقة بعضهم ببعض..إلخ). والحدث اللغوي نفسه وما يصاحبه من ظواهر أدائية صوتية وجسدية. والأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي. وأثر اللغة في المتلقي.[٢] ومن الانتقادات التي وجهت لهذا الإطار ـ كما قالت د. ولسون ـ أن الأمور المادية المرتبطة بحدث لغوي معين لا يحدها الحصر؛ لذا يقول هاليداي: "من المهم أن نقيد فكرة السياق، وذلك بأن نضيف لها كلمة "ذات صلة" relevant؛ لأن سياق الحال لا يعني كل صغيرة وكبيرة في المحيط المادي"[٣]. وقد طور هاليداي الإطار الذي وضعه أستاذه فيرث لوصف سياق الحال، وقدم إطارًا آخر يقوم على ثلاثة أركان فقط هي: المجال Field، وطبيعة المشاركة Tenor، والصيغة Mode. (انظر: ١-١٠-٦-٢ تصور هاليداي لسياق الموقف).

أفاد فيرث من تمييز دي سوسير بين علاقات الاستبدال Paradigmatic Relations وعلاقات التتابع Syntagmatic Relations اللتين تكونان بين العناصر اللغوية[٤]. واستعان بهذا التمييز في ربط نظام اللغة باستخدامها. وقد تابعه في هذا

---

[١] علم اللغة النظامي، ص٢٩.

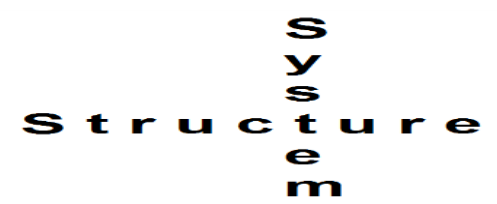
[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٣. وعلم اللغة النظامي، ص٢٧. وكذلك:
Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P. 8.

[٣] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٤.

[٤] محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، د. ت. ص ٣٤. (Berry, M. (1975). P. 54.)

هاليداي ـ كما ستعرض الدراسة لاحقا ـ معطيا أولوية لمحور الاستبدال[١]؛ حتى يجعل النحو أداة صالحة لتحليل النصوص وتقييمها.

وقد أوضح فيرث طبيعة العلاقة بين نظام اللغة والتركيب بتمثيلها على محورين، أحدهما رأسي تقع عليه عناصر النظام اللغوي التي يمكن استبدال أو إحلال أحدها محل عنصر معين في التركيب المدروس، والمحور الآخر أفقي تتتابع عليه عناصر التركيب (الأصوات وفقا للقوانين الصوتية للغة، والمفردات وفقا لعلاقات التصاحب اللفظي collocation والتضام النحوي colligation) كما بالشكل (١-٣)[٢] :



الشكل (١-٣) العلاقة بين نظام اللغة والتركيب

يمكن للدراسة أن تقدم مثالا من العربية لتوضيح الفرق بين علاقات الاستبدال وعلاقات التتابع على مستوى الأصوات والمفردات، ففي جملة "لم يتكبدِ العدو خسائر فادحة قط؛ فقد كان جنوده على أُهبة الاستعداد." أولا: على مستوى الأصوات، على المحور الرأسي استبداليا، يمكن أن يحل محل الميم من "لم" صوامت أخرى كالنون، فينتج البديل (لن) وعلى المحور الأفقي تتابعيا، سنجد، مثلا، الدال من "يتكبد" كسرت للتخلص من التقاء الساكنين وفقا لقوانين التتابع الصوتي في العربية. وعلى مستوى المفردات، على المحور الرأسي استبداليا، يمكن أن يحل محل كلمة "العدو" كلمات أخرى كالجيش، ومحل "قط"

---

[١] (إنه لا يفسر اللغة بأنها مجموعة من التراكيب، وإنما يفسرها بأنها شبكة من الأنظمة، أو مجموعة من الاختيارات ذات علاقات متداخلة، وهي اختيارات لصناعة المعنى، هذه الاختيارات ليست محدَّدة بالنظر إلى التركيب: إنها سمات تجريدية تماما، يُضم التركيب إليها بوصفه الوسيلة التي بها تنتقل هذه السمات إلى حيز التأثير أو "تتحقق".P. 15 .)

[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٨.

مطلقا، وعلى المحور الأفقي تتابعيا، نجد علاقات التصاحب اللفظي بين المفردات في (تكبد خسائر، خسائر فادحة، على أهبة الاستعداد) وعلاقات التضام النحوي بين "لم" والمضارع "يتكبد" والظرف "قط"، وبين حرف الجر "على" والاسم "أهبة" الذي لم ينون لإضافته للاسم "الاستعداد". وقد يمتد الاستبدال إلى أشباه الجمل والجمل.

وتذهب مدرسة لندن إلى أن المعنى لا يقتصر على مستوى واحد من مستويات اللغة من حيث أداؤه أو على مستوى التحليل اللغوي[١]، وهاليداي يؤكد هذه المسألة عند حديثه عن أن اللغة وسيلة لصناعة المعنى، فالمعنى المقصود ليس المعنى المعجمي للمفردات فقط، وإنما المعنى الكلي للغة.[٢]

١-٩-٣ الوظيفية عند دِل هايمز Dell Hymes

يبدو النموذج الوظيفي الذي قدمه أقرب إلى المقترحات العملية في تناول الجانب الدلالي منه إلى النظرية اللغوية المكتملة؛ وهو يعد رد فعل للتيار العقلاني الذي نشره تشومسكي وأتباعه منذ منتصف الستينيات. فقد رأى هايمز أن تصور تشومسكي للقدرة Competenceعلى أنها تمكن من القواعد اللغة ومن توليد عدد غير متناه من الجمل الصحيحة نحويا ـ لا يلتفت إلى الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم ذهب إلى أن "أي حديث عن قدرة المرء على اللغة ينبغي أن يربط باستعمال اللغة في بيئة ثقافية ـ حضارية معينة" وكان من أهم مقترحات ربط القدرة بمناسبة السياق اللغوي، وحال المتكلم والمتلقي، ونطاق الاستخدام اللغوي Register، والأعراف والتقاليد الاجتماعية.[٣] فمن خلال عمله

---

[١] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٨.

[2] Halliday, M. A. K. (1975). *Learning how to mean: Explorations in development of language*. (In Explorations in Language Study), London: Edward Arnold. P. 9.

[٣] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٩٣-٩٥.

في إثنوجرافيا الاتصال اقترح (هايمز، ١٩٦٧) مجموعة من المفاهيم لوصف السياق اللغوي تشبه من وجوه عديدة ما اقترحه فيرث، وهي شكل الرسالة ومحتواها، وزمن الاتصال ومكانه setting، والمشاركون، وهدف الاتصال وتأثيره، وأسلوب الاتصال Key، والوسيط المستخدم فيه، والنوع genre ومعايير التواصل.[١]

١-٩-٤ النحو الوظيفي عند سيمون دِك Simon Dik

هذا الاتجاه يجمع بين المرتكزات النظرية العامة للاتجاه الوظيفي والمنطق الصوري، وبهذا يختلف عما "قدمته المدارس الوظيفية السابقة من تحليل غير معقد مستمد من الاستعمال المباشر وليس من تطبيق المنطق...فنقطة الخلاف إذن بين المجموعتين هي أن الوظيفيين يحللون اللغة من خلال مصطلحات دلالية تدل دلالة مباشرة على وظيفة الجملة، في حين أن الوظيفيين الجدد [أصحاب هذا الاتجاه] يرون أن الوظيفة يمكن إبرازها بالإسناد المنطقي. ولكن الجميع يتفقون حول فكرة عامة تجعل الاتجاه الوظيفي متميزا من بين الاتجاهات اللغوية الأخرى، وهذه الفكرة تتمثل في أن اللغة أداة اتصال في الحياة الاجتماعية، وأن القواعد الاجتماعية والأعراف والتقاليد تتحكم في اللغة. وحينما نصف اللغة يجب أن نصفها من خلال وظيفتها في البيئة الاجتماعية التي تؤدي فيها تلك اللغة وظيفتها."[٢]

---

[1] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.9.

محمد حسن عبد العزيز، علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م. ص٢٧٣.

[٢] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٩٧. (ويذهب يحيى أحمد إلى أن الوظيفيين [ما عدا سيمون دِك] لا يحفلون "بجدلية النظرية اللغوية وإلى أي حد تتمثل فيها الكفاية الوصفية descriptive adequacy والكفاية التفسيرية explanatory adequacy فالنظرية ليس هدفا، وإنما هي إطار يتم من خلالها الكشف عن الخيارات المتاحة أمام المتكلم. الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٧٢.)

١-٩-٥ النحو الوظيفي النظامي عند هاليداي

١-٩-٥-١ هاليداي

مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي عالم لغوي من أبرز أعلام مدرسة لندن في علم اللغة. ولد في ليدز بإنجلترا سنة ١٩٢٥م. حصل على الليسانس في اللغة الصينية وآدابها من جامعة لندن، ثم درس بعد تخرجه علم اللغة في الصين في جامعة بكين، وجامعة لينجنان، ثم في كامبريدج حيث حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٥م.

بعد أن شغل بعض الوظائف في كامبريدج وأدنبرو انتقل إلى "الكلية الجامعية" بلندن سنة ١٩٦٣م مديرًا لمركز أبحاث الاتصال، وهناك أدار مشروعين بحثيين، أحدهما عن الخصائص اللغوية للغة الإنجليزية العلمية، والآخر عن علم اللغة وتعليم الإنجليزية: ونتاجًا عن هذا المشروع صدر كتابان أحدهما للمدارس الابتدائية والآخر للثانوية. وفي سنة ١٩٦٥م عُيِّن أستاذًا لعلم اللغة العام، واقترن تعيينه بمسئوليته عن تأسيس قسم جديد لهذا التخصص. ظل هاليداي يعمل في "الكلية الجامعية" بلندن حتى عام ١٩٧٠م. وفي الفترة ما بين عامي ١٩٧٣م و١٩٧٦م عمل أستاذا لعلم اللغة في جامعة إلينواي. ومع بداية عام ١٩٧٦م عيِّن رئيسا لقسم جديد لعلم اللغة في جامعة سيدني، وهذا هو المنصب الذي يشغله الآن [١]. اختير مستشارا في مشروع التطوير اللغوي لمركز تطوير المناهج الدراسية فيما بين ١٩٧٦م و١٩٧٨م، ومن ثم كان عضوًا في لجنة خبراء المشروع الخاصة بالاستشارات والمراجعة.

درَّس هاليداي في الجمعية اللغوية التابعة للمعاهد اللغوية الصيفية الأمريكية في إنديانا سنة ١٩٦٤م، ولوس أنجلوس ١٩٦٦م، وفي متشجان ١٩٧٣م، وقد اختير عضوًا شرفيًا في الجمعية سنة ١٩٧٨م. وعمل أستاذًا زائرًا في جامعات ييل، وبراون،

وإيرفاين، ونيروبي. في الفترة ما بين ١٩٧٢م و١٩٧٣م كان زميلا لمركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية في ستانفورد، كاليفورنيا. في سنة ١٩٦٩م مُنِح الدكتوراه الفخرية من جامعة نانسي بفرنسا. وفي سنة ١٩٨١م حصل على جائزة دافيد هـ. راسل للأبحاث المتميزة في مجال تعليم الإنجليزية من المجلس الوطني لمعلمي الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية[١].

"لقد قام علم اللغة النظامي في مبدأ أمره على أفكار اللغوي الإنجليزي البارز ج. ر. فيرث J. R. Firth (١٨٩٠-١٩٦٠) الذي كان أثره في تلامذته عظيما، وكان أكثرهم وعيا بأفكار أستاذه، واستيعابا لها، مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي الذي استطاع أن يمنح هذه الأفكار التماسك والوضوح"[٢] "الذين تفتقر إليهما"[٣] "على أن هاليداي لم يكتف بما تمثله من أفكار فيرث، بل وسّع دائرة معارفه، فأفاد من مصادر أخرى لعل أهمها نظرات مالينوفسكي، وورف، وهيلمسلف، ومدرسة براغ في وضع نظرية محكمة للوصف اللغوي من الممكن استخدامها في وصف لغات مختلفة"[٤]

ويرى محمود نحلة أن النظرية مرت بثلاث مراحل: أولاها: "بدأت بالبحث الذي نال به درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٥م بعنوان "لغة الصينيين: التاريخ السري للمغول"... واتضحت معالم النظرية في هذه المرحلة بالبحث الذي اكتمل قبل وفاة أستاذه فيرث ونشره سنة ١٩٦١م بعنوان "فصائل نظرية النحو" وقد سميت النظرية في هذه المرحلة باسم "**نحو المقياس والفصيلة** Scale and Category Grammar"".

---

[1] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.iii.

(آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٦٩-٢٧٠)

[٢] علم اللغة النظامي، ص٥.

[٣] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧٠.

[٤] علم اللغة النظامي، ص٥. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧٠. .(Halliday, M.A.K. (1994). xxvi.)

أما المرحلة الثانية فقد بدأت منذ منتصف العقد السادس من القرن العشرين، واتسمت بزيادة اهتمام هاليداي بفصيلة "النظام" من الفصائل الأربعة (الوحدة، والصنف، والتركيب، والنظام) التي حددها في المرحلة الأولى؛ لذا سميت النظرية في هذه المرحلة باسم "**النحو النظامي** Systemic Grammar".[١]

أما المرحلة الثالثة فقد كانت ثمرة اهتمام هاليداي "المتزايد بوظائف اللغة في المجتمع وما يعبر عنها من تراكيب، وقد وضع به أسس نظرية وظيفية غير منبتة الصلة عن الأسس المنهجية التي قام عليها فكره اللغوي في المراحل الثلاث، بل إن نحوه النظامي يمثل المرتكز الأساسي لنحوه الوظيفي، ومن هنا تميزت نظريته عن نظريتين وظيفيتين معاصرتين، هما النحو الوظيفي عند سيمون دك S. C. Dik (١٩٨٠) والنحو الوظيفي التوحيدي عند كاي Kay (١٩٨٤–١٩٨٥) "[٢] ويؤرخ محمود نحلة لهذه المرحلة بكتاب هاليداي: "An Introduction to Functional Grammar" ١٩٨٥م.

ينبغي هنا الإشارة إلى أمرين: الأول أن محمود نحلة قد قدم تعريفا بالنظرية في مرحلتيها الأولى والثانية مع بعض الأمثلة من اللغة العربية، تاركا المرحلة الثالثة لمن يأتي بعده من الباحثين؛ لأنها تتميز ـ كما يقول ـ بالثراء والعمق بحيث تحتاج إلى بحث منفرد يعنى بجوانبها المختلفة."[٣] الأمر الآخر أن هذه الدراسة هي محاولة لاستكمال ما بدأه محمود نحلة من حيث انتهى؛ لذا يعد كتاب هاليداي السالف الذكر المصدر الرئيس

[١] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧١. وعلم اللغة النظامي، ص٦. وكذلك:
Crystal, D. (2008). *A dictionary of linguistics and phonetics*. 6th ed. USA, UK & Australia: Blackwell Publishing. P. 223.

[٢] علم اللغة النظامي، ص٧. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧٢. انظر الجدول١(١).

[٣] علم اللغة النظامي، ص٧.

لها[١]، غير أن الدراسة لا تقتصر على التعريف بالمرحلة الثالثة؛ إذ إنها في الأساس محاولة لقراءة النحو العربي (في ضوء فكر لغوي ينطلق من أسس مغايرة وينشد تحقيق غايات مختلفة)؛ من أجل تأسيس نظرية عربية وظيفية يكون لها صدى وتأثير في المجال التطبيقي، وتضطلع بالوصف والتفسير والتقييم.

١-٩-٥-٢ الأسس المنهجية للنحو النظامي

(أ) دراسة اللغة من منظور سيموطيقي اجتماعي

أوضح هاليداي أن مصطلحي "اجتماعي وسيميوطيقي" يمكن قراءتهما ـ **على مستوى عام** ـ بوصفهما منظورا أو إطارا مفهوميا في تناول موضوع معين. وهو يرى أن المنظور الاجتماعي السيميوطيقي للغة سمة ميّزت تفكيره منذ أن اهتم بدراسة اللغة[٢]، وأن هناك وجهات أخرى لتفسير اللغة، وأنه إذ اختار المنظور الاجتماعي لم يختره؛ نبذا أو إقصاء للمداخل الأخرى؛ أو لأنها قليلة الأهمية أو غير وثيقة الصلة باللغة، وإنما لأن القضايا والمسائل التي يهتم بها خاصة التعليمي منها يبدو البعد الاجتماعي لها ذا أهمية بالغة...[٣]

ويمكن قراءتهما **على مستوى خاص**، تشير فيه السيميوطيقا وفقا لهاليداي إلى "دراسة أنظمة العلامات، أو بعبارة أخرى دراسة **المعنى** بمفهومه العام." ومن ثم يعد علم اللغة فرعا من فروع السيميوطيقا؛ إنه جانب من دراسة المعنى. وهناك طرق عديدة للتعبير عن المعنى غير اللغة تشمل الفنون وصور السلوك الثقافي الأخرى، وكلها

---

[١] صدرت الطبعة الثانية من الكتاب سنة ١٩٩٤م، وهي الطبعة الأساسية التي تعتمد عليها الرسالة. وصدرت منه الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٤م، وقد راجعها اللغوي كريستيان ماتسيين. وتتميز الطبعة الثالثة عن أختها السابقة بمعاودة الاهتمام بالجانب النظامي؛ لذا نجد فيها رصدا مفصلا لأنظمة اللغة.

[2] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.3.

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). pp. 4-5. (Halliday, M. A. K. (2002a). On grammar. (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 1. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. pp. 6-7.)

حاملات معنى في الثقافة. ويُعرِّف هاليداي الثقافة بأنها "مجموعة من الأنظمة السيميوطيقية، أي مجموعة من أنظمة المعنى، مترابطة جميعا". مما سبق يتضح أن المقصود بالمنظور "السيميوطيقي" ذلك "المنظور الذي يرى اللغة نظاما ضمن مجموعة من أنظمة المعنى التي تكوّن مجتمعة الثقافة البشرية". أما مصطلح "اجتماعي" فيستخدمه هاليداي بمعنيين، أحدهما عام يشير إلى النظام الاجتماعي، وبهذا يكون مرادفا للثقافة. والآخر خاص يبين العلاقات بين اللغة والبنية الاجتماعية بوصفها جانبا من جوانب النظام الاجتماعي.[1]

ما يميز اللغة بوصفها نظاما سيموطيقيا عن نظام إشارات المرور ـ مثلا ـ هو أنها نظام يبدع create المعنى، إمكان المعنى meaning potential في اللغة مفتوح الأفق، يمكن أن تُبدَع معانٍ جديدة، وبالفعل تُبدَع، في حين أن إمكان المعنى في نظام إشارات المرور ثابت، لا يمكن أن يُبدِع معانيَ غير مركبة فيه. لكن ذلك لا يميز اللغة عن الموسيقى؛ فهي أيضا نظام سيموطيقي يُبدِع معانيَ، وهنا تأتي السمة الفريدة للغة بين الأنظمة السيموطيقية الأخرى، وهي قدرتها على أن تصف نفسها.[2]

اللغة نظام سيميوطيقي معقد؛ لأن العلامات قد تتجمع لتكون علامات أكبر؛ ولأن أزواج العلامات قد تتكسر وتتكون أزواج أخرى؛ ولأنه ذو طبقات؛ ولأن العلامات

---

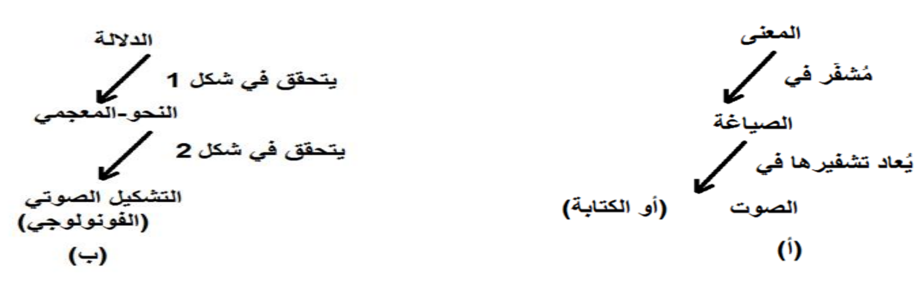
[1] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P. 4. (وعلم اللغة النظامي، ص٤٩-٥٢)

(فالبنية اللغوية من وجهة نظره لا "تعكس" البنية الاجتماعية، وإنما "تحققها" من خلال ترميز ذي فاعلية عبر علاقة إبداع متبادل بين البنيتين. ولأن اللغة تمثل المجتمع إشاريا واستعاريا، فإنها لا تنقل فقط النظام الاجتماعي وإنما تُحافظ عليه وتعدله أيضا.)

Halliday, M. A. K. (2007). *Language and Society.* (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 10. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. P. 261.

[2] Halliday, M. A. K. (2009b). P.60.

قد تدخل في شبكات.[1] يتكون نظام اللغة من ثلاث طبقات ودورتي تحقق، كما في الشكل (١-٤)[2].



الشكل (١-٤) علاقات التحقق بين مستويات النظام اللغوي

(ب) الاختيار ومفهوم "إمكان المعنى"

يرى هاليداي أن استخدام اللغة شأنه شأن غيره من صور السلوك الثقافي أو الاجتماعي يقوم على الاختيار من بين إمكانات تتيحها الأعراف اللغوية والاجتماعية والثقافية في مجتمع معين.[3] وبناء على هذا يقوم التحليل اللغوي لنص معين على تحديد الاختيارات التي قام بها المتكلم أو الكاتب وما لها من دلالة، ثم تحديد الاختيارات أو

---

[1] Halliday, M. A. K. (2003). *On language and linguistics*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 3. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. pp. 5-7.

[2] Halliday, M. A. K. (2002a). p. 196-197.

مفهوم التحقق يشمل اختيار عنصر ما (الفاعل مثلا) ودمج عنصرين معا (الفاعل والمحدث عنه) وترتيب العناصر، تصنيفها (تصنيف عملية عقلية: إدراك حسي) وتقسيمها (تقسيم الصيغة مسند ومسند إليه) والاختيار المعجمي (أن يكون الفاعل: "محمدا")

Halliday, M. A. K. (2003). p.435.

[3] علم اللغة النظامي، ص٥٤.

البدائل الأخرى الممكنة التي لم يخترها وما لها من دلالة أيضًا. هذه الاختيارات هي في الأساس اختيارات في المعنى، ولكن مُعبَّر عنها بالتنغيم، والمفردات، والتراكيب النحوية...إلخ[١].

إمكان اللغة language potential هو إمكان معنى. (مدى غير محدود نظريًا من بدائل المعنى)[٢] وإمكان المعنى هو تحقق لغوي لإمكان السلوك، و"يمكن أن يعني" تُكافئ "يمكن أن يفعل" حين تترجم إلى اللغة. إمكان المعنى يتحقق بدوره في نظام اللغة بوصفه إمكانا نحويا معجميا[٣]، هو ما "يمكن أن يقوله" المتكلم.[٤]

(جـ) تفسير اللغة وظيفيًّا

ليس هاليداي أول من تكلم عن وظائف اللغة، فقد سبقه علماء كثيرون لغويون وغير لغويين قدموا تصنيفات عديدة لوظائف اللغة، منهم الأنثروبولوجي مالينوفسكي(١٩٢٣م) الذي قسمها إلى (مقامية، وسحرية: فاعلة وروائية) وعالم النفس كارل بولر(١٩٣٤م) الذي ميز بين الوظيفة التعبيرية التي ترتبط بالمتكلم، والوظيفة النزوعية التي تتجه إلى المخاطب، والوظيفة التمثيلية التي تتعلق بما سواهما، ورومان ياكوبسون(١٩٦٠م)الذي أضاف لتصنيف بولر ثلاث وظائف أخرى، هي الوظيفة الشعرية وترتبط بالرسالة، والوظيفة التعاملية وترتبط بقناة الاتصال، والوظيفة الشارحة وترتبط بشفرة الاتصالCode. وكذلك جيمس بريتون(١٩٧٠م) الذي قسم الوظائف إلى

---

[١] معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، ص٦٧٧.

[2] Halliday, M. A. K. (1975). P. 16.

[٣] ولكن لا يوجد علاقة تناظر أحادي تامة بين الاختيارات الدلالية والاختيارات النحوية. .Halliday, M. A. K. (2007) P. 50))

(Halliday, M. A. K. (2002a). pp. 196-197.)

[4] Halliday, M. A. K. (2007). pp.47-48. (Halliday, M. A. K. (1973). P. 51.)

الوظيفة التعاملية، والتعبيرية، والشعرية. وعالم الحيوان دزموند موريس(١٩٦٧م) الذي قسم الحديث إلى أربعة أقسام: إخباري، وانفعالي، واستكشافي، ثرثرة مهذبة في المناسبات الاجتماعية (وهي كما يقول هاليداي ما أشار إليه مالينوفسكي قبله بأربعين عاما باسم اتصال المجاملة Phatic communication مثل السؤال عن الحال والكلام عن الطقس لتجنب الإحراج والاحتكاك).[١]

ويرى هاليداي أن هذه التصنيفات، وإن بدت مختلفة، يجمعها أمران: الأول أنها جميعا تدرك أن اللغة تستخدم للحديث عن أشياء (إخبارية، روائية، تمثيلية) وتستخدم لأغراضي وأغراضك، للتعبير عن الذات والتأثير في الآخرين (انفعالية، تعبيرية، نزوعية، فاعلة) وبعضها يرصد دافعا ثالثا لاستخدام اللغة في وظيفة إبداعية أو جمالية.

أما الأمر الآخر فهو أنها أسست إطارًا مفهوميًا بمصطلحات غير لغوية، ناظرةً إلى اللغة من الخارج، واستخدمت هذا الإطار لتفسير الطرق المختلفة التي يستخدم الناس بها اللغة. وفي كل هذه التفسيرات لوظائف اللغة يمكننا أن نرى أن مفهوم الوظيفة يعد مرادفا لمفهوم الاستعمال.[٢]

إذًا، فما الذي يميز تناول هاليداي للوظيفة؟ أنه يخطو خطوة أبعد، فلا يفسر التنوع الوظيفي بوصفه مجرد تنوع في استعمال، وإنما بوصفه أصلا قارا في اللغة، وبوصفه الأساس نفسه الذي يقوم عليه تنظيم اللغة، خاصة تنظيم نظامها الدلالي. بعبارة أخري يُفسِّر هاليداي الوظيفة بوصفها خاصية جوهرية للغة وأساسا لنشأة النظام الدلالي ولتطوره.[٣]

---

[1] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). pp. 15-16.

(آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧٣–٢٧٥)

[2] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). pp. 16-17. (Halliday, M. A. K. (1975). P. 52.)

آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٧٦–٢٧٧. ومحمد العبد، العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م. ص ٤٢.

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.17. Matthiessen, C. M. I. M., Teruya, K. & Lam, M. (2010). *Key terms in systemic functional linguistics.* London and New York: Continuum.

يذهب هاليداى إلى أن التنظيم الداخلى للغة هو انعكاس للوظائف التى تؤديها، وأن للغة ثلاث وظائف: الوظيفة الفكرية Ideational: لترتيب العالم الحقيقي أو المتخيل للمتحدث أو الكاتب، "وهذا يعنى أن اللغة تشير إلى أشخاص، وأشياء، وأفعال، وأحداث، وحالات حقيقية أو خيالية".[١] وهذه الوظيفة تعبر بذلك عن محتوى الواقع الخارجي المحيط بالإنسان والداخلي الكامن في نفسه. والوظيفة التبادلية Interpersonal: "ترتبط بالعلاقات بين الأشخاص، وهى تقوم بإظهار هذه العلاقات أو إنشائها أو الحفاظ عليها، وتتضمن أساليب الخطاب، ووظائف التحدث". والوظيفة النصية Textual: "الإنتاج نصوص مكتوبة أو شفهية متسقة داخليا ومتناسبة مع الموقف الذي تستخدم فيه".[٢] وهذه الوظيفية يعدها هاليداي وظيفة "تمكينية" بمعنى أنه لا وجود للوظيفتين السابقتين دونها.[٣] ويُعد نحو هاليداي وظيفيا بثلاثة معانٍ مختلفة ومترابطة في الوقت نفسه: (١) في تفسيره للنصوص (٢) في تفسيره للنظام اللغوي (٣) في تفسيره لعناصر التركيب اللغوي

(١) هو وظيفي بمعنى أنه قد أُعد ليقدم بيانا عن كيفية **استخدام** اللغة[٤]. إن كل نص - أي: كل ما يقال أو يكتب - يتضح معناه في سياق استخدامه، واستخدام اللغة عبر عشرات الآلاف من الأجيال هو الذي شكَّل نظامها. إن اللغة قد وُجدت لتلبي احتياجات الإنسان وطريقة تنظيمها هي وظيفية بالنسبة إلى هذه الاحتياجات لا اعتباطية. "النحو

P. 101. (Halliday, M. A. K. (1973). pp. 7, 44.) (Halliday, M. A. K. (1975). P. 16.) (العبارة والإشارة، ص٤٣.)

[١] معجم لونجمان لتعليم اللغات ص٢٨٥. علم اللغة النظامي، ص٥٣.

[٢] معجم لونجمان لتعليم اللغات ص٢٨٥.

[3] Halliday, M. A. K. (2002a). P. 173-175. (العبارة والإشارة، ص٤٣–٤٧)

[4] Halliday, M. A. K. (1973). P. 7.

الوظيفي في جوهره *نحو طبيعي*، أي أن كل شيء فيه يمكن شرحه وتفسيره في نهاية المطاف بالإشارة إلى كيفية استخدام اللغة"[1].

(٢) يلزم عن ذلك أن المكونات الأساسية **للمعنى** في اللغة مكونات وظيفية. إن كل اللغات تنتظم حول نوعين أساسيين من المعاني، هما: (أ)المعاني الفكرية أو التصورية. (ب)المعاني التبادلية أو التواصلية. هذان المكونان ـ يُسميان الوظيفتين العُلْيَيَيْن Metafunctions وفقا لمصطلحات النظرية المقدمة هنا ـ هما تجليان أو مظهران في النظام اللغوي لغرضين عامين جدا يكمنان وراء كل استخدامات اللغة: فهم العالم المحيط بنا "فكري"، والتواصل مع الآخرين الموجودين في هذا العالم "تبادلي". ويتحد مع هذين المكونين المكون ذو الوظيفة العليا الثالثة: المكون النصي الذي له وظيفة تمكينية Enabling ينفث بها الترابط فيهما، أو ـ باستعارة أخرى ـ يُقدِّم الخيوط التي سيحاك منها نسيج النص[2].

(٣) كل عنصر من عناصر البناء اللغوي يُفسَّر بالإشارة إلى وظيفته في النظام اللغوي كله، وبناء على هذا المعنى "فإن النحو الوظيفي يُفسَّر كل وحدة من وحدات اللغة تبعًا لوظيفتها في الوحدة التامة التي تقع فيها.[3] (راجع الشكل (١–٢))

(د) ارتكاز النظرية على مفهوم النظام

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. xiii. (Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). *Construing experience through meaning: A language- based approach to cognition.* London: Continuum. pp. 7-12.)

[2] Caffarel, A. (2006) A systemic functional grammar of French: From grammar to discourse. London & New York: Continuum. P.P. 13-14. Halliday, M. A. K. (1975). pp. 16-7.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. xiv

النظرية النظامية هي نظرية في اللغة والأنظمة السيموطيقية الأخرى، وتعد نظرية "النظام ـ التركيب" عند فيرث مصدرا أساسيا من مصادرها[١]، غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن فيرث يعطي لمحوري النظام والتركيب الأهمية نفسها، وأن هاليداي طور نظرية أستاذه بأن أعطى الأولوية لمحور الاستبدال Paradigmatic الذي تتوزع عليه عناصر النظام، وابتكر شبكات الأنظمة system networks لتمثيل التنظيم الاستبدالي للنظام[٢]، وهي التي قادته إلى إدراك تنظيم اللغة من حيث وظائفها العليا Metafunctions وإلى تصور وحدة النحو والمفردات، فرأى أن العلاقة بينهما علاقة تفصيل Delicacy هما يقعان على طرفي متصل أو سلسلة متدرجة continuum من الأقل تفصيلا (النحو) إلى الأكثر تفصيلا (المفردات). ومع الزيادة الاهتمام بمفهوم "النظام" أصبحت النظرية "نظامية"، وبدمج مفهوم الوظائف العليا أضحت "وظيفية" وبتصور وحدة النحو والمفردات صارت نظرية في النحو المعجمي .Lexicogrammar[٣]. يوضح الجدول ١(١) موقع النحو النظامي الوظيفي بين بعض نظريات النحو الأخرى:

الجدول ١(١) تصنيف لبعض نظريات النحو قائم على متغيرين[٤]

	نظامي	**تركيبي**
وظيفي	النحو الوظيفي النظامي عند هاليداي	النحو الوظيفي التوحيدي عند كاي، النحو الوظيفي عند دِك، نحو الدور والإحالة Role and Reference، النحو المعجمي الوظيفي

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. xxvi. (Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). pp. 214-215.) (Caffarel, A. (2006). P.4.)

[٢] شبكة الأنظمة هي نظرية في اللغة بوصفها مصدرا لصناعة المعنى، كل نظام في الشبكة يقدم اختيارا: مجموعة من البدائل الممكنة، وقد تكون البدائل دلالية أو نحوية معجمية أو صوتية. تركز هذه الدراسة على البدائل النحوية المعجمية. (Halliday, M.A.K. (1994). P.xxvi.)

[3] Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). pp. 214-215. (Halliday, M. A. K. (2003). P. 433.)

[4] Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). P. 216.

شكلي	Daughter Dependency Grammar عند هدسون	النحو التحويلي عند تشومسكي، Phrase structure grammar

تُميِّز النظرية النظامية الوظيفية بين مبدأين أساسيين من مبادئ تنظيم اللغة: التنظيم النظامي systemic والتنظيم التركيبي structural. التنظيم النظامي يشير إلى المفهوم العام للنحو بوصفه مصدرا لصناعة المعنى أو إمكانا دلاليا. وهذا يقابل مفهوم النحو بوصفه مجموعة من القواعد rules ويقابل التركيز على التراكيب وبنائها في الأنحاء الشكلية. في النظرية النظامية الوظيفية مبدأ التنظيم الأساسي هو النظامي، أي أنها ترى النحو مجموعة من الاختيارات المترابطة المتاحة للمتكلم ليعبر بها عن المعاني، وترى التراكيب تحققات realizations أو تجليات manifestations لاختيارات من الأنظمة.[١]

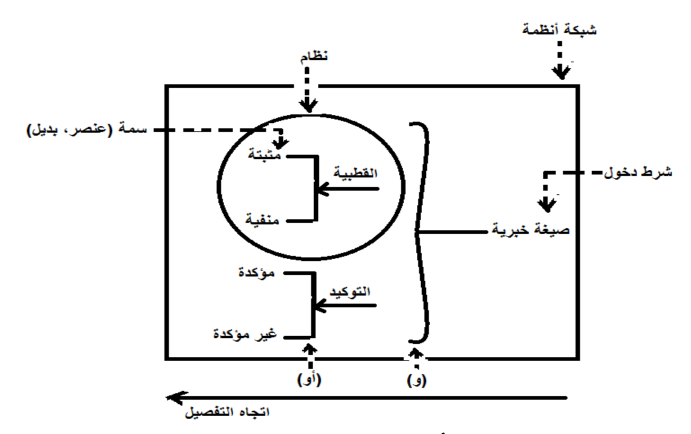
ويمثل النظام مقولة مركزية في تمثيل التنظيم الاستبدالي لأي مستوى من مستويات اللغة (الصوتي، والنحوي، والدلالي). وهو يتكون من (١) التقابل[٢] بين عنصرين (أو أكثر) تمثلهما سمتان (٢) شرط الدخول: الذي يحدد الموضع الذي يحدث فيه التقابل، ويمثل سمة بالنسبة لنظام آخر. وحين يجتمع شرطا دخول أو أكثر تتكون شبكة نظام.[٣] والشكل (١–٥) يوضح ذلك[٤]:

[1] Lavid, J., Arus, J., & Zamorano-Mansilla, J. R. (2010). *Systemic functional grammar of Spanish: A contrastive study with English*. London and New York: Continuum. pp. 2-3. (Halliday, M. A. K. (2009b). pp. 64-66.)

[2] يختلف عن مصطلح التعارضات عند دي سوسير؛ لأن مصطلح سوسير يقترح أن كل contrasts مصطلح المقابلات التقابلات ثنائية، فتحويل الأنظمة التي تتضمن أكثر من عنصرين إلى مجموعات من التعارضات الثنائية قد يكون تعسفيا ومضللا دلاليا، فمثلا إن طُبِّق على نظام الزمن (ماض، مضارع، مستقبل) سيتحول إلى الأزواج التالية (ماض، غير ماض– مضارع، غير مضارع– مستقبل، غير مستقبل). راجع:
Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P. 47.

[3] Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). P.211. xxvi. (Caffarel, A. (2006). P.12.) (Lavid, J., Arus, J. and Zamorano-Mansilla, J. R. (2010). pp. 3-5.)

[4] Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). P.213.



الشكل (١–٥) تمثيل بياني لشبكة أنظمة صغيرة

من أبرز خصائص النظام أنه مكون من بدائل أو اختيارات، هذه الاختيارات هي في الأساس اختيارات معانٍ يميّز بينها نحو اللغة.[١] وللنظام خصائص أخرى يكشف عنها الشكل السابق، منها: (أ) أنه مغلق، أي يتألف من عدد محدود من العناصر. (ب) أن عناصر النظام الواحد هي بدائل، أي أن اختيار أحدها يمنع اختيار غيره من النظام نفسه mutually exclusive[٢]، (وهذا ما تعبر عنه القوس المربعة بيانيا ـ في الشكل السابق ـ التي تعني "أو") فالصيغة الخبرية من حيث القطبية Polarity إما مثبتة **أو** منفية، ومن حيث التوكيد إما مؤكدة **أو** غير مؤكدة. (جـ) أن عملية الاختيار قد تكون تتابعية أو تزامنية[٣]، والمقصود بالتتابعية أن يختار من نظام ثم يختار من النظام الذي يليه على محور التفصيل، (كأن يختار صيغة إنشائية ثم يختار طلبية ثم أمرًا). أما التزامنية فتعني أن يختار من نظامين (أو أكثر) يقعان عند النقطة نفسها على محور التفصيل، في الوقت نفسه (وهذا ما تعبر عنه القوس المنحنية بيانيا ـ في الشكل السابق ـ التي تعني "و")، كأن يختار في الشكل السابق من نظامي القطبية والتوكيد، فيكون أمام أربعة بدائل (مثبتة مؤكدة، مثبتة غير مؤكدة، منفية مؤكدة، منفية غير مؤكدة).

---

[1] Berry, M. (1975). P. 143.

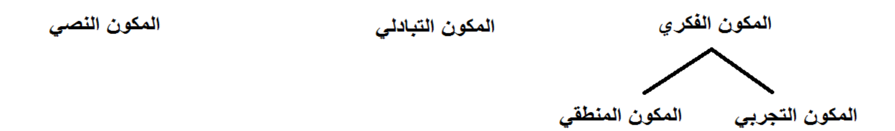
[2] Matthiessen, C. M. I. M., & et al. (2010). P. 151. (Berry, M. (1975). P. 144-145.)

[٣] مدخل إلى علم اللغة النظامي، ص٥٧.

(مما سبق يتضح الخلط في تقسيم تمام حسان، ومن بعده محمود نحلة، حيث قسما الخبر إلى إثبات ونفي وتوكيد)[١]

(هـ) الانطلاق من المعنى إلى الصياغة

يقوم تصور هاليداي للنظام الدلالي على افتراضات، الأول: أن النظام الدلالي نظام ذو ثلاثة مستويات تُكوِّن النظام اللغوي (المستوى الدلالي[٢] (علم الدلالة) والمستوى النحومعجمي (علم النحو وعلم الصرف والمفردات) والمستوى الصوتي (علم الأصوات وعلم الفونولوجي)) والثاني: أن النظام الدلالي له أربعة مكونات: المكون التجربي والمنطقي والتبادلي (التواصلي) والنصي، المكونان الأول والثاني وثيقا الصلة ومن الممكن دمجهما تحت اسم المكون الفكري، كما في الشكل (١-٦):



الشكل (١-٦) مكونات النظام الدلالي

---

[١] اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٢٤. ومدخل إلى علم اللغة النظامي، ص١٢٤.

[٢] لا يُقصد بمصطلح الدلالة Semantics معناه الضيق، أي الدلالة المعجمية التي تنصب على معاني المفردات، وإنما يشير إلى كل معاني اللغة، سواء أكانت معاني مشفّرة في شكل مفردات أم لا. راجع:

(Halliday, M. A. K. (1975). P. 9) (Halliday, M. A. K. (1994). P. xvii.)

والثالث: أن كل مستوى وكل مكون يُوصف بأنه شبكة من الاختيارات: مجموعة من الاختيارات المترابطة لها الشكل العام: " إن اخترت أ فإما أن تختار ب أو ج " وتنويعاته الأخرى مثل "إن اخترت أ فلك أن تختار (س) أو (ص) أو (ع) من النظام الأول و (ل) أو (ن) من النظام الثاني... وهكذا. إذن الوصف هو وصف استبدالي (جدولي/ تصريفي) فيه تُعرَّف أو تُعيَّن بيئة الاختيار استبداليًّا أيضًا. وبيئة أي اختيار هي مجموعة الاختيارات الأخرى المرتبطة به ومنها الاختيارات التي تُعيِّن شرط الدخول إليه. والوصف ذو نهاية مفتوحة: ليس هناك نقطة عندها لا يوجد تقسيمات فرعية ممكنة[1]. والرابع: أن كل مكون في النظام الدلالي يُعيِّن تراكيبه الخاصة كمخرجات أو نواتج للاختيارات في الشبكة (كل فعل من أفعال الاختيار يسهم في تكوين التركيب). وظيفة المستوى النحومعجمي هي أن (يراكب) يضع هذه التراكيب بعضها فوق بعض ليكوِّن تركيبا مفردا متكاملا يُمثِّل كل المكونات في آن معا. وكل تركيب نحومعجمي يُبنى ليعبِّر عن المكونات الأربعة، والخامس: أن النظام النحومعجمي منظَّم حسب الرتبة[2] (في مقابل تركيب المكونات المباشرة) كل رتبة هي موضع تشكيلات تركيبية مختلفة.

وبناء على ما سبق تصبح كل وحدة: الجملة البسيطة أو المركب الاسمي أو الفعلي...إلخ بنية مركبة؛ فهي اتحاد أو دمج لتراكيب كل واحد منها ينشأ من مكون من المكونات الدلالية. فالجملة البسيطة على سبيل المثال لها تركيب مشتق من نظام التمثيل، الذي هو جزء من المكون التجربي. في الوقت نفسه لها تركيب مشتق من نظام

---

[1] قارن هذا بقول عبد القاهر: "وإذ قد عرفت أن مدار أمر "النظم" على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد ازديادا بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض." الدلائل، ص٨٧.

[2] مفهوم الرتبة في النحو العربي يشير إلى علاقة الترتيب بين العناصر في الجملة، أما في النحو الوظيفي فيشير إلى علاقة هرمية بين وحدات التحليل النحوي.

الصيغة، الذي هو جزء من المكون التبادلي أو التواصلي. ولها أيضا تركيب ثالث مشتق من النظام الحديثي، الذي هو جزء من المكون النصي."[١]

الدلالة والنحو كلاهما نظام مجرد والعلاقة بينهما هي علاقة تحقق: المعنى يتحقق في الصياغة، والصياغة تتحقق بدورها في الصوت أو الكتابة. فالمعنى مشفر في الصياغة بوصفهما كيانا واحدا. إن اختيار وحدة نحوية له دلالة، ومكانها في تتابع ما له دلالة ثانية، واتحادها مع وحدة أخرى له دلالة ثالثة، وتنظيمها الداخلي له دلالة أخرى. ما يفعله النحو هو فرز كل هذه المتغيرات الممكنة وتصنيفها وتحديد وظائفها الدلالية.[٢]

حقيقة أن هذا نحو **وظيفي** تعني أنه مُؤسس على المعنى، ولكن حقيقة أن هذا **نحو** تعني أنه تفسير للأشكال اللغوية[٣] إحدى طرق التفكير في النحو الوظيفي المقدم هنا هي أنه نظرية نحوية موجَّهة تجاه دلالة الخطاب، بعبارة أخرى، لو قلنا إننا نُفسِّر النحو وظيفيا، فذلك يعني أننا نركز على دوره بوصفه وسيلة لتمثيل المعنى[٤]

(و) سياقية النصوص

أشارت الدراسة سابقا إلى اهتمام مدرسة لندن بالسياق، وهذا الاهتمام يستمر عند هاليداي، فهو يرى "أن اللغة لا تفهم إلا إذا كانت في نصوص، والنصوص لا تفهم

---

[1] Halliday, M. A. K. (2002b). *Linguistic Studies of Text and Discourse*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 2. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. P. 23-24

Halliday, M. A. K (1978). *Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning.* U.S.A. University Park Press, pp. 128-130.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. xix.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P.xx.

[4] ibid. P. 15. (Halliday, M. A. K. (1973). P.42)

إلا إذا كانت في سياقاتها الاجتماعية والثقافية"[١] ومن ثم فهو يركز على النص وعلى الموقف الذي فيه انبثق النص، وفيه ينبغي أن يُفسَّر.[٢]

(١) تصور هاليداي للنص

يرى هاليداي أن النص قطعة من اللغة منطوقة أو مكتوبة لها وظيفة في سياق ما.[٣] وأنه ـ وإن بدا حين يدوَّن مكونا من كلمات وجمل ـ مكونٌ حقيقةً من معانٍ، هذه المعاني يُعبرَّ عنها be expressed أو تُشفَّر[٤] be coded (أو تتحقق[٥] be realized، أو يرمز إليها be symbolized) في كلمات وتراكيب، وهذه بدورها يعبَّر عنها أو يعاد تشفيرها في صورة رموز صوتية وكتابية.[٦] وأنه يجب النظر إلى النص من زاويتين في آن واحد، بوصفه عملية process خطوات متتابعة من الاختيار الدلالي، وحدثا اتصاليا، وتبادلا اجتماعيا للمعاني.(وهذا أوضح ما يكون في الحوار) وبوصفه منتجا product مُخرَجا لعملية اختيارات المعاني، يمكن تسجيله ودراسته.[٧]

(٢) تصور هاليداي لسياق الموقف

---

[١] علم اللغة النظامي، ص٥٩. (Caffarel, A. (2006). pp. 11-12.)

[2] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P. 5..

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). pp .10-11.

[٤] (أشار هاليداي في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه "مقدمة للنحو الوظيفي" (P. x) إلى أن اللغة ليست شفرة، وإلى أنه قد استخدم استعارة التشفير؛ لأنها طريقة ميسَّرة لإيضاح بعض النقاط، لكن ليس هناك معانٍ تنتظر هنا وهناك أن يتم تشفيرها؛ فالمعنى يتخلق في اللغة.)

[٥] التحقق realization يشير إلى العلاقة بين المستويات، بين الدلالة والنحو المعجمي، النحو المعجمي يحقق الدلالة أو الدلالة تتحقق في شكل النحو المعجمي، انظر

Halliday, M. A. K., & Matthiessen, C. M. I. M. (2006). P. 25. (Halliday, M. A. K. (2009b). pp. 62-3.)

[6] Caffarel, A. (2006). P.5, 8.

[7] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). pp. 10-11. (Fairclough, N. (1989). *Language and power*. New York: Longman. P.24.)

يقدم هاليداي إطارا نظريا من مفاهيم ثلاثة يستخدمها لوصف السياق الاجتماعي للنصوص، هذه المفاهيم هي: المجال Field وطبيعة المشاركة Tenor والصيغة Mode، ويقصد بالمجال: الحدث الاجتماعي الذي يقوم به المشاركون في النص. وتشير طبيعة المشاركة إلى: المشاركين، وطبيعتهم وصفاتهم، ومكانتهم الاجتماعية (والمهنية)، والعلاقات بينهم (الدائم والمؤقت منها، علاقات الدور الكلامي (مخاطب، متكلم، سائل، مجيب...) والعلاقات الاجتماعية. وتشير الصيغة إلى دور اللغة: التنظيم الرمزي للنص، ويشمل قناة الاتصال (منطوقة، مكتوبة، مزيج من خصائص الصيغتين)، والصيغ البلاغية، وما تحاول إنجازه (الإقناع، الشرح والإيضاح، التوجيه والوعظ...إلخ).[١]

(٣) كيفية ربط النص بالسياق

يعبر عن المجال من خلال الوظيفة التجريبية Experiential في علم الدلالة، وعن طبيعة المشاركة من خلال الوظيفة التبادلية، وعن الصيغة[٢] من خلال الوظيفة النصية. كما يوضح الجدول ١(٢):

الجدول ١(٢) العلاقة بين النص وسياق الموقف[٣]

الموقف	(يتحقق بـ)	النص

[1] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.12.

وكذلك: علم اللغة النظامي، ص٦١-٦٣. ومعجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، ص٦١٦.

[٢] يعد هاليداي مفهوم نوع النص جانبا من "الصيغة"؛ فهو يرى أن هناك غالبا اقترانا بين نوع أدبي بعينه وسمات دلالية بعينها من النوع الفكري أو التبادلي، مثلا، الدعاء (نوعا أدبيا) واختيارات محددة في نظام الصيغة. (Halliday, M. A. K. (2002b). P. 57-58)

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1989). P.26. Halliday, M. A. K (1978). pp. 116-7, P.142-145, 188-9. Halliday, M. A. K. (2002b). P. 54-58. (Ghadessy, M.(ed.). (1999). *Text and context in functional linguistics*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company. P. 27.)

وكذلك: نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط٢ ، ٢٠٠٥ ، ص١٦٤. وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٢٩٣.

سمات السياق		المكونات الوظيفية للنظام الدلالي
مجال الخطاب (ما يحدث)	⇐	المعاني التجريبية (التمثيل، بناء الفعل،...)
طبيعة المشاركة في الخطاب (من المشاركون)		المعاني التبادلية (صيغة الجملة Mood ، الموقفية،Modality ...)
صيغة الخطاب (الدور المنسوب للغة)		المعاني النصية (بنية الحديث وبنية المعلومات Thematic and information structures، والسبك...)

يفسر هاليداي نجاح البشر في الاتصال والتفاهم من خلال القول بقدرة الإنسان على توقع ما سيقال، "إننا نقوم بالتنبؤ دون وعي، بطبيعة الحال، وهذا هو الذي يجعلنا نفهم ما يقال"[١] "فالسياق الذي يحدث فيه التواصل اللغوي يعطي المشاركين قدرا كبيرا من المعلومات عن المعاني التي يتبادلونها، وعن المعاني التي يمكن أن يتبادلوها"[٢]. كما يفسر هاليداي قدرة الإنسان على الاندماج في حوار دائر بالفعل ـ أيا كان موضوعه أو وقت الدخول إليه ـ بتصور أن الشخص يقوم ببناء السياق في ذهنه بملاحظة ما يجري معتمدا على مفاهيم المجال وطبيعة المشاركة والصيغة.[٣]

١-١٠ بين الوظيفيين والشكليين

يرى هاليداي أن التعارض الرئيس فيما بين النماذج النحوية التي قُدمت في النصف الثاني من القرن العشرين هو بين النماذج النحوية التي تكون في الأصل تتابعية syntagmatic في توجهها (الأنحاء الشكلية عامة بجذورها المتأصلة في المنطق

[1] Halliday, M. A. K. (2002b). P. 54. (علم اللغة النظامي، ص٦٠)

[٢] علم اللغة النظامي، ص٦٠-٦١.

[٣] علم اللغة النظامي، ص٦٤. ونظرية الترجمة الحديثة، ص ١٦١- ١٦٢.

والفلسفة) والنماذج النحوية الاستبدالية paradigmatic (الأنحاء الوظيفية عامة بجذورها المتأصلة في البلاغة والأثنوجرافيا).[١]

يُفسِّر الشكليون اللغة بأنها قائمة من التراكيب أو الأبنية التي تنشأ بينها ـ في خطوة تالية ـ علاقات منتظمة (ومن ثم يكون المدخل إلى التحويلات) وهم يميلون إلى التركيز على السمات العالمية[٢] متناولين النحو (الذي يسمونه علم التراكيب syntax) بوصفه أساس اللغة (ومن ثم يكون النحو اعتباطيا) ومنتظما حول الجملة. أما الوظيفيون فيفسرون اللغة بأنها شبكة من العلاقات مع تراكيب أو أبنية تُجسد هذه العلاقات، وهم يميلون إلى التركيز على الجوانب المتغايرة بين اللغات متناولين الدلالة بوصفها أساس اللغة (ومن ثم يكون النحو طبيعيا) وينتظم النحو حول النص أو الخطاب. وهناك كثير من التيارات المتقاطعة بين هذين القطبين تبادلت الأفكار والرؤى...[٣]

وترصد مارجريت بري بعض الاختلافات الأساسية بين اللغويات النظامية واللغويات التحويلية التوليدية منها[٤]:أن اللغويات النظامية تولي كل الاهتمام والأولوية للجوانب الاجتماعية، وتولي الجوانب النفسية اهتماما أقل بكثير [٥]على عكس الحال في اللغويات التحويلية التوليدية. وأن اللغويات النظامية ترى اللغة شكلا من أشكال "الفعل"

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. xxvii.

[٢] وتجدر الإشارة هنا إلى أن الاختلافات بين الاتجاهين هي اختلافات في الدرجة لا في النوع، وأن كلا الاتجاهين يرى أن النشاطين مترابطان؛ فوصف لغة بعينها هو جزء من اكتشاف السمات العامة للغة، كما أن تصورات اللغويين عن اللغة عامة تؤثر في وصفهم للغات معينة. Berry, M. (1975). P.22-23.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. xxviii.

[4] Berry, M. (1975). P.22-32. (قضايا في علم اللغة التطبيقي، ص٧٢-٧٦.)

[٥] يقول هاليداي في ذلك: تتجه النظرية نحو اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية أكثر منها ظاهرة فردية، وأصل النظرية وتطورها ينحاز بها تجاه طرائق الشرح والتفسير الاجتماعية أكثر من النفسية. (Halliday, M.A.K. (1994). P. xxx) ويقول محمود فهمي حجازي: "نجد صلة تجددت مع تشومسكي في الربط بين علم اللغة وعلم النفس، واتخذت أشكالا متعددة" البحث اللغوي، ص٤٣.

لا شكلا من أشكال "المعرفة"[1]: ميَّز دي سوسير بين ما أسماه اللغة langue"" وما أسماه الكلام "parole" وشبَّه "اللغة" بقطعة موسيقية و"الكلام" بطرق أدائها المختلفة. فاللغة هي البناء الثابت الذي يكمن وراء الكلام الذي هو تلفظات فعلية للغة في مواقف معينة. أدرك الاتجاهان النظامي والتحويلي كلاهما أهمية التمييز الذي صنعه سوسير، وضمَّنا نظريتيهما مفاهيم مشابهة لمفهومي اللغة والكلام. إن نظرة التحويليين إلى اللغة على أنها معرفة هي جزء من اهتمامهم بالجوانب النفسية للغة، كما أن نظرة النظاميين للغة على أنها إمكانات للفعل مرتبطة بالسياق الثقافي هو جزء من اهتمامهم بالجوانب الاجتماعية للغة. يبقى مفهوم "الكفاءة" أبعد عن مفهوم "اللغة" عند سوسير من مفهوم "إمكانات السلوك اللغوي "؛ ذلك أن الكفاءة خاصية للفرد، أما إمكانات السلوك اللغوي، واللغة، فهما في الأساس خاصية للجماعة اللغوية[2]. يمكن للدراسة أن تلخص ذلك كما في الجدول ١(٣).

الجدول ١(٣) اللغة والكلام بين دي سوسير والاتجاهين التحويلي التوليدي والنظامي

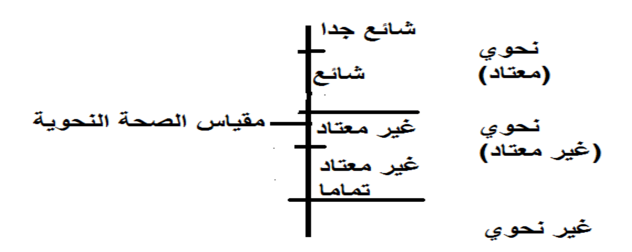
دي سوسير	**اللغة** "langue" مثل قطعة موسيقية	**الكلام** "parole" مثل طرق أدائها
الاتجاه التحويلي التوليدي	**الكفاءة** "competence" شكل من أشكال "المعرفة" معرفة المرء بلغته	**الأداء**"performance" هو استخدام المرء للغته في مواقف معينة، ما "يفعله" المرء لغويا.

[1] "الجديد هنا في التحولات التي أحدثها تشومسكي أن منهج التحليل التوليدي التحويلي حوّل مركز الاهتمام من السلوك الفعلي الظاهر إلى نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام اللغة وفهمها" محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص٤٥.

[2] يقول هاليداي: إمكان المعنى لا يتحدد من حيث العقل، وإنما من حيث الثقافة، وليس بوصفه ما يعرفه ابن اللغة، وإنما بوصفه ما يمكن أن يفعله لغويا. ولأن "يمكن أن يفعل" و"يفعل" من طبقة التجريد نفسها، والعلاقة بينهما هي علاقة الإمكان بتحقق الإمكان ـ قد يُستخدم أحدهما لتوضيح الآخر. أما "يعرف" و"يفعل" فمتمايزان ومنعزلان انعزالا واضحا، والعلاقة بينهما مركبة وغير مباشرة، وتقود إلى البحث عن "نظرية للأداء" تُفسِّر "يفعل". Halliday, M. A. K. (2007). .pp.47-48

	"يعرف"	"يفعل"
الاتجاه النظامي	"**إمكانات السلوك اللغوي**" مجموعة من إمكانات "الفعل": مجموعة من الاختيارات التي تسمح بها لغة المرء والثقافة التي ينتمي إليها، الأشياء التي "يمكن أن يفعلها" لغويا.	"**السلوك اللغوي الفعلي**" هو استخدام المرء للغته في مواقف معينة، ما "يفعله" المرء لغويا.
	"يمكن أن يفعل"	"يفعل"

ومن الاختلافات أيضًا أن اللغويات النظامية تشرح بعض جوانب اللغة بطريقة السلسلة المتدرجة cline لا الحدود الفاصلة. يمكن أن نضرب مثالا على ذلك بمسألة الصحة النحوية:grammaticality يميز النحو التحويلي التوليدي بين الجمل الصحيحة وغير الصحيحة نحويا وفقا لقبول ابن اللغة، على مقياس ذي جزأين فقط. أما النظاميون فلا يحددون الصحة النحوية على أساس قبول ابن اللغة (هذا التحديد مرتبط بتصور اللغة شكلا من أشكال المعرفة) وإنما على أساس اعتيادية الجمل، احتمال ورودها (هذا التحديد مرتبط بتصور اللغة شكلا من أشكال الفعل)، ولا يناقشون الصحة النحوية للجمل بمعزل عن الموقف الذي تستخدم فيه؛ فالجمل قد تكون غير مقبولة أو غير مألوفة في موقف معين وتكون مقبولة أو مألوفة في آخر. ولا يرضون عن التقسيم الثنائي للمقياس الذي قد يجبر اللغويين التحويليين على أن يحكموا على كثير من الجمل التي ينتجها الأدباء بأنها غير نحوية. يستطيع اللغويون النظاميون أن يدرجوا هذه الجمل تحت قسم الجمل النحوية غير المعتادة. كما في الشكل (١-٧)، وهم حريصون على معالجة الأعمال الأدبية التي تمثل الاستخدام الإبداعي الحقيقي للغة ضمن الإطار الرئيس لنحوهم.



الشكل (١-٧) تمثيل الصحة النحوية على مقياس متدرج

أحد جوانب الاختلاف الفارقة بين الاتجاهين يبرز في قضية الإبداع اللغوي، فبينما يراه تشومسكي - رائد الاتجاه التحويلي التوليدي - في قدرة المتكلم على توليد أو خلق جمل جديدة، يراه هاليداي - رائد الاتجاه الوظيفي النظامي - في قدرة المتكلم على خلق معانٍ جديدة. وهذا الاختلاف نابع من اختلاف في تصور ماهية اللغة؛ فتشومسكي ينظر إلى اللغة على أنها شيء نعرفه، أما هاليداي فينظر إليها على أنها شيء نفعله.[١]

ثانيا: إجراءات التحليل النحوي

١-١١ التكوين Constituency

التكوين هو نوع من علاقات الجزء - بالكل الطبقية التي تقع بين وحدات نظام ما، كل وحدة تتركب من وحدة أو أكثر من الوحدات التي هي أصغر منها.[٢] في عملية تحليل نظام ما إلى مكوناته لبيان التركيب المكوِّن constituent structure له يمكن استخدام الأقواس bracketing أو المخططات الشجرية، حيث يوضح لنا الترميز الوحدات التي تقترن ببعضها وترتيب ذلك بادئا بالوحدات الأكثر ترابطا وممتدا خلال بناء هرمي من الوحدات وصولا إلى الوحدة العليا[٣]

---

[١] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص٨٩.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. xxvii.

[3] ibid. P. 5

التكوين هو شكل من أشكال التنظيم التركيبي، إنه جزء من الآلية التي تنقل المعاني إلى حيز التأثير...إنه إجراء به تُدمج الأجزاء في كليات، وتُدمج هذه الكليات بوصفها أجزاء في كليات أكبر، بتشكيلات عضوية مختلفة في كل خطوة. الأنظمة ـ بكل أنواعها، الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية والسيموطيقية ـ تستخدم التكوين وسيلة تركيبية[1]

١-١١-١ التكوين النحوي

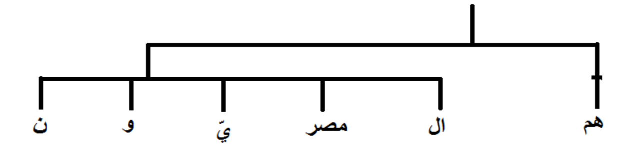
في هذا القسم ستحاول الدراسة تطبيق فكرة التكوين في التحليل النحوي لتستكشف التركيب المكوِّن، فمثلا ستحلل جملة: "هم المصريون" كما في الشكل (١-٨). وهذا التحليل النحوي يقول إن جملة "هم المصريون" مكونة من كلمتين: هم، والمصريون، والكلمة الأولى مكونة من مورفيم واحد، والثانية من خمسة مورفيمات. وهذه ليست النتيجة التي سنصل إليها إن حللناها بوصفها تعبيرات expressions صوتيا أو كتابيا: على مستوى التحليل الصوتي سنقول إنها مكونة من خمسة مقاطع (هُ، مُل، مِص، ري، يونْ) وعلى مستوى التحليل الكتابي سنقول إنها مكونة من كلمتين (يفصلهما فراغ حسب نظام الكتابة): هم، والمصريون، والكلمة الأولى مكونة من حرفين، والثانية من تسعة أحرف. التحليل النحوي لا يتعامل مع العناصر على أنها تعبيرات كتابية أو

---

[1] ibid. P. 16.

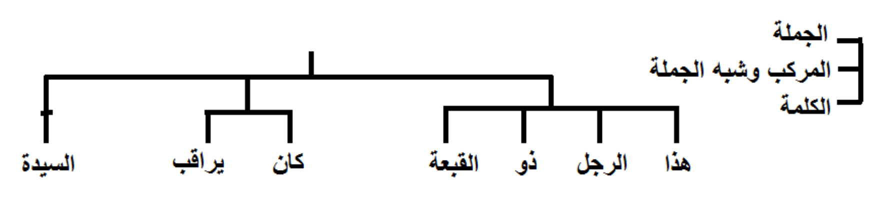
ينبه هاليداي هنا إلى أنه: من الضروري ألا نتصور اللغة قائمة من التراكيب، كل تركيب منها مؤلف من أجزاء مرتبة. اللغة مصدر لصناعة المعنى مصدر قابل للتوسع اللانهائي لإمكانات المعنى، والتركيب المكوِّن هو أداة لوضع الأنواع المختلفة من المعنى بعضها فوق بعض وتشفيرها في شكل مادي محسوس" (Halliday, M.A.K. (1994). P. 16)

صوتية، وإنما على أنها أبنية، أي إننا في النحو لا ندرس اللغة بوصفها أصواتا أو كتابة، بل بوصفها صياغة wording: كلمات وتراكيب[١]



الشكل (١–٨) تحليل التركيب النحوي المكوِّن لجملة بسيطة

تجتمع الكلمات في نظام العربية ـ حسب ما ترى الدراسة ـ مكونة وحدتين نحويتين تقعان بين الكلمة والجملة هما: المركب (الاسمي، والفعلي) وشبه الجملة (الجريّ، والظرفيّ)، ومن هنا نصل إلى تركيب مكوِّن تتكون فيه الجمل من مركبات وأشباه جمل، تتكون بدورها من كلمات، والكلمات من مورفيمات، وقد تتكون الكلمة من مورفيم واحد (كما في المثال السابق) وقد يتكون المركب من كلمة واحدة. يقدم الشكل (١–٩) مثالا لذلك من خلال تحليل جملة "هذا الرجل ذو القبعة كان يراقب السيدة" تارة باستخدام المخطط الشجري، وتارة أخرى باستخدام الأقواس.



[({ هذا } { الرجل } { ذو } { القبعة }) ({ كان } { يراقب }) ({ السيدة })]

الشكل (١–٩) تحليل التركيب المكوِّن لجملة بالمخطط الشجري والأقواس

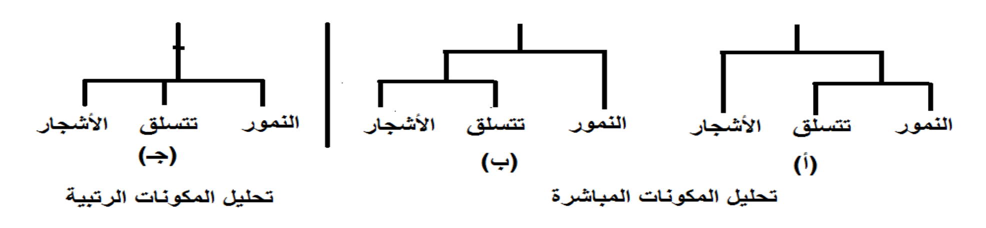
---

[1] ibid. P. 17.

١-١١-٢ المكونات المباشرة والمكونات الرُّتْبِيّة

عند تحليل المكونات النحوية للتركيب يكون الاختيار بين مبدأين متقابلين: الأول: ضع قوسا حيثما أمكن (هذا يُعرف باسم التقويس الأكثر)، والآخر: ضع قوسا حيثما يجب فقط (هذا يُعرف باسم التقويس الأقل). التقويس الأكثر يعني فرض القدر الأكبر من التركيب على المكونات، وهو يُعرف في علم اللغة باسم "تحليل المكونات المباشرة" Immediate Constituent Analysis[١] في هذا التحليل يُقسَّم التركيب النحوي إلى أقصى قدر من الأقسام[٢] ولا يسمح بأكثر من عنصرين بين أي قوسين. الفكرة التي تكمن وراء تحليل المكونات المباشرة هي أن هناك ترتيبا منطقيا تجتمع فيه عناصر أي سلسلة من الوحدات دائما[٣]

إن استخدمنا المخططات الشجرية لتمثيل تركيب المكونات، فسنجد أن تحليل المكونات المباشرة يعني كثيرا من العقد بفروع أقل لكل عقدة، في حين يعني "تحليل المكونات الرتبية" Ranked Constituent Analysis قليلا من العقد بفروع أكثر لكل عقدة، كما في الشكل (١-١٠)[٤].



الشكل (١-١٠) تحليل المكونات المباشرة وتحليل المكونات الرتبية لجملة قصيرة

---

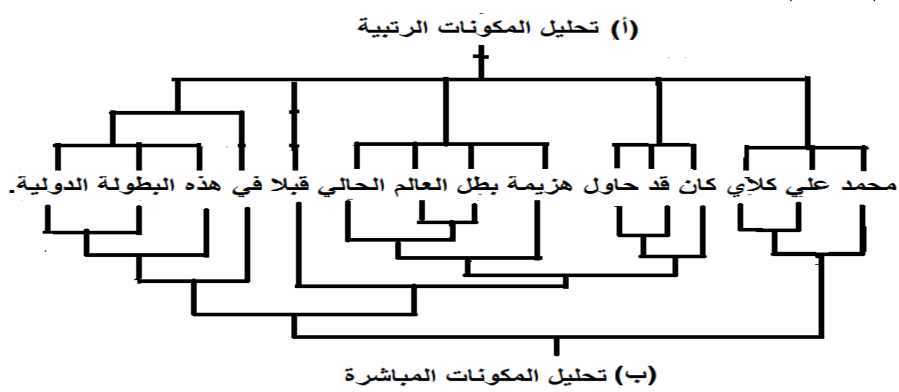
[1] ibid. P. 20.

[2] Crystal, D. (2008). P. 237.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 20.

[4] ibid. P. 21.

يمكن أن تقدم الدراسة مثالا يوضح كيف يصير الاختلاف بين التحليلين كبيرا مع طول الجملة، وكلما كانت الوحدات أطول، صار الاختلاف أوضح، فتُحلل جملة: "محمد علي كلاي كان قد حاول هزيمة بطل العالم الحالي قبلا في هذه البطولة الدولية" كما في الشكل (١-١١).



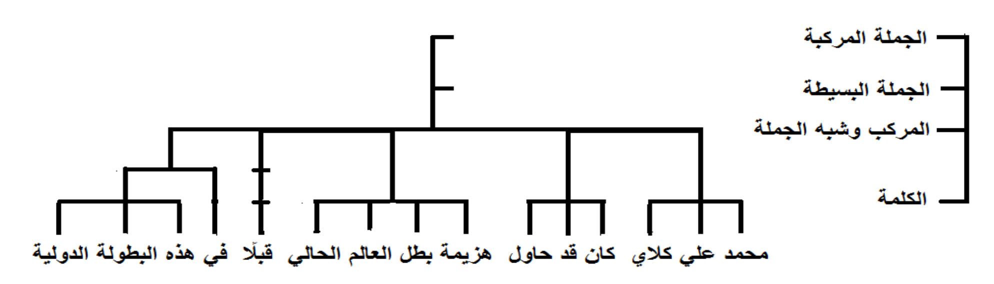
الشكل (١-١١) تحليل المكونات المباشرة وتحليل المكونات الرتبية لجملة طويلة

نلاحظ من الشكل السابق أن التقويس الأكثر "تحليل المكونات المباشرة" أشد كثافة؛ لأنه ـ كما ذكرنا آنفا ـ يُقسِّم التركيب أقصى تقسيم؛ ولا يسمح في الوقت نفسه بأكثر من عنصرين داخل أي قوسين (أو بأكثر من فرعين للعقدة الواحدة) أما التقويس الأقل "تحليل المكونات الرتبية" فأقل كثافة؛ إذ يسمح بالكثير من العناصر بين أي قوسين (أو بالكثير من الفروع تحت العقدة الواحدة)، مثل: هذه العناصر الأربعة "هزيمة بطل العالم الحالي" التي تقع بين قوسين (أو تحت عقدة واحدة).

يُعد تحليل المكونات الرتبية تحليلا وظيفيا؛ لأنه لا يضع العناصر بين قوسين إلا إن كان لها وظيفة بالنسبة إلى الوحدة التي هي أكبر منها، فالداعي إلى ضم هذه الكلمات الأربع "هزيمة بطل العالم الحالي" معا بين قوسين (أو تحت عقدة واحدة) هو أنها تكوِّن معا وحدة نحوية (مركب اسمي) بالنسبة إلى الوحدة التي هي أكبر منها

"الجملة" التي تقع فيها، في حين أن تحليل المكونات المباشرة يضع مثلا: "بطل العالم" بين قوسين مع أنها لا تكوّن وحدة نحوية بالنسبة إلى وحدة أكبر منها، وهي في هذا المثال: "بطل العالم الحالي".

ستتخذ الدراسة الإطار التحليلي التالي: الجملة المركبة فالجملة فالمركب وشبه الجملة فالكلمة فالمورفيم بوصفه بناء هرميا من المكونات، كل وحدة تتكون من وحدة أصغر منها أو أكثر، وهذا يُعيِّن مقياسا للرتبة[١] يُقدِّم الأساس لتحليل المكونات الذي يكون من نوع التقويس الأقل حيث تناظر كل عقدة وحدةً في مقياس الرتبة؛ وهذا هو سبب تسميته تحليل المكونات "الرتبية"[٢] كما في الشكل (١-١٢).



الشكل (١-١٢) تحليل المكونات الرتبية ومقياس الرتبة

١-١١-٣ التمييز بالبطاقات Labelling

الأقواس والمخططات الشجرية أدوات تمثيلية تُبيِّن الترتيب المنطقي الذي تتجمع فيه عناصر التركيب اللغوي، لكنها لا تقول شيئا عن طبيعة العناصر نفسها أو وظائفها؛ لهذا نحتاج إلى تمييز الأقواس أو العقد (كما في الشكل السابق) ببطاقات[٣] التركيب هو وحدة عضوية كلية تلعب فيها العناصر أدوارا مختلفة. والتمييز ببطاقات هو طريقة لبيان

---

[١] مقياس الرتبة Rank scale: هو قائمة بالوحدات مرتبة حسب الحجم ترتيبا هرميا، تتركب فيه كل وحدة من وحدة أو أكثر من الوحدات التي تليها مباشرة. ولكن قد تتضمن الوحدة في مكوناتها وحدةً من رتبتها أو من رتبة أعلى منها، في هذه الحالة يقال إنه قد حدث تحول الرتبة Rank shift.(Berry, M. (1975). P. 105.)

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 23.

[3] ibid. P. 25.

ماهية هذه الأدوار. التمييز ببطاقات هنا يبين تشكيل الوظائف التي يتكون منها هذا التركيب، وبإعطاء كل جزءٍ بطاقة وظيفية يمكننا أن نفسِّر قيمته بالنسبة إلى الوحدة التي هي أكبر منه.

١-١١-٣-١ البطاقات القِسْمية والوظيفية

هناك طريقتان دالتان لتمييز وحدة لغوية ببطاقة: إحداهما هي عزوها إلى قسم من أقسام الكلام (اسم، فعل، حرف، ... إلخ) والأخرى هي عزو وظيفة إليها (فاعل، مفعول، ... إلخ) انظر الشكل (١-١٣)[١]. في تحليل المكونات تُخصَّص البطاقات للأقواس (أو العقد). والمبدأ الذي يربط الاثنتين معا هو "أينما نضع قوسا، ينبغِ أن نكون قادرين على أن نُخصِّص له بطاقة". هذا يعني أن هناك علاقة نظامية بين نوع التقويس المستخدم ـ تقويس أكثر أو أقل ـ ونوع التمييز بالبطاقات المستخدم: بطاقات قسمية أو وظيفية. البطاقات القسمية هي ـ إذا جاز التعبير ـ جزءٍ من القاموس؛ إنها تُوضِّح إمكانات الوحدة اللغوية في نحو اللغة، أما البطاقات الوظيفية فهي تفسير للنص؛ إنها تُوضِّح دور الوحدة اللغوية في تركيب بعينه عندما نستخدم التقويس الأكثر ينتج عددا كبيرا من العقد التي من الممكن تمييزها ببطاقات الأقسام، لكن بعضها ـ كما رأينا سابقا ـ لا يمكن أن نعزو له وظيفة في الحالة المعطاة. يخلص هاليداي إلى أن التقويس الأكثر يقترن بالتمييز بالبطاقات القسمية، والتقويس الأقل يقترن بالتمييز بالبطاقات الوظيفية.[٢]

[1] ibid. P. 25.

[2] ibid. P. 27.



الشكل (١-١٣) بطاقات قسمية وبطاقات وظيفية

يُعرف هاليداي القسم بأنه "مجموعة من المفردات المتشابهة من وجه معين" والتي لا يُشترط أن تكون كلمات، فقد تكون مركبات أو أشباه جمل أو جملا. ويُوضِّح أن المعايير التي تُحدَّد الأقسام على أساسها غالبا ما تكون مختلطة بعضها نحوي وبعضها الآخر دلالي، وأن بعض مفردات قسم ما قد تنتمي إليه انتماء جليا، وبعضها الآخر قد يكون انتماؤه إلى القسم نفسه ملبسا، فمثلا مفردات قسم "الاسم" منها ما يُظهر السمات النحوية والدلالية للقسم كلها ومنها ما يظهر معظمها. والتنظير الذي يقدمه هاليداي في هذه المسألة مهم؛ لأنه يوافق تنظير النحاة العرب لأقسام الكلام وعلاماتها.[1] ويرد على دعوى تمام حسان في تشقيقه لأقسام الاسم.[2]

الغرض من التمييز بالبطاقات الوظيفية هو تقديم وسيلة لتفسير التركيب النحوي تربط أي حالة معطاة بنظام اللغة كلها. البطاقات لا تُخصَّص لكل تركيب عشوائيا، بل إنها نتاج تفسير اللغة من حيث أنظمتها وتراكيبها. إن وصف لغة ما وتحليل نصوصها ليسا ـ أو ينبغي ألا يكونا ـ عمليتين متمايزتين منفصلتين، إنهما جانبان للعملية التفسيرية

---

[1] شرح ابن عقيل، ص١٦-٢٦.

[2] اللغة العربية معناها ومبناها، ص٨٨. وراجع نقد محمد عبد الدايم لتمام حسان، على أساس أن النحاة العرب قدموا تقسيما عاما وتقسيمات خاصة في الأبواب النحوية، ومراعاة الانحراف التدريجي في التصنيف، ويعني " أنه لا يمكن لأفراد أي صنف أن يحلموا بشكل متساو جميع سمات هذا الصنف، وإنما تتفاوت أفراد أي صنف فيما بينها في قبول السمات التي تكون لهذا الصنف" محمد عبد العزيز عبد الدايم، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م. ص٢١٣-٢١٩.

نفسها، يتقدمان جنبا إلى جنب. الوصف الوظيفي للغة يتضمن من ناحية تعيين كل الوظائف المتنوعة الموجودة في النحو، كما يتضمن من ناحية أخرى تعيين كل التشكيلات المختلفة التي عن طريقها تُحدَّد هذه الوظائف: أي كل التراكيب الممكنة التي تُعبِّر عن معنى ما في اللغة "[١]

مفتاح التفسير الوظيفي للتركيب النحوي هو مبدأ أن المفردات اللغوية متعددة الوظائف، معظم المكونات في أي تركيب أكبر من الكلمة تدخل في أكثر من تشكيل تركيبي[٢] ففي المثال السابق عزونا إلى "النمور" بطاقة وظيفية هي "الفاعل المنطقي" في التشكيل التركيبي "فاعل منطقي + عملية + هدف"، ولكننا يمكننا أن نعزو إليها بطاقة وظيفية أخرى هي "المسند إليه" في التشكيل التركيبي "مسند إليه + مسند + متمم". انظر الجدول١(٥).

١–١٢ مفهوم الفاعل

يعد مفهوم الفاعل واحدا من المفاهيم الأساسية في التحليل النحوي، و"تحتوي كل جملة على عنصر واحد يمكن أن يُحدَّد بوصفه فاعلها وفقا للمبادئ التركيبية التي أرساها النحاة القروسطيون والتي كانت هي نفسها مُؤسَّسة على أنحاء اليونان والرومان"وقد برزت تفسيرات متنوعة حول مفهوم الفاعل نسيت إليه عددا من الوظائف المختلفة التي تظهر في ثلاثة تعريفات رئيسة للفاعل، هي: (أ) الفاعل هو محل اهتمام الرسالة. (ب) الفاعل هو الذي يُسنَد إليه شيء ما (أي: يُعلَّق عليه صدق القضية). (جـ) الفاعل هو من فعل الفعل.[٣]

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 29.

[2] ibid. P. 30.

[3] ibid. P. 30.

وهذه الوظائف المختلفة مُيِّزت ببطاقات كما لو كانت ثلاثة أنواع مختلفة من الفاعل، وهذا يتضمن أن هناك مفهوما أعلى للفاعل هذه الثلاثة تنويعات خاصة له، البطاقات (أو المصطلحات) التي استخدمها النحاة الغربيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي الفاعل النفسي (السيكولوجي) والفاعل النحوي والفاعل المنطقي.

(أ) الفاعل النفسي قُصد به "الفاعل الذي هو محل اهتمام الرسالة"، وكان يُسمَّى "نفسيا"؛ لأنه هو ما اختاره المتحدث في عقله ليبدأ به حين شرع في إنتاج الرسالة.

(ب) الفاعل النحوي قُصد به "الفاعل الذي يُسنَد إليه شيء ما" وكان يُسمَّى "نحويا"؛ لأنه في ذلك الوقت كان التفكير في العلاقة بين الفاعل والفعل بوصفها علاقة نحوية شكلية تماما تحددها سمات نحوية أخرى مثل: حالة الاسم أو الضمير الواقع فاعلا، ومطابقته للفعل في التعيين والعدد.

(جـ) الفاعل المنطقي قُصد به "فاعل الفعل" حقيقةً، وكان يُسمَّى "منطقيا" بمعنى فاعل الفعل في علاقته بالأشياء في مقابل العلاقات النحوية التي تكون بين الرموز.[١]

قد تحتضن مقولة الفاعل هذه الوظائف جميعا في عنصر واحد، وهذا يعده هاليداي الشكل غير الموسوم[٢]، كما في الجمل التالية:

The duke gave my aunt this teapot

"الدوق أعطى عمتي هذا الإبريق"[*]

---

[1] ibid. P. 31.

[2] ibid. P. 33.

[*] (لنا هنا أن نلاحظ أن بناء الجملة الإنجليزية غير موسوم unmarked وأن الترجمة المباشرة له دون تغيير تنتج بناء موسوما في العربية (أو على خلاف الأصل، إن استخدمنا مصطلح النحاة العرب) يحمل دلالة زائدة عن دلالة البناء غير الموسوم (الأصل في العربية وفقا للنحاة العرب) وهو: أعطى الدوق عمتي هذا الإبريق) يسمي أحمد المتوكل الفاعل في هذه الحالة الفاعل النموذجي وهو يضم عنده وظائف المنفِّذ والفاعل والمحور. (أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م. ص١٢٦.)

ولو كانت كل الجمل مثل تلك، لما كانت هناك مشكلة في تحديد الفاعل وتفسيره، وكنا سنستخدم مصطلح الفاعل للإشارة إلى هذه الوظائف جميعا، لكن الحال ليست كذلك، فكثيرا ما يتغير ترتيب عناصر الجملة بالتقديم والتأخير، أو ببناء الفعل للمجهول، وفي هذه الحالات ستتوزع هذه الوظائف على عنصرين أو ثلاثة عناصر، كما في الجمل التالية[1]:

This teapot my aunt was given by the duke.

هذا الإبريق عمتي أُعطيته من الدوق. (هذا الإبريق أعطاه الدوق عمتي.)

My aunt was given this teapot by the duke.

عمتي أعطيت هذا الإبريق من الدوق. (عمتي أعطاها الدوق هذا الإبريق.)

This teapot the duke gave to my aunt.

هذا الإبريق الدوق أعطاه عمتي.

بناء على ما سبق يرى هاليداي أنه لم يعد من الممكن أن نؤسس تحليلا على افتراض أن هذه المفاهيم الثلاثة هي جوانب متنوعة لمفهوم واحد عام، وإنما ينبغي أن تُفسَّر حسب ماهيتها الحقيقية بوصفها ثلاث وظائف منفصلة ومتمايزة، إنها ليست ثلاثة أنواع لشيء واحد، بل ثلاثة أشياء مختلفة تماما، ولهذا يستبدل بالبطاقات السابقة البطاقات التالية: الفاعل النفسي: المحدث عنه theme، الفاعل النحوي: المسند إليه subject، الفاعل المنطقي: الفاعل/ العامل actor[2]

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 32-33.

[2] ibid. P. 32.

١-١٣ ثلاثة مسارات للمعنى في الجملة

كل وظيفة من الوظائف الثلاث: المُحدَّث عنه والمسند إليه والفاعل هي جزء من تشكيل وظيفي (تركيب) يُؤلف جديلة منفصلة من جدائل المعنى في الجملة. ويمكن أن نحدِّد جدائل المعنى كالتالي: (أ) المحدث عنه يُوظَّف في تركيب الجملة بوصفها "رسالة". الجملة لها معنى بوصفها رسالة: قدرا من المعلومات. والمحدث عنه هو نقطة انطلاق الرسالة. إنه العنصر الذي اختاره المتكلم منطلَقا لما سيقوله. (ب) المسند إليه يُوظَّف في تركيب الجملة بوصفها "تبادلا". الجملة لها معنى بوصفها تبادلا: تفاعلا (صفقة) بين المتكلم والسامع، والمسند إليه هو ضمان هذا التبادل. إنه العنصر الذي يجعله المتكلمُ مسئولا عن صحة ما يقوله. (جـ) الفاعل يُوظَّف في تركيب الجملة بوصفها تمثيلا للواقع. الجملة لها معنى بوصفها تمثيلا للواقع: ترجمة لعملية أو نشاط process معين في التجربة الإنسانية. الفاعل هو المشارك النشط في تلك العملية. إنه العنصر الذي يُصور مَن فعل الفعل في الواقع.[١]

هذا التقسيم الثلاثي للمعنى في الجملة يرتبط بالوظائف العليا؛ فكل وظيفة من الوظائف العليا لها انعكاسها في النحو، كما يوضح الجدول ١(٤) إذن الجملة ـ وفقا لهذا التصور ـ كيان مركب. فهي لا تتكون من بُعد تركيبي واحد، وإنما من ثلاثة أبعاد تركيبية، كل واحد منها يترجم معنى مختلفا.[٢] ومع هذا تظل الجملة جملة واحدة لا ثلاث جمل.

الجدول ١(٤) العلاقة بين الوظائف العليا والمعنى وتركيب الجملة

الوظيفة العليا	نوع المعنى	الحالة المناظرة للجملة
الفكرية(التجربية)	تمثيل نموذج من التجربة الإنسانية	الجملة بوصفها تمثيلا للواقع
التبادلية	تأسيس العلاقات الاجتماعية	الجملة بوصفها تبادلا

[1] ibid. P. 34.

[2] ibid. P. 35.

النصية	إحداث ترابط نصي.	الجملة بوصفها رسالةً

يُقدِّم الجدول ١(٥) تحليلا لجملة: "النمور تتسلق الأشجار" التي حُللت تحليلا جزئيا عند الحديث عن تعدد وظائف المفردات اللغوية وعن أن معظمها تدخل في أكثر من تشكيل تركيبي.[١]

الجدول ١(٥) التركيب الحديثي والإسنادي والتمثيلي لجملة بسيطة

	النمور	**تتسلق**	**الأشجار**
التركيب الحديثي	محدث عنه	حديث	
التركيب الإسنادي	مسند إليه	مسند	متمم
التركيب التمثيلي	فاعل منطقي	عملية مادية	مفعول به

ستتناول الدراسة كل بُعد تركيبي من هذه الأبعاد الثلاثة على حدة في فصل مستقل، مخصصةً الفصل الثاني: الجملة بوصفها رسالةً لدراسة التركيب الحديثي، والفصل الثالث: الجملة بوصفها فعلَ تواصل لدراسة التركيب الإسنادي، والفصل الرابع: الجملة بوصفها تمثيلًا للواقع لدراسة التركيب التمثيلي.

[1] ibid. P. 36.

الفصل الثانـي

الجملة بوصفها رسالةً

٢–١ مقدمة

قدَّمت الدراسة في الفصل الأول مفهوم الجملة ـ وفقًا لهاليداي ـ بوصفها وحدة تجتمع فيها ثلاث جدائل مختلفة من المعنى، وحدة تتألف من ثلاثة تراكيب متمايزة ـ يُعبّر كل تركيب منها عن نوع من التنظيم الدلالي ـ تتلاحم جميعًا لتنتج صياغة واحدة. وسوف تتناول الدراسة في هذا الفصل أحد هذه التراكيب، وهو التركيب الذي يعطي

الجملة طابعها المميز بوصفها رسالة، والذي قد ينقسم إلى تركيبين فرعيين - (تركيب الحديث: محدث عنه Theme+ حديث Rheme، وتركيب المعلومات: معلوم Given+ جديد New) Thematic and information structures - أو لا ينقسم.

سيُحلل الباحث أولًا دراسة النحاة العرب لهذا التركيب، ثم دراسة هاليداي وأتباعه وبعض رواد حلقة براغ له، وسيناقش بعد ذلك آراء بعض من يرون عدم صلاحية الإطار النظري الذي قدمه هاليداي للتطبيق على العربية (كمحمد عناني، ومنى بيكر) ثم سيحلل دراسة أحمد المتوكل (لوظائف المحور والمبتدأ والبؤرة) والمقترحات النظرية التي طرحها حسام قاسم لدراسة المحدث عنه. ويُختتم الفصل بتقديم إطار نظري مقترح لدراسة الجملة بوصفها رسالة.

٢-٢ تركيبا الحديث والمعلومات

الجملة ليست كيانًا مستقلًا بذاته، وإنما هي جزء من الموقف والنص الذي ترد فيهما؛ لذلك يرى إنكفست Enkvist أن واحدة من أهم وظائف تدفق المعلومات في نص ما هي ربط الجمل ببيئتها. ويفترض هاليداي ولغويو براغ أن ترتيب الكلمات Word order يلعب دورًا أساسيًا في تنظيم النص، ومن ثم ينظرون إليه في هذا الصدد بوصفه استراتيجية نصية (أكثر منه سمة نحوية)[١].

إحدى طرق تبسيط فكرة أن الجملة رسالة من المتكلم إلى المخاطب - هي أن أي جملة تقول شيئا ما "**حديث**" عن شيء ما "**محدث عنه**".[٢] المحدث عنه هو موضوع الجملة الذي يرد في صدرها دائما حسب ما يرى هاليداي. والحديث هو ما تقوله بقية عناصر الجملة عن المحدث عنه. التمييز بين المحدث عنه والحديث هو تمييز موجَّه

---

[1] Baker, M. (1992). *In other words: A coursebook on translation.* London & New York: Routledge. P.119.

[2] Ibid. P. 122.

حسب المتكلم قائم على ما يريد المتكلم أن يعلنه نقطة بداية، أما التمييز بين "المعلوم" و"الجديد" من الرسالة فموجَّه حسب السامع Listener-oriented: ما يعلمه السامع من معلومات، وإن كانا جميعا اختيارات المتكلم.[١] في الحقيقة التمييز الأخير قد سبقه إليه ابن يعيش حيث يقول: "ولا يساوي المتكلمُ المخاطَبَ؛ لأن النكرة ما لا يعرفه المخاطَبُ، وإن كان المتكلمُ يعرفه؛ ألا ترى أنك تقول: "عندي رجل"، فيكون منكورًا، وإن كان المتكلم يعرفه. فالمعرفة والنكرة بالنسبة إلى المخاطَب"[٢]. "المعلوم" في الجملة يُمثِّل الأرض المشتركة بين المتكلم والسامع ويعطي السامع نقطة ارتكاز يبني عليها "الجديد". يشبه تركيب المعلومات تركيب الحديث في كونه سمة للنص أكثر منه سمة للنظام اللغوي. لا يستطيع المرء أن يحدد المعلوم أو الجديد إلا في سياق؛ فالجملة نفسها قد تقسَّم تقسيمات مختلفة حسب السياق.

٢-٣ تنظير النحاة العرب

٢-٣-١ تركيبا الحديث والمعلومات

يمكن للمُحلِل لدراسة النحاة العرب لتركيب الحديث أن يقف على عدد من الملامح الأساسية المميزة لهذا التركيب في نحو العربية، منها: أولا: **أن مفهومي المحدث عنه والحديث مفهومان نحويّان** في الأساس يرتكزان على الإسناد، فالمحدث عنه هو المسند إليه سواء أكان مبتدأ أم فاعلًا، والفعل والخبر هما المسند. يقول ابن جني: "فَعُل" لا يتعدى أبدًا، فلا يجوز أن تبنيه للمفعول؛ لأنك إذا لم تذكر الفاعل ولم يكن ثَم مفعول

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). *An Introduction to Functional Grammar*. 2nd edition. London: Edward Arnold. P.302. (Baker, M. (1992). P. 144.)

[٢] ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (-٦٤٣هـ) شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م. ج١، ص٢٢٥.

يقوم مقامه في أن يجعل الفعل حديثا عنه، بقي الفعل حديثا عن غير محدث عنه، وهذا محال..."[1]

ثانيا: **أن المحدث عنه لا يكون إلا اسمًا**، يقول سيبويه: " فالأسماءُ المحدَّثُ عنها. والأمثلةُ دليلةٌ على ما مضى وما لم يمض من المحدَّث به عن الأسماءِ، وهو الذَّهاب والجلوس والضّرْب"[2]

ثالثًا: **أن المحدث عنه قد يسبق الحديث أو يتبعه حسب نمط الجملة[3]، بخلاف الحال في الإنجليزية التي يطرد فيها مجيء المحدث عنه أولا (وفقًا لنحو هاليداي)**. يقول ابن السراج: "المبتدأ يبتدأ فيه بالاسم المحدث عنه قبل الحديث ... والفرق بينه وبين الفاعل: أن الفاعل مبتدأ بالحديث قبله، ألا ترى أنك إذا قلت: زيد منطلق فإنما بدأت "بزيد" وهو الذي حدثت عنه بالانطلاق والحديث عنه بعده، وإذا قلت: ينطلق زيد فقد بدأ [كذا] بالحديث وهو انطلاقه، ثم ذكرت زيدًا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث. فالفاعل مضارع للمبتدأ من أجل أنهما جميعًا محدث عنهما"[4].

---

[1] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (– ٣٩٢هـ) المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني البصري النحوي، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين. وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، ١٩٥٤م. ص٢٤. وراجع كذلك: أبا الفتح عثمان بن جني (–٣٩٢هـ) اللمع في العربية، تحقيق سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٨م. ص٣٥.

[2] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر (–١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م. ج١، ص٣٤.

[3] باستثناء الحالة التي يكون فيها كلاهما معرفة، حيث يكون المحدث عنه هو المقدم دائمًا، قال الأشموني [علي بن محمد بن عيسى أبو الحسن نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (~٩٠٠هـ)] معلقًا على قول ابن مالك في ألفيته: "كذا إذا ما الفعل كان الخبرا": "وأصل التركيب: كذا إذا ما الخبر كان فعلا؛ لأن الخبر هو المحدث عنه، فلا يحسن جعله حديثا، لكنه قلب العبارة لضرورة النظم". الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (– ١٢٠٦هـ) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ومعه شواهد العيني) تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت. ج١، ص٣٣٤.

[4] ابن السرَّاج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي البغدادي (–٣١٦هـ) الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م. ج١، ص٥٨.

رابعًا: **أنه لا انفصال بين المحدث عنه Theme والمعلوم Given في العربية، ولا بين الحديث Rheme والجديد New فيُشترط في المبتدأ خاصة[1] أن يكون معرفة أو ما يقرب منها، وفي الخبر أن يكون مجهولا أو مجهولة نسبته للمبتدأ.** (فالمبتدأ يمثل المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب) يقول سيبويه في معرض حديثه عن "كان": "فإذا قلت: كان زيد فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنما ينتظر الخبر. فإذا قلت: حليما فقد أعلمته مثل ما علمت. فإذا قلت كان حليما فإنما ينتظر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل وإن كان مؤخرا في اللفظ. فإن قلت: كان حليم أو رجل فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المنكور..."[2] "وتقول: أسفيها كان زيد أم حليما، وأرجلا كان زيد أم صبيا، تجعلها لزيد، لأنه إنما ينبغي لك أن تسأله عن خبر من هو معروف عنده كما حدثته عن خبر من هو معروف عندك فالمعروف هو المبدوء به. ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس، وهو النكرة. ألا ترى أنك لو قلت: كان إنسان حليما أو كان رجل منطلقا، كنت تلبس؛ لأنه لا يستنكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدءوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبرا لما يكون فيه هذا اللبس"[3].

يعيد المبرد صياغة عبارة سيبويه في مواضع عديدة من المقتضب، فيقول: "ألا ترى أنك لو قلت كان رجل قائما وكان إنسان ظريفا لم تفد بهذا معنى لأن هذا مما يعلم الناس أنه قد كان وأنه مما يكون وإنما وضع الخبر للفائدة، فإذا قلت كان عبد الله فقد ألقيت إلى السامع اسما يعرفه فهو يتوقع ما تخبره عنه، وكذلك لو قربت النكرة من

---

[1] لم يشترط النحاة في الفاعل ما اشترطوا في المبتدأ من شروط التعريف؛ ولعل ذلك راجع إلى تقدُّم الفعل (الذي يمثل المعلومة الجديدة محور التواصل) على الفاعل. فلا تحتاج الجملة بعد ذلك إلا إلى نقطة إحالة معلومة للمخاطب، كياء المتكلم أو "النبي" في الجملتين التاليتين على الترتيب: (جاءني رجل) و(جاء رجل إلى النبي). في الحقيقة تفترض الدراسة أن نقطة الإحالة هنا هي المحدث عنه.

[2] الكتاب، ج١، ص٤٧–٤٨. وراجع كذلك المرجع نفسه، ج١، ص٥٤.

[3] المرجع نفسه، ج١، ص٤٨.

المعرفة بما تحملها من الأوصاف لجاز أن تخبر عنها وكان فيه حينئذ فائدة"[1] ويقول أيضا: "فالابتداء نحو قولك زيد فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع ليتوقع ما تخبره به عنه فإذا قلت منطلق أو ما أشبهه صح معنى الكلام وكانت الفائدة للسامع في الخبر لأنه قد كان يعرف زيدا كما تعرفه ولولا ذلك لم تقل له زيد ولكنت قائلا له رجل يقال له زيد فلما كان يعرف زيدا ويجهل ما تخبره به عنه أفدته الخبر فصح الكلام"[2] "فأما المبتدأ فلا يكون إلا معرفة أو ما قارب المعرفة من النكرات ألا ترى أنك لو قلت رجل قائم أو رجل ظريف لم تفد السامع شيئا لأن هذا لا يستنكر أن يكون مثله كثيرا"[3].

ويقتفي ابن السراج وابن يعيش أيضا أثر سيبويه في ذلك، يقول ابن يعيش: "وإنما كان التعريف مختصًّا بالاسم، لأنّ الاسم يُحدَّث عنه، والمحدَّث عنه لا يكون إلّا معرفةً، والفعلُ خبرٌ، وقد ذكرنا أن حقيقة الخبر أن يكون نكرة."[4] ويقول ابن السراج: "فإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة، فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ وأن تكون النكرة الخبر؛ لأنك إذا ابتدأت فإنما قصدُك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدثه عنه ليتوقع الخبر بعده، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده، والاسم لا فائدة له لمعرفته به، وإنما ذكرته لتسند إليه الخبر."[5]

يكشف الاقتباس السابق عن مسألة في غاية الأهمية، هي وعي ابن السراج ـ وإن اختلفت المصطلحات ـ أن المبتدأ، وإن كان بارزا على مستوى تركيب الحديث؛ لأنه المحدث عنه ـ تكاد تكون قيمته على مستوى تركيب المعلومات معدومة "لا فائدة له"،

---

[1] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٥هـ) المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م. ج٤، ص٨٨.

[2] المرجع نفسه، ج٤، ص١٢٦.

[3] المرجع نفسه، ج٤، ص١٢٧.

[4] شرح المفصل، ج١، ص٨٧.

[5] الأصول، ج١، ص٥٩.

وهو مجرد تُكأة لذكر الخبر الذي يحمل المعلومة الجديدة. تشير إلى هذا بيكر بقولها: الحديث Rheme هو أهم العناصر في تركيب الجملة من حيث هي رسالة؛ لأنه يُمثِّل المعلومة التي يريد المتكلم إخبار السامع بها. إن الحديث ـ لا المحدث عنه ـ هو الذي ينجز الغرض التواصلي للمنطوق.[١]

٢-٣-٢ المحدث عنه: أمصطلح نحوي هو أم دلالي؟

على الرغم من أن مفهوم المحدث عنه عند جمهور النحاة العرب هو مفهوم نحوي في الأساس يتطابق ومفهوم المسند إليه ـ يبدو أن لدى بعضهم إدراكًا لوجود مفهوم دلالي للمحدث عنه، ربما لا يتطابق والمفهوم النحوي للمسند إليه، يتضح هذا في قول ابن يعيش: "وأمّا قولهم: "تحت رأسي سرج"، و"على أبيه دِرْعٌ"، و"لك مالٌ"؛ فالذي سوّغ ذلك كونُك صدّرتَ في الخبر معرفةً هي المحدَّثُ عنها في المعنى؛ ألا ترى أنّ "السرج" من قولك: "تحت رأسي سرجٌ"، وإن كان المحدَّثَ عنه في اللفظ، فالرأس مضافٌ إلى ضمير المتكلّم، وهو الياء من "رأسي"، وهذا الضميرُ هو المحدَّثُ عنه في المعنى، كأنّك قلت: "أنا مُتَوَسِّدٌ سرجًا". وكذلك "على أبيه دِرْعٌ". كأنّك قلت: "أبوه متدرِّعٌ". وكذلك "لَكَ مالٌ"، المعنى: أنت ذو مالٍ... والذي يؤيّد عندك ما قلناه، أنّك لو قلت: "تحت رأسٍ سرجٌ"، و"على رجلٍ درعٌ"، و"لرجلٍ مالٌ"، لم يكن كلامًا"[٢].

ويرصد التحليل أيضا وجود هذا المفهوم الدلالي للمحدث عنه ـ "المحدث عنه في المعنى" حسب عبارة ابن يعيش ـ **في كلام السيوطي عن عود الضمير** على الأقرب، مع إحساس بالطبيعة النصية للمفهوم. يقول: "في قوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ [العنكبوت:٢٧] فضمير ذريته عائد على

[1] Baker, M. (1992). P. 122.

[٢] شرح المفصل، ج١، ص٢٢٦.

إبراهيم وهو غير الأقرب لأنه المحدث عنه من أول القصة إلى آخرها[1]" . واضح أن المحدث عنه في الآية الكريمة في اللفظ/ المسند إليه هو لفظ الجلالة. أما المحدث عنه الذي يشير إليه السيوطي فهو محدث عنه دلالي نصي (الذي تتحدث عنه القصة) لا يُشترط أن يكون مسندا إليه. **ويبرز هذا المفهوم الدلالي في كلام ابن السراج أيضا عن الإخبار عن الاسم بالذي،** كما في جملة: الذي ألقى الخطاب سفيرنا. يقول: "وإنما قال النحويونَ: أخبر عنهُ وهو في اللفظ خبر؛ لأنه في المعنى محدثٌ عنه، ... وقد بينا أن معنى قولهم: أخبر عنهُ أي: انتزعهُ من الكلام واجعل موضعه ضميرًا، ثم اجعله خبرًا، فهذا لا يسوغُ في الأفعال ولا الحروف"[2].

يرد أيضا مفهوم "المحدث عنه في المعنى" ضمنيًّا في كلام ابن يعيش عن الإضراب ببل، حيث يقول: "وتحقيقُ ذلك أن الإضراب تارةً يكون عن المُحدَّث عنه، فتأتى بعد "بَلْ" بمحدّث عنه، نحوَ: "ضربتُ زيدًا بل عمرًا"، و"ما ضربت زيدًا بل عمرًا"، وتارةً عن الحديث، فتأتي بعد "بَلْ" بالحديث المقصود إليه، نحوَ: "ضربت زيدًا بل أكرمتُه"، ... وتارةً تُضْرِب عن الجميع، وتأتي بعد "بَل" بالمقصود من الحديث والمُحدَّث عنه، وذلك نحوُ: "ضربتُ زيدًا بل أكرمتُ خالدًا"[3] من البيّن أن ابن يعيش قد جعل المفعولَ به المحدثَ عنه في المثالين الأولين، وليس الفاعل (المسند إليه).

٢-٣-٣ المحدث عنه والنص

أدرك البلاغيون العرب أن اختيار المحدث عنه والحديث كليهما في الجملة ليس اختيارا عشوائيًا؛ وإنما اختيار دال. وأدركوا أيضا أنه ليس اختيارا حرًّا؛ إذ يخضع

---

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج١، ص٢١٩.

[2] الأصول، ج٢، ص٢٧١-٢٧٢.

[3] شرح المفصل، ج٥، ص٢٧.

لقيود نصية تفرضها اختيارات المحدث عنه والحديث في الجمل السابقة واللاحقة. ف"من حق المحدّث عنه في الجملة الثانية، أن يكون له تعلق بالمحدث عنه في الجملة الأولى، حتى يكونا كالنظيرين والشريكين، ولا يجوز أن يكون أجنبيا عنه بحيث لا عُلْقَة بينهما ولا مشابهة بحال، ولهذا حسُن: زيد قائم، وعمرو قاعد... وقبُح قولنا: خرجت من دارى، وأحسن ما قيل من الشعر كذا، ... يجب في الخبر الثاني أن يكون مشابها للخبر الأول أو مناقضا له، ولهذا حسُن قولنا: زيد خطيب، وعمرو شاعر... وقبُح قولنا: زيد طويل القامة، وعمرو شاعر، إذ لا تعلق بين طول القامة، وبين كونه شاعرا، وهكذا زيد كاتب، وعمرو باع داره، لأجل ما بينهما من المنافرة."[١]

يكشف العرض السابق عن اختلافين أساسيين بين زوجي المحدث عنه والحديث، والمسند إليه والمسند: **الأول** هو أن التمييز بين المحدث عنه والحديث يعتمد على النص text-based في كثير من الأحيان، أما التمييز بين المسند إليه والمسند فهو تمييز نحوي يمكن إجراؤه بمعزل عن السياق تماما[٢]. **والثاني** أن التمييز بين المسند إليه والمسند يرتبط بالصحة النحوية grammaticality أما التمييز بين المحدث عنه والحديث فهو يرتبط بدرجة المقبولية acceptability وسبك النص.[٣]

---

[١] يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (-٧٤٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تقديم: إبراهيم الخولي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م. ج٢، ص٤٨-٤٩. وراجع كذلك: أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (~٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م. ص٢٢٤-٢٢٥. ومفتاح العلوم، ص٢٥٣-٢٥٨. حيث فصَّل السكاكي الكلام في الجامع بين الجملتين في الوصل، وقسَّمه إلى عقلي ووهمي وخيالي. (السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (-٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.)

[٢] لا تستثني الدراسة من ذلك إلا حالة خاصة واحدة، هي حينما يكون المسند إليه والمسند كلاهما معرفة، والعلاقة بينهما هي علاقة مشابهة لا تطابق، وستناقش الدراسة هذه المسألة في الفصل الرابع: العملية التعيينية.

[3] Baker, M. (1992). P. 124

لاحظْ، في نص "الطراز" السابق، أن الدراسة قد وضعت خطًا مزدوجا تحت (حسُن، وقبُح) لتشير إلى أن المسألة ليست مسألة صحة وخطأ، ووضعت خطًا مفردًا تحت (تعلق، وعلقة، المنافرة) للإشارة إلى سبك النص، وتحت (كالنظيرين والشريكين، ومشابه للخبر الأول أو مناقض له) للإشارة إلى دور العلاقات الدلالية بين تتابعات المحدث عنه والحديث في خلق ذلك السبك. إلى هنا يمكن القول باطمئنان إن النحاة والبلاغيين العرب قد رصدوا بوضوح جزءا كبيرا من البُعدين الدلالي والنصي لتركيب المحدث عنه والحديث.

٢-٤ تنظير هاليداي وأتباعه

٢-٤-١ تركيب الحديث

يفترض هاليداي أن الجملة في كل اللغات لها طابع الرسالة، وأن لها شكلا ما من التنظيم يجعل منها حدثا اتصاليا، غير أن هذا قد يتحقق عبر طرق مختلفة، ففي الإنجليزية ولغات أخرى كثيرة تُنظَّم الجملة بوصفها رسالة بأن يُخصص لجزء منها رتبة خاصة ويُعلن بوصفه المُحدَّث عنه Theme ثم تتحد معه البقية، ليكوّن الجزءان معا رسالة. وتستعين بعض اللغات الأخرى بوسائل تنظيمية أخرى، ففي اللغة اليابانية مثلا نجد الأداة (wa ـ) التي تشير إلى أن العنصر الذي يسبقها هو المحدث عنه، أيًا كان موقعه في الجملة، ولكن إن كانت الرسالة في أي لغة منظَّمة بوصفها تركيب (محدث عنه ← حديث)، ولو أن هذا التركيب عبَّر عنه التتابعُ الذي تقع فيه عناصر الجملة، فمن ثم يبدو طبيعيا أن يقع المحدث عنه في بداية الجملة، وليس في آخرها ولا في أي موقع آخر.[1]

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 37-38.

من الملاحظ هنا أن تعبير التتابع عن تركيب الحديث في الإنجليزية مرتبط بطبيعتها (fairly fixed word order) وأنه لا يصلح محددا للمحدث عنه في العربية ذات الحرية التركيبية العالية في ترتيب الكلمات (fairly free word order) مقارنةً بالإنجليزية. ومن ثم تستعين العربية بوسائل أخرى في تحديد المحدث عنه. من الملاحظ أيضًا أن التتابع (حديث ← محدث عنه) لا مكان له في نظرية هاليداي.[١] وهو التتابع الذي يُعد الأصل (unmarked) في العربية (إن كان المسند فعلا).

يُعرِّف هاليداي المُحدَّث عنه بأنه العنصر الذي يُستخدم نقطة انطلاق للرسالة، إنه العنصر الذي تهتم به الجملة، وبقية الرسالة ـ أي: الجزء الذي يُنمَّى فيه المحدث عنه ـ تُسمّى الحديث Rheme، فالجملة بوصفها رسالة تتكون من محدث عنه متبوع بحديث، والأمثلة التي توضح ذلك يعرضها الجدول ٢(١)[٢]، ويضطلع المحدث عنه بدور آخر فهو" يُهيّئ مسرح الكلام للجملة نفسها، ويُحدّد لها موقعا في تيار النص المتدفق"[٣].

الجدول ٢(١) تركيب المحدث عنه – الحديث

المحدث عنه	الحديث
الدوق	أعطى عمتي هذا الإبريق
عمتي	أعطاها الدوق هذا الإبريق

[1] Baker, M. (1992). P. 140.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 38.

[3] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2004). *An introduction to functional grammar*. 3rd edition. London: Hodder Education. P. 66.

أعطاه الدوق عمتي	هذا الإبريق

يؤكد هاليداي أنه مع إمكان تعيين المحدث عنه عن طريق موقعه الابتدائي في الجملة، فإن هذه ليست الكيفية التي تُعرَّف بها مقولة "المحدث عنه"؛ فالتعريف وظيفي... المحدث عنه هو نقطة بدء الرسالة، إنه الأرضية التي تُقلع منها؛ لذلك فإن جزءا من معنى أي جملة يكمن في: أي العناصر قد اختير محدثا عنه. هناك فرق في المعنى بين جملة: "نصف البنس هو أصغر عملة إنجليزية" حيث "نصف البنس" هو المحدث عنه (أنا سوف أخبرك عن نصف البنس) وجملة: "أصغر عملة إنجليزية هي نصف البنس" حيث "أصغر عملة إنجليزية" هي المحدث عنه (أنا سوف أخبرك عن أصغر عملة إنجليزية) الفرق بين الجملتين متعلق بالمحدث عنه، بشرحهما بهذه الطريقة ـ طريقة "أنا سوف أخبرك عن..." نستطيع أن نشعر أنهما رسالتان مختلفتان"[1].

يستدعي كلامُ هاليداي إلى الذهن كلام عبد القاهر الجرجاني عن المبتدأ حيث يقول: "المبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى... وإذا كان هذا كذلك ثم جئت بمعرفتين فجعلتهما متبدأ وخبرا فقد وجب وجوبا أن تكون مثبتا بالثاني معنى للأول."[2]

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 38.

[2] الدلائل، ص١٨٩-١٩٠. ثم يحلل عبد القاهر الفرق بين جملتي: زيد أخوك. وأخوك زيد. وجملتي: أنت الحبيب. والحبيب أنت.

يرى هاليداي أنه ليس ضروريا أن يكون المحدث عنه مركبا اسميا، كما في الأمثلة المذكورة في الجدول السابق، فقد يكون شبه جملة جريّا (جارا ومجرورا) أو شبه جملة ظرفيّا (ظرفا ومضافا إليه) أو حالا...إلخ، تعرض ذلك الأمثلة في الجدول ٢(٢)[1]

الجدول ٢(٢) وقوع المحدث عنه شبه جملة أو ظرفا

المحدث عنه	الحديث
ذات مرة (كان يا ما كان) Once upon a time	كان هناك ثلاثة دببة.
بحرص شديد	أقامته على أقدامه ثانية.
لنقص مسمار	فُقد الحذاء.
بالنشيج والدموع	فرز ذوات الحجم الأكبر

لا تتفق الدراسة وهاليداي في عد (Once upon a time) محدثًا عنه؛ لأنها ترى أن المتكلم **يختار** دائما بإرادته العنصر الذي سيجعله "محدثا عنه". نعم، قد تكون الاختيارات مقيدة بعض التقييد، لكنها تظل اختيارات. هنا لم يختر المتكلم مطلقا البداية، وإنما هذا ما اقتضته تقاليد النوع الأدبي (القصة/الحدوتة)، أي أن البداية هنا معتمدة على نوع النص لا على اختيار المتكلم.

٢-٤-١-١ الحد الفاصل بين المحدث عنه والحديث

من اليسير، في ضوء تنظير هاليداي، أن يُعيِّن المحدث عنه، ويبقى أن يُعيِّن الحد الفاصل بين نهاية المحدث عنه وبداية الحديث، وهو يذهب إلى أن "المحدث عنه كثيرا ما يُفصل عن الحديث عن طريق نمط التنغيم في الكلام، حيث يكون المحدث

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 39.

عنه منطوقا بمجموعة نغمية tone group منفصلة، لاسيما إن كان المحدث عنه شبه جملة جريًّا أو ظرفيًّا أو مركبا اسميا غير موظَّف مسندا إليه، بعبارة أخرى، حيثما كان المحدث عنه على خلاف الغالب والمتوقع. وغالبا ما يتطابق الحد الفاصل بين المحدث عنه والحديث والحد الفاصل بين المعلوم والجديد في الجملة".[١]

وتلاحظ الدراسة أن في العربية تراكيب معينة يتضح فيها الحد الفاصل بين المحدث عنه والحديث صوتيا؛ لوجود ما يعرف بالمفصل Juncture أو الانتقال Transition بينهما، وهو: "عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر".[٢] من هذه التراكيب (أ) أن يكون المبتدأ اسم علم والخبر كلمة (ابن) أو (ابنة)، وفي هذه الحالة ينون اسم العلم، ويتبعه مفصل، فإن كانت كلمة (ابن) أو (ابنة) نعتا، فلا تنوين ولا مفصل. (ب) وأن يرد بعد المبتدأ وهو معرفة معرفة أخرى تصلح نعتا أو خبرا[٣]، كما في الأمثلة التالية:

- خالدٌ ↓ ابن الوليد ابن المغيرة.
- خالدُ بن الوليد ↓ سيف الله المسلول.
- خالد بن الوليد سيف الله المسلول ↓ مات على فراشه.

---

[1] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P. 66.

[٢] ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٩، ٢٠١٠م. ص٩٥. وكذلك: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٦م، ص٢٣١.

[٣] "هناك إمكانية لسكتة خفيفة بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين، وبخاصة إذا كان الخبر محلّى بأداة التعريف الدالة على العهد أو الكمال، وكان المبتدأ اسم إشارة ...ودليل إمكانية هذه السكتة مجيء ضمير الفصل في مثل هذه الحالة بين المبتدأ والخبر" كمال بشر، فن الكلام، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص٢٨١. و"السكتة (بخلاف الوقفة) يمكن إعمالها، كما يجوز إهمالها، ولكن إعمالها أولى" المرجع نفسه، ص٢٨٠.

٢-٤-١-٢ اختيار المحدث عنه وقيود نظام اللغة

ستحاول الدراسة في هذا القسم فحص العلاقة الإشكالية التي قد تقع بين اختيار المتكلم أن يقدم عنصرا معينا لإبرازه أو للاهتمام به أو ليجعله محدثا عنه ـ وقيود النظام اللغوي التي قد توجب تقديم عناصر بعينها ليكون لها الصدارة في الجملة. في هذه المسألة تقرر بيكر أن اللغات شبه الحرة في ترتيب الكلمات يقل فيها التوتر بين متطلبات النحو ومتطلبات الوظائف التواصلية، واللغات ذات الترتيب شبه الثابت للكلمات يزداد فيها التوتر بين متطلبات النحو ومتطلبات الوظائف التواصلية.[١]

يغالي بعض الدارسين العرب في تمجيد سعة العربية في التعبير بإسناد "نقيصة" الترتيب الثابت إلى الإنجليزية في مقابل الحرية التركيبية العالية للعربية، وعادة ما يرد هذا في سياق كلامهم عن التقديم في العربية، فيورد أحدهم ـ مثلا ـ الصور التركيبية لجملة: أعطى محمد خالدا الكتاب. في مقابل زعمه أنه لا صور للمقابل الإنجليزي[٢]: Mohammad gave Khalid the book. وستفند الدراسة في الأسطر التالية هذا الزعم من خلال تحليل مثال إنجليزي كالذي أورده، موضِّحةً بعض الوسائل التركيبية التي تستعين بها الإنجليزية للتغلب على قيود ترتيب الكلمات[٣]، وإبراز المحدث عنه (وفقا لهاليداي):

١- التصدير[٤] Fronting

---

[1] Baker, M. (1992). P.166

[٢] راجع على سبيل المثال لا الحصر، فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٠م. ج١، ص٣٧.

[٣] تستعين الإنجليزية بالنبر أيضا، راجع كلام جان فرباس في ٢-٥ حلقة براغ.

[٤] يترجم معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ومعجم مصطلحات العلوم اللغوية، ومعجم المصطلحات اللغوية مصطلح Fronting بالتقديم، (محمد حسن باكلا وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.) (صبري إبراهيم السيد، معجم مصطلحات العلوم اللغوية الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٠م.) (رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.) ويعرِّفه البعلبكي: بأنه "وضع

تقصد الدراسة بمصطلح التصدير تقديم العنصر ليحتل صدر الجملة أو الصدارة، ومن ثم يُعد "التصدير" حالة خاصة من التقديم Preposing. والعنصر المقدم في هذه الحالة يُعد محدثا عنه موسوما Marked حسب هاليداي، (لا يكون هذا العنصر "فاعلا" في الإنجليزية.)[1] كما في المثالين التاليين:

خالدٌ أعطيتُه الكتاب. Khalid I gave the book.

الكتابُ أعطيتُه خالدًا. The book I gave to Khalid.

٢- المحدث عنه الواقع مسندا Predicated theme

يشير هاليداي إلى وجود نمط تركيبي آخر في اللغة الإنجليزية يسهم في التنظيم الحديثي للجملة، وهو الإسناد الداخلي لصيغة ...it + be+[٢] . أي عنصر في الجملة له وظيفة تمثيلية[٣] من الممكن جعله مميزا وبارزا عن طريق الإسناد بهذه الطريقة[٤]. هذا التركيب يسمح في الإنجليزية للمتكلم بأن يجعل الفاعل Subject محدثا عنه موسومًا[٥].(كما في

كلمة ـ أو أكثر ـ في مطلع الجملة بدلا من وسطها أو آخرها، مثلا: "Criminals these men were". وتذهب الدراسة إلى أنها ترجمة غير دقيقة لا تميّز بين التقديم مطلقا Preposing والتقديم إلى صدر الجملة (أو إلى الصدارة أو إلى أول موقع في الجملة)؛ لذا تقترح الدراسة مصطلح التصدير ترجمة لـ Fronting؛ لدقته واختصاره.

[1] Baker, M. (1992). P.133-5.

[٢] تشبه وظيفة الضمير (It) في الإنجليزية وظيفة ضمير الشأن من حيث إن الضمير (It) لا يشير إلى ذات بعينها، وإنما يشغل تركيبيا (لا دلاليا) وظيفة الفاعل؛ لهذا يسمى dummy element أو empty subject ، وضمير الشأن أيضا لا يشير إلى ذات بعينها، ومن ثم "فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرًا لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن، وهو السر في التزام تقديم الشأن أو القصة" الخطيب القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ج١، ص٧٢.

[٣] أي له وظيفة دلالية في الجملة من حيث هي تمثيل للواقع، راجع الفصل الرابع.

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 58.

[5] Baker, M. (1992). P.135.

أول مثال من الأمثلة التالية) ومثل كل محدث عنه موسوم غالبا ما يكون دالا على المقابلة Contrast بين عنصرين أو أكثر. ويكون في العربية أيضا دالا على التخصيص غالبا وعلى الاهتمام أحيانا.

أنا أعطيتُ خالدًا الكتاب.	**It was me who gave Khalid the book.**
خالدًا أعطيت الكتاب.	**It was Khalid I gave the book to.**
الكتابَ أعطيت خالدًا.	**It was the book I gave to Khalid.**

٣- المعادِل الحديثي Thematic equative

يقترن هذا التركيب كسابقه بسمة "المقابلة" غالبا، ولكن يوجد فرق بينهما، هو أن المحدث عنه في التركيب السابق يمثِّل المعلومة "الجديدة" في الإنجليزية (وفي العربية إن كان التقديم للحصر)، أما في هذا التركيب فيمثِّل ما هو "معلوم"[1]

<u>What I gave to Khalid </u>was the book.

<u>The one who gave Khalid the book</u> was me.

<u>The one I gave the book to</u> was Khalid.

يقدِّم هاليداي المثال التالي لشرح المقصود بالمعادل الحديثي:

<u>What the duke gave to my aunt</u> was that teapot.

[1] Ibid. P.136.

(ما أعطاه الدوقُ عمتي هو ذلك الإبريق)

حيث يُعد (ما أعطاه الدوق عمتي) محدثا عنه بسيطا يُشكِّل مكوّنا مفردا في جملته، ويُطلق هاليداي على جملته اسم "المعادِل الحديثي"؛ "لأنها تصوغ تركيب الحديث في شكل معادلة حيث المحدث عنه = الحديث"[١] يُقدِّم لنا هذا المثال أيضا شاهدا على سمة تركيبية "تُعرف باسم "التحويل الاسمي"، والتحويل الاسمي إجراء تركيبي يسمح للمتكلم أو الكاتب بأن يُحوّل عنصرا أو مجموعة من العناصر إلى مركب اسمي، ولهذا أثر ودور شديد الأهمية خاصة في الخطاب العلمي والسياسي والإعلامي، أما هنا "فيخدم التحويل الاسمي هدفا يتعلق بالمحدث عنه؛ فهو والمعادل الحديثي معا يسمحان بكل التوزيعات الممكنة لأجزاء الجملة ما بين المحدث عنه والحديث"، وما المثال السابق إلا أحد التوزيعات الممكنة لجملة: (أعطى الدوق عمتي ذلك الإبريق)، يعبِّر المبرد عن سعة استخدام الاسم الموصول في الإخبار به بقوله: "فـ(الذي) لا يمتنع منه كلام يُخبر عنه ألبتة"[٢]. ويعرض لنا الجدول ٢(٣) بعض التوزيعات الممكنة لهذه الجملة[٣].

الجدول ٢(٣) التحويل الاسمي والمعادل الحديثي

المحدث عنه	(=) الحديث
ما أعطاه الدوق عمتي	هو ذلك الإبريق
من أعطى عمتي ذلك الإبريق	هو الدوقُ
من أعطاه الدوقُ ذلك الإبريق	هو عمتي
ما فعله الدوقُ بذلك الإبريق	هو إعطاؤه عمتي

يُعرِّف هاليداي جملة المعادل الحديثي بأنها: جملة تعيينية Identifying Clause وقع فيها تحويل اسمي في المحدث عنه أو في الحديث. ووظيفتها هي التعبير عن

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 40.

[٢] المقتضب، ج٣، ص٨٩.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 41.

تركيب المحدث عنه- الحديث بطريقة تسمح للمحدث عنه بأن يتركب من أي مجموعة فرعية من عناصر الجملة. هذا ما يُفسر نشأة هذا النوع من الجمل في الإنجليزية؛ إنها تُمكِّن المتحدث أو الكاتب من أن يبني رسالته بأي طريقة يشاء[١]. يُحقق المعادل الحديثي سمتين دلاليتين متغايرتين اتفق أنهما تناظران معنيي كلمة (identify)[٢] فهو يُعيِّن المحدث عنه من جهة، ويطابقه ويساويه بالحديث من جهة أخرى، والسمة الثانية من هاتين السمتين تُضيف دلاليا معنى الحصر exclusiveness ؛ لذلك فإن معنى: "ما أعطاه الدوق عمتي هو ذلك الإبريق" يُشبه المعنى في قولنا: "أنا سوف أخبرك عن هدية الدوق لعمتي، إنها ذلك الإبريق، فقط لا غير" قارن هذا بقولنا: "أعطى الدوق عمتي ذلك الإبريق"، حيث المعنى هو "أنا سوف أخبرك شيئا عن الدوق: لقد أعطى عمتي ذلك الإبريق" دون إيحاء بأنه لم يفعل أشياء أخرى. وقد يقع التحويل الاسمي في "الحديث" كما ذكرنا آنفا فيفيد الحصر أيضا، قارن بين قولنا: "رغيفُ خبز هو ما نحتاج إليه" وقولنا: "نحتاج إلى رغيف خبز"[٣]

رصد النحاة العرب كل التنويعات التركيبية المرتبطة بالاسم الموصول وأفردوا لها بابا نحويا سموه: باب "الإخبار بالذي والألف واللام"[٤] لكن ما يؤسف له أنهم لم يضعوا هذا الباب لاستكناه جزء من الطاقات التعبيرية للغة وبيان الفروق بينها، وإنما

---

[1] Ibid. P. 42.

يتفق كلام هاليداي هنا عن وظيفة المعادل الحديثي وكلام البلاغيين العرب عن تعريف المسند بالموصولية، غير أن هاليداي يخطو خطوة أبعد زاعما أن تلك الوظيفة هي المُفسِّر لنشأة هذا النمط من أنماط الجملة، وزعمه هذا يتسق مع افتراضه عن نشأة اللغة، حيث يرى أن الاستخدام هو الذي نحت اللغة وشكَّلها.

[٢] المعنى الأول: يُعين هوية شخص أو شيء، المعنى الثاني: يساوي الشيء بالشيء، ويطابقه. انظر: حسن سعيد الكرمي، المغني الأكبر الجديد، مكتبة لبنان، بيروت. ط ٢٠٠٧. وانظر كذلك: منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين، لبنان. ط ٢٠١٠.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 42.

[٤] راجع على سبيل المثال: ابن عقيل، عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (-٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، د.ت. ج٤، ص٦٠.

"وضعه النحويون لامتحان الطالب وتدريبه كما وضعوا باب التمرين في التصريف لذلك"[1] أما البلاغيون العرب فقد ركزوا على السمات الدلالية كسمتي التعيين والحصر، يقول القزويني: "وهذه الوجوه الثلاثة: أعني العهد، والجنس للقصر تحقيقًا، والجنس للقصر مبالغة، تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها على ما حكم عليه بالمعرف، بخلاف المنكر فلا يقال: زيد المنطلق وعمرو، ولا زيد الأمير وعمرو، ولا زيد الشجاع وعمرو."[2]

٤-أدوات وعبارات

يرى هاليداي أن في الإنجليزية بعض التعبيرات التي تدل على المحدث عنه الاسمي دلالة واضحة مثل: as for …، with regard to …، (about…)[3]، كما في المثال التالي، تستخدم العربية أيضا أدوات وعبارات للغرض نفسه. (انظر ٢-١٠-٣ وسائل إبراز المحدث عنه)

أما خالد فأعطيته الكتاب. **As for Khalid, I gave him the book.**

٢-٤-١-٣ المحدث عنه الموسوم

اختيار المحدث عنه اختيار دالّ دائما؛ لأنه يبين نقطة انطلاق المتكلم/ الكاتب، ولكن بعض الاختيارات أغنى دلالة من غيرها؛ لأنها موسومة Marked أكثر من غيرها. كلما كان الاختيار على خلاف المتوقع والافتراضي كان أشد وسمًا.[4] على هذا يُعد هاليداي، في الجملة الخبرية، حالةَ كون المحدث عنه هو المسند إليه الحالةَ غير الموسومة Unmarked أما الحالة الموسومة فهي وقوع شبه الجملة أو الظرف محدثا

---

[1] المرجع السابق، ص٦١.

[2] الإيضاح، ج١، ص١٠٢.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 39.

[4] Baker, M. (1992). P. 130.

عنه، وأما الحالة الأشد وسمًا فهي وقوع المفعول به محدثًا عنه؛ لأن المفعول به عنصر اسمي له إمكان أن يكون مسندا إليه ولكنه لم يختر مسندا إليه، ومع هذا وقع محدثا عنه، فلابد من دافع لهذا، كالأهمية مثلا[1]. تتفق الدراسة وهاليداي في أنها تجعل الحالة غير الموسومة (الأصل) في العربية أن يكون المحدث عنه هو المسند إليه، وفي أن تقديم المفعول به إلى صدر الجملة يجعله موسومًا، لكنها تختلف عنه في أنها لا تجعله في هذه الحالة محدثا عنه.

من الواضح هنا أن الاختيار ليس بين قطبين، أو تعارضات ثنائية Binary oppositions إما موسومًا أو غير موسوم، وأن الوسم درجات. وتجدر هنا الإشارة إلى أن ابن جني قد أدرك هذه الطبيعة المتدرجة للوسم، يشهد لذلك كلامه عن الزيادة المتدرجة في الأهمية المترتبة على التقديم، الذي طوّر به كلام سيبويه عن أن بعض العناصر أهم من بعض[2].

٢-٤-١-٤ المحدث عنه في الصيغ Moods الأخرى

يجعل هاليداي المحدث عنه في الاستفهام التصوري أداة الاستفهام، وفي الاستفهام التصديقي الفعل المساعد والفاعل، يقول: الوظيفة النمطية لجملة الاستفهام هي أن تسأل عن معلومة ما، والرسالة في جملة الاستفهام هي: "أريد منك أن تخبرني ..."، ومن ثم يبدو طبيعيا أن يكون المحدث عنه هو الكلمة التي تدل على ما يريد السائل معرفته. المتكلم لا يختار كل مرة أن يضع هذا العنصر في البداية؛ ومن ثم نعده المحدث عنه، لكننا نسميه المحدث عنه النصي؛ لأن كونه محدثا عنه هو جزء من

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P.43-5. (Baker, M. (1992). P. 131.)

[2] ابن جني، (أبو الفتح عثمان بن جني) (-٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.، ج١، ص٦٤. الكتاب، ج١، ص٣٤.

نظام اللغة لا من اختيارات المتكلم؛ ولهذا السبب نفسه لا يستنفد الطاقة الحديثية للموضع الأول في الجملة، وبناء على ذلك نعد ما يقع بعده محدثا عنه موضوعيا Topical. ويجعل هاليداي المحدث عنه في التعجب هو أداة الاستفهام الدالة على التعجب وما يليها من حال أو نعت كما في (How cheerfully he seems to grin) أما الأمر والنهي، فالمحدث عنه فيهما هو المسند الفعلي، وتشاركه أداة النهي في حالة النهي، يقول: الرسالة التي تحملها هاتان الصيغتان هي: "أريد منك أن تفعل شيئا ما"، فالفعل هنا هو محور اهتمام الرسالة بل يكاد يكون هو الرسالة نفسها[١].

لا تتفق الدراسة وهاليداي في تحليله للصيغ غير الخبرية؛ إذ ترى أنه ـ على الرغم من تفضيله مصطلح "theme" على مصطلح "topic"؛ محتجًّا بأن الأخير يشير إلى نوع واحد فقط من أنواع الـ "theme"، ويُستخدم باعتباره مصطلحا عاما يُغطي مفهومين متمايزين وظيفيا: أحدهما هو الخاص بالـ "theme" والآخر هو الخاص بما هو معلوم من المعلومات given[٢] ـ على الرغم من هذا يُحلِّل تركيب الحديث معتمدا على تركيب المعلومات، فالعناصر التي حددها محدثا عنه هي جميعا تُمثِّل المعلومة الجديدة New التي هي محور التواصل (المعلومة المجهولة في صيغة الاستفهام، والمعلومة الجديدة في غير ذلك). إن ظهور ما يسميه هاليداي "المحدث عنه النصيّ" ما هو إلا نتيجة لتعسفه في تطبيق المعيار الشكلي ـ المحدث عنه هو أول عنصر في الجملة ـ ولانتهاكه مبدأ الحرية في اختيار المحدث عنه.[٣]

٢–٤–١–٥ المحدث عنه وتنظيم النص

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 45-47.

[2] Ibid. P. 38.

[٣] ليس هناك ما يوضح شكلية هذا المعيار أكثر من أنك تستطيع أن تحدد المحدث عنه في نص مكتوب بالإنجليزية أو الفرنسية مثلا ـ وإن لم تكن تعرف شيئا عنهما ـ بأن تختار العنصر الذي يلي علامة الترقيم "النقطة"، وتتحرك حتى أول فراغ كتابي/مسافة بين الكلمات. هذا العنصر سيكون هو المحدث عنه أو جزءا منه لا محالة.

أشار هاليداي إلى أنه قد يبدو اختيار المحدث عنه جملةً بعد جملةٍ مسألة مصادفة أو يقع كيفما اتفق، ولكن الحال ليست كذلك؛ فاختيار المحدث عنه يلعب دورا أساسيا في طريقة تنظيم النص وإنمائه.[١] وهذا ما تؤكده بيكر إذ ترى أن المحدث عنه له في هذا دور أكبر بكثير من دور الحديث.[٢]

يسهم تتابع المحدث عنه في سبك النص وترابطه، وقد رصدت "سوزان إيجنز" ثلاثة أنماط رئيسة للإنماء الحديثي Thematic Development في النص: **(أ) تكرار المحدث عنه:** وهذا التكرار وسيلة فعالة في خلق التماسك النصي، لكن الطبيعة الحركية والعفوية للحوار أو المحادثة تنزع إلى التغيير السريع للمحدث عنه، وإن كان لهذا التغيير مدى محدود. يُمكن استثمار تكرار المحدث عنه بتضمينه عناصر أخرى عبر آلية التحويل الاسمي[٣] ولهذا أثره في إبقاء المحدث عنه في بؤرة الاهتمام من جهة، وتجنُّب التكرار البسيط والإملال من جهة أخرى؛ فلئن كان المحدث عنه هو نقطة انطلاق الرسالة، فإن عدم تغيُّر المحدث عنه في النص يعني أن الكاتب ينطلق دائما من النقطة نفسها، وأنه لا يتقصى ولا يتتبع ما يقدمه في "الحديث".[٤]

ترى الدراسة أن هذا النمط التكراري قد يكون هو الغالب في أنواع بعينها من النصوص كتراجم الشخصية أو السير الذاتية؛ حيث ينصب الاهتمام في هذه النصوص على صاحبها وما يتعلق به، وهذا النمط يسمح بإبقائه في بؤرة الاهتمام دائما. قد يحدث تغيير للمحدث عنه من جملة إلى أخرى، فإن كان المحدث عنه الجديد سبق له ذكر في النص، ففي هذه الحالة تُطلق "إيجنز" على هذا التغيُّر اسم "التعاقب الحديثي"، وهي

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 61-2

[2] Baker, M. (1992). P. 126.

[٣] تستعين العربية بـ "الإضافة" النحوية أيضا، فإن كان المحدث عنه هو السياحة على سبيل المثال، فربما يُنمَّى بذكر تاريخها، وأنواعها وأهدافها...إلخ

[4] Eggins, S. (2011). *An introduction to functional linguistics*. 2nd edition. London: Continuum. P. 324.

ترى أن له نمطين: **(ب) النمط المتعرج** zig-zag pattern **(جـ) النمط المتعدد** multiple pattern. في النمط المتعرج يؤخذ عنصر من "الحديث" في الجملة، فيجعل محدثا عنه في الجملة التالية.[1]

تقترح الدراسة تسمية النمط المتعرج باسم النمط المتسلسل؛ إذ إن تسمية إيجنز قائمة على الاستعارة المكانية وعلى تخيّل النص عند تحليله على أنه جمل متراصة بعضها فوق بعض، والأقرب عند التحليل هو تصور النص على أنه جمل متتابعة بعضها إثر بعض، في الزمان أو المكان، سواء أكان النص منطوقا أم مكتوبا، وعلى هذا تقترح الدراسة تمثيله كما في الشكل (٢-١) التالي:

(ج1) محدث عنه + حديث. (ج2) محدث عنه + حديث. (ج 3) محدث عنه + حديث....

ج: جملة

الشكل (٢-١) النمط المتسلسل لإنماء النص

مما رصدته الدراسة من الأمثلة على هذا النمط قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري﴾[2] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي

[1] Ibid. P. 324.

[2] سورة النور: من الآية ٣٥.

إلى الجنة..."[1] وتذهب الدراسة إلى أن هذا النمط من التسلسل، إنْ استمر طويلا، ربما شكّل قالبا للنص، كما في أنواع معينة من النصوص كحكايات الأطفال وأغانيهم[2].

أما النمط المتعدد، ففيه يشير "الحديث" في الجملة الأولى إلى عدد من العناصر، كل عنصر منها يكون محدثا عنه في الجمل التالية.[3] أي أن التفصيل حسب ما ترى إيجنز يقع في الحديث، لكن الدراسة تذهب إلى أن التفصيل قد يقع في الحديث أو في المحدث عنه، من الأمثلة على **ما وقع في الحديث** قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾[4]. ومن الأمثلة على **ما وقع في المحدث عنه** قول ابن الرومي (من الكامل)[5]:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... فى الحادثات إذا دَجَوْنَ نجوم

فيها معالم للهدى ومصابحٌ ... تجلو الدّجى والأخريات رُجُوم

٢-٤-٢ تركيب المعلومات

تركيب المعلومات هو وسيلة للنظر إلى النص من حيث هو بنية تحمل قدرا من المعلومات، الوحدة التي تنظم النص في هذه الحالة يُطلق عليها اسم "وحدة المعلومات"، وهي تتألف من مكونين الأول هو المعلومة الجديدة": أي ما يُدعى المستمع

---

[1] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (- ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١، ص٢٣.

[2] كما في أغنية الأطفال التالية: (السطوح عايز سلم، والسلم عند النجار، والنجار عايز مسمار، والمسمار عند الحداد، ...إلخ) أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص٣١٣-٣١٤.

[3] Eggins, S. (2011) P. 325.

[4] (هود: ١٠٥-١٠٨). درس البلاغيون العرب بعضا من أنماط تنظيم النص بوصفها أنواعا من "البديع"، فالآيات الكريمة السابقة تعد شاهدا لما أسموه في اصطلاحهم بـ "الجمع" مع "التفريق" و"التقسيم". راجع: الإيضاح، ج٢، ص٣٧١-٣٧٢.

[5] والأبيات مثال على ما أسماه البلاغيون "اللف والنشر" راجع الإيضاح، ج٢، ص٣٦٦-٣٦٧.

إلى صرف انتباهه إليه بوصفه معلومة جديدة أو غير متوقعة أو مهمة، والثاني هو المادة الخام القديمة: أي ما يُقدم على أنه معلوم للمستمع قبلا أو معلوم من السياق، ونسميه "المعلوم"[١]. ويصاحب المعلومة الجديدة عادة ارتفاع أو انخفاض واضح في طبقة الصوت pitch[٢].

يتحقق تركيب المعلومات في الإنجليزية في الأساس عن طريق نبر أو تنغيم مقطع أو وحدة معينة Tonicity[٣] أما في العربية، فلم يقدِّم أحد من النحاة العرب القدماء والمحدثين ـ حسب ما علمت الدراسة ـ تنظيرا للعلاقة بين نبر أو تنغيم المقاطع أو الوحدات (لا تنغيم الجملة كلها) وتركيب المعلومات. وقد رصدت سلوى كامل أن عبد القاهر الجرجاني لم يتطرق لهذه المسألة، وفسرت ذلك في ضوء اعتماده على نصوص مكتوبة[٤].

لا تناظر وحدة المعلومات أي وحدة في نحو الجملة، وأقرب وحدة نحوية إليها هي الجملة، وهاليداي يعد حالة تطابق وحدة المعلومات والجملة الحالة غير الموسومة؛ فقد تمتد وحدة المعلومات فوق جملتين أو أكثر أو فوق جملة ونصف الجملة التالية لها،

---

[١] لكن المعلومية ليست مجرد مسألة ذكر سابق؛ في أي حالة من الحالات يكون القرار هو قرار المتكلم في تحديد أي العناصر سيُعامل بوصفه معلوما؛ فهو حُر في استخدام النظام كيفما يشاء، وهو يستخدمه غالبا استخداما بالغ التأثير لبناء البيئة أو المحيط الذي صُمِّم النظام في الأصل ليعكسه.

Halliday, M. A. K. (2002b). *Linguistic Studies of Text and Discourse*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 2. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. P. 23-24.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 59. 295-6.

[3] Baker, M. (1992). P. 156.

"وظيفة الجزء البارز نغميا هي تكوين بؤرة للمعلومات... ويعتمد مفهوما "الجديد" و"المعطى" على وجود سياق، وعلى هذا فاختيار التنغيم ـ عزو بروز نغمي لجزء من الرسالة ـ هو وسيلة لربط ما يُقال بما سيقال، ومن ثم هو جزء جوهري من تنظيم الخطاب/ النص."

Halliday, M. A. K. (1970). *A course in spoken English: Intonation.* London: Oxford university press. pp. 40-1.

[4] Baker, M. (1992). P. 677.

كما قد تمتد الجملة فوق وحدتين للمعلومات أو أكثر (وهذه الحالات موسومة)؛ لذا ينبغي أن تُؤسس وحدة المعلومات بوصفها مكونا مستقلا[1] ترى الدراسة أن الحال ليست كذلك في العربية؛ فتركيب المعلومات يطابق الجملة باطراد.

قد يبدأ الخطاب بوحدات تمثِّل "الجديد" فقط؛ فالعنصر "المعلوم" حسب طبيعته قد يكون إحاليا يشير إلى شيء موجود في السياق اللغوي أو غير اللغوي؛ لهذا يُقال إن وحدة المعلومات تتكون . تركيبيا . من عنصر "جديد" (إلزامي) واجب وعنصر "معلوم" (اختياري) جائز. يتحقق تركيب المعلومات (في الإنجليزية) بطريقة طبيعية (غير اعتباطية) من ناحيتين: أولا يتميز العنصر "الجديد" ببروز نغمي. ثانيا يسبق العنصر "المعلوم" نمطيا العنصر "الجديد"[2] إحدى وسائل تقديم "الجديد" التي تقع كثيرا في الحوار هي المقابلة، كالمقابلة بين أنت وأنا في الجملة التالية: أنت تستطيع الرحيل إن شئت، أما أنا فلا. بعض العناصر اللغوية الأصل فيها أن تقع في موقع "المعلوم" فقط؛ لأنها لا يُمكن تفسيرها إلا بالإحالة إلى ما ذُكر سابقا، أو بالإشارة إلى بعض عناصر الموقف: العناصر الإحالية (كالضمائر التي تعود على أسماء سبق ذكرها) والعناصر الإشارية (التي تُفسَّر بالإشارة إلى "هنا والآن" في الخطاب) هذه العناصر لا تكون مركزا للمعلومات الجديدة، إلا في حالة المقابلة، ففي جملة: المشكلة قد حُلت اليوم. نعد (المشكلة) "معلوما" و(قد حلت) "جديدا" و(اليوم) "معلوما".[3]

قد يقدِّم المتكلم معلومة ما على أنها "معلوم" وإن لم يكن لها وجود في السياق غير اللغوي أو ذكر في السياق اللغوي؛ لأغراض بلاغية. وهذه حيلة شائعة في السياسة.

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 295-6.

Halliday, M. A. K and Greaves, W. S. (2008). *Intonation in the grammar of English.* London & Oakville: Equinox. P. 59.
Halliday, M. A. K (1978). Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning. U.S.A. University Park Press. P. 131.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 296. (لا تشارك العربية الإنجليزية في هاتين الناحيتين)

[3] Ibid. P. 298.

تقديم معلومة على أنها "معلوم" يوحي بأنها أمر مستقر ومتفق عليه بالفعل ومن ثم خارج إطار التفاوض (انظر ٢-١٠-٦ تركيب المعلومات). وبالمثل قد تقدم عناصر ذكرت سابقا على أنها "جديد" للمقابلة بينها وبين غيرها.[١]

٢-٥ حلقة براغ

قدمت حلقة براغ نظرية "المنظور الوظيفي للجملة Functional sentence Perspective (FSP) لفحص العلاقة بين النحو والوظيفة التواصلية للجملة. وهي تقوم على افتراض أساسي هو أن أهداف التواصل اللغوي تحدد الوظائف المسندة إلى العناصر في الجملة. وقد ضرب جان فرباس ـ أحد مؤيدي النظرية ـ مثالا على ذلك بجملة: (John has been taken ill.) التي قد تكون إخبارا عن صحة شخص، مع بروز (**ill**) صوتيا، أو تحديدا للشخص المصاب بمرض، مع بروز (**John**)، أو إقرارا بصحة المعلومة التي تنقلها الجملة، مع بروز (**has**).[٢]

طرح فرباس مبدأ حركية التواصل Communicative Dynamism (CD) لدراسة تركيب الحديث والمعلومات، وهو قائم على حقيقة أن التواصل اللغوي ليس ظاهرة ساكنة، بل حركيّة، تسهم فيه عناصر الجملة في دفع الحدث التواصلي للأمام إسهامًا متفاوتًا بناء على ما تحمله من معلومات. رأى فرباس أن الجملة تتركب من نوعين[٣] أساسيين من العناصر: عناصر تعتمد على السياق context-dependent وتُعد الأساس الذي عليه ستنقل عناصر أخرى الرسالة، وتكوِّن المحدث عنه، ولها قدرة منخفضة على تحريك الحدث التواصلي. وعناصر مستقلة سياقيًا context-independent تكمل

---

[1] Baker, M. (1992). 155.

[2] Ibid. P. 160-1.

[٣] لم تتعرض الدراسة لنوع ثالث من العناصر يسمى العناصر الانتقالية transitions لبعد الصلة بينه وبين بنية العربية.

المعلومات وتنجز الهدف التواصلي للجملة، وتُعد مكونات محورية تكوّن الحديث، ولها قدرة عالية على تحريك الحدث التواصلي.[١]

مما سبق يتضح أن مفهوم المحدث عنه عند فرباس هو مفهوم لغوي خالص يعتمد على السياق في الأساس ولا يمتد إلى الجوانب النفسية كمفهوم هاليداي له، وأنه على الرغم من أن منظري براغ كفرباس وماثيسيوس يعدون التتابعَ (محدث عنه ← حديث) التركيبَ غير الموسوم (الأصلي) كما يفعل هاليداي ـ يجعلون للعوامل السياقية والدلالية الأولوية على التتابع الخطيّ، فعلى سبيل المثال، في الجملة: (قطرات من ندى عالقة على الشجيرات) سيكون التحليل وفقا لهاليداي كالتالي: قطرات من ندى (محدث عنه) عالقة على الشجيرات (حديث)، ووفقا لفرباس كالتالي: قطرات من ندى (حديث) عالقة (وحدة انتقالية) على الشجيرات (محدث عنه). وتركيب هذه الجملة يعد موسوما عنده؛ لتقدُّم الحديث على المحدث عنه.[٢]

ولعله من العرض السابق قد اتضح أيضا أن تنظير هاليداي ـ وإن بدا أسهل في تطبيقه ـ يقل عن تنظير لغويي براغ في درجة مرونته وطواعيته للتطبيق على اللغات الأخرى غير الإنجليزية، ولكن الدراسة ترى مع ذلك أن التنظيرين كليهما ما يزالان مصبوغين بصبغة اللغات التي وُضعا لدراستها؛ فكلاهما يفترض أن التتابع (محدث عنه ← حديث) هو الأصلي والطبيعي، بل إن هنري وِيل ـ أحد رواد هذا المجال البحثي ـ يزعم أن هذا التتابع يُمثِّل حركة العقل نفسها!.[٣]

٢-٦ منى بيكر

---

[1] Firbas, J. (1992). *Functional sentence perspective in written and spoken communication*. Cambridge: Cambridge University Press. P. 6-8, 12. (Baker, M. (1992). P. 161.)

[2] Baker, M. (1992). P. 162-4.

[3] Ibid. P. 165.

انتقدت بيكر أفكارا عديدة مما قدم هاليداي، وتمثلت مواطن النقد في النقاط التالية:

١- تصور هاليداي للمحدث عنه على أنه ما يأتي في الموقع الابتدائي للجملة؛ وفسَّرت هذا بأنه انعكاس لطبيعة اللغة الإنجليزية ذات الترتيب شبه الثابت للكلمات، من جهة، وانعكاس لدراسة هاليداي للغة الصينية التي يأتي فيها موضوع الجملة (Topic) في بدايتها دائمًا، من جهة أخرى.

٢- أن تنظيره لا يفسح مجالا للتتابع حديث ← محدث عنه.

٣- أنه وقع في خطأ الدور المنطقي: المحدث عنه هو ما يأتي في الموقع الابتدائي، وما يأتي في الموقع الابتدائي هو المحدث عنه.

٤- فشله في الربط بين وصف اللغات ذات الترتيب شبه الثابت كالإنجليزية، ووصف اللغات ذات الترتيب شبه الحر، لا سيما التي يقع فيها الفعل في أول الجملة كالعربية مثلا.[١]

٥- أن زعمه أن تركيب المعلومات سمة للغة المنطوقة أكثر منه سمة للمكتوبة، أو أنه سمة للأولى فقط لأنه يُعبَّر عنه بأنماط التنغيم ـ لم يكن صحيحا؛ فاللغة المكتوبة تستعين بوسائل تركيبية وبعلامات الترقيم أحيانا لتعويض ذلك.[٢]

٢-٧ محمد عناني

يذهب محمد عناني إلى عدم صلاحية تطبيق هذا النموذج على العربية محتجا بأن لكل لغة بنيتها التركيبية الخاصة، فطرق وسم Markedness عنصر ما في الجملة،

---

[1] Ibid. P. 140-1.

[2] Ibid. P.147-8, 150.

قد تختلف من لغة إلى أخرى، ففي الإنجليزية يكون الوسم بوضع العنصر في موقع "بارز" في الجملة، كأن يُقدم على غيره في البناء، فتكون له الصدارة، والحكم بمعيار البناء الإنجليزي وحده لا يصلح في جميع الأحوال[١]. ولتدعيم رأيه يقول: "سأورد العبارة التي أوردها طومسون في كتابه المذكور (١٩٩٦ ص١١٨ -١١٩) لشرح ما يعنيه هاليداي ببناء البداية وسائر الجملة Theme and Rheme إذ يقول إنه رأى جملة وردت في إحدى الصحف تقول:

For centuries، yellow canaries have been used to test air in mining.

١ – (على مدى قرون، كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم وما تزال "لاختبار" الهواء في المناجم) ويضيف٩ قائلا إن العبارة الاستهلالية... تشغل نقطة البداية وتعتبر من ثمّ "موضوع" الجملة، وينتقل بعد ذلك إلى تقديم أشكال أخرى للجملة نفسها يُغير فيها من موقع هذه العبارة:

٢ – كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم في "اختبار" الهواء في المناجم على مدى قرون طويلة.

٣ – كان عمال المناجم يستخدمون طيور الكناريا الصفراء في "اختبار" الهواء في المناجم على مدى قرون طويلة.

٤ – في المناجم كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم "لاختبار" الهواء على مدى قرون طويلة.

---

[١] محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١٨١-١٨٢.

٥ – بغية اختبار الهواء في المناجم، كانت طيور الكناريا الصفراء تستخدم على مدى قرون طويلة.

٦ – كان الهواء يُختبر في المناجم، على مدى قرون طويلة، باستخدام طيور الكناريا الصفراء.

وهو يُعلق على ذلك قائلا إنه بدأ الرسالة في كل مرة من نقطة مختلفة، أي اختار موضوعا أو بداية theme مختلفة لكل صورة من صور الجملة المذكورة، ويمضي بعد ذلك في تحليل أهمية موقع البداية قائلا إن الجملة (١) تجعل "على مدى قرون" موضوعها فهي تتناول الموضوع من وجهة تاريخية، ولكن الجملتين (٢) و(٣) توحيان بأن "طيور الكناريا الصفراء" أو "عمال المناجم" هما موضوع الجملة، وأما الجملة (٤) فتوحي بنقطة بداية "أضيق" وكذلك شأن الجملتين (٥) و(٦). وتعليقنا (الكلام هنا لمحمد عناني) على ذلك أنه موجه إلى البناء في اللغة الإنجليزية وحدها، ولكن مقارنة الترجمات العربية التي تحاكي البناء الإنجليزي قدر الطاقة تثبت أن بعض الأبنية الواردة لا تتفق وطبيعة اللغة العربية، فأما الأبنية التي تتفق معها فهي التي تبدأ بالفعل "كان" أو "كانت" سواء كان الفعل بعدها مبنيا للمعلوم (٣) أو للمجهول (٢)؛ ولذلك فإن الحكم على نقطة البداية . باعتبارها الموضوع . وما يستتبع ذلك من تأكيد أمر غير موثوق به في العربية، وفي الترجمة منها وإليها"[١]

٢–٧–١ تحليل ونقد لرأي محمد عناني

وقد آثرت الدراسة عرض رأي محمد عناني بنصه على طوله؛ لأنها تختلف معه فيما ذهب إليه من القول بعدم صلاحية تطبيق الفكرة؛ وإن اتفقت معه في بعض الأفكار

---

[١] المرجع السابق، ص١٨٢ – ١٨٤.

الجزئية، غير أن الدراسة ستقدم أولا ثلاث ملاحظات على النص الذي أورده للاستدلال به.

٢-٧-١-١ ملاحظات أولية

١- أن الجملة التي حللها طومسون هي الجملة الأولى في تقرير صحفي يعرض تاريخ صناعة ما.[1]

٢- أن على القارئ أن يُفكر في **السياق** الذي ستكون فيه إحدى هذه الجمل ملائمة أكثر من غيرها، فالجملة الأصلية تبدأ من منظور تاريخي، ويبدو منطقيا أن تكون الجملة الأولى لتقرير عن تاريخ صناعة ما، والجملتان (٢) و(٣) تصلحان في هذا السياق، لكنهما قد توحيان للقارئ بأن طيور الكناريا أو عمال المناجم الموضوع الأساسي للتقرير، أما الجملتان (٥) و(٦) فمن المحتمل أن تقعا في موقع متأخر في هذا التقرير لا في جملته الافتتاحية.[2]

٣- أن طومسون نفسه لم يحلل الفرق بين هذه الجملة وصورها التركيبية ليُقوِّض فكرة المحدث عنه في الجملة، وإنما " ليُؤكد حقيقة أن هذه الجمل كلها. مع كونها تُشير إلى الشأن نفسه . لا يُمكن أن تتبادل المواقع مطلقا، أي أن الاختيار المختلف للمحدث عنه يُسهم في جعل المعنى مختلفا"[3]

---

[1] Thompson, G. (2004). *Introducing functional grammar*. 2nd edition. London: Arnold. P. 142.

[2] Ibid. P. 143.

[3] Ibid. P. 144.

٢-٧-١-٢ جوانب الاتفاق والاختلاف

تتفق الدراسة ومحمد عناني على أن لكل لغة بنيتها التركيبية الخاصة، وأن الحكم بمعيار البناء الإنجليزي وحده لا يَصلح في كل الأحوال، وهاليداي نفسه قد عاب النزوع إلى فرض اللغة الإنجليزية على اللغات الأخرى.[١] وتختلف الدراسة معه في عدم صلاحية تطبيق الفكرة؛ للأسباب التالية: (أ) أن الدراسة لا تسعى إلى التطبيق الحرفي للنموذج الوظيفي؛ ومن ثمّ لا يُشكل الاختلاف التركيبي عائقا يحول بينها وبين الاستفادة من الأفكار التي يُقدمها. (ب) ولأنه اتفق أن العربية والإنجليزية تشتركان في اعتبار الموقع الأول في الجملة موقعا بارزا مميِّزا، وفي اعتبار أن تقديم عنصر ما إلى هذا الموقع يجعله موسوما[٢]، كما اتفق أن في اللغتين عناصر نحوية تحتل هذا الموقع أصالة حسب نظام اللغة مثل أدوات الاستفهام. (جـ) ولأن الدراسة ترى أن تقديم كلمة أو كلام معين على غيره هو في الأساس عملية نفسية معرفية مرتبطة بتوارد الأفكار على الذهن بما تثيره في النفس من انفعالات، وبتنافسها. إذا جاز التعبير. في الخروج من حيز اللغة الصامتة إلى حيز الفكر المنطوق، ووفقا لهذا التصور يُمكن النظر إلى ظاهرة التقديم في العربية والإنجليزية بوصفها ظاهرة مشتركة قد تختلف تجلياتها التركيبية.

ولا تتفق الدراسة ومحمد عناني في دعواه أن الجملتين (٤) و(٥) ـ مع أن ترجمتيهما تحاكي البناء الإنجليزي قدر الطاقة حسب قوله ـ لا تتفقان وطبيعة اللغة العربية؛ فالجملة (٤) ليس فيها ما يمنع من تقدُّم شبه الجملة (الجار والمجرور) على الفعل المتعلقة به.

---

[١] حيث يقول: إن علم اللغة الحديث بأيديولوجيته العالمية لا يزال ذا نزعة مركزية عرقية خطرة ومقلقة، تجعل كل اللغات تبدو كأنها نسخ معيبة وناقصة من الإنجليزية (Halliday, M.A.K. (1994). P. xxxi.) ويقول أيضا في مقدمة كتابه "مقدمة للنحو الوظيفي": هذا الكتاب هو مقدمة قصيرة في نحو اللغة الإنجليزية الوظيفي، ومن الممكن أيضا أن يقرأ باعتباره مقدمة قصيرة للنحو الوظيفي عامة تستخدم الإنجليزية لغة للشرح. ومن الخطر افتراض أن التصنيفات أو المقولات المستخدمة هنا صالحة لوصف أي لغة. (Ibid. P. xxxiii.)

[2] Kamel, S. (1997). Implications of information structure in Al-Jurjani's theory of Nazm. In *Proceedings of the fourth international symposium on comparative literature.* Cairo: The Department of English Language and Literature. P. 685.

وكذلك الجملة (٥) ليس فيها ما يخالف اللغة العربية، وقد أجاز النحاة تقدم المفعول له على فعله (انظر المحدد السببي في فصل "الجملة بوصفها تمثيلا للواقع")، كما أن المفعول له ليس الوسيلة اللغوية الوحيدة في العربية للتعبير عن السبب، ولمَ لم يترجم (to test) في الجملة (٥) بـ (لاختبار) كما فعل في الجملة (١) و(٤)؟!.

٢-٨ أحمد المتوكل

درس المتوكل تركيبي الحديث والمعلومات من خلال عدد من المفاهيم، هي البؤرة والمحور والمبتدأ، وهي تمثِّل عنده ثلاث وظائف تداولية. يقصِد **بالبؤرة** ـ وفقا لسيمون دِك ـ الوظيفة المسندة للمكوِّن "الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزا في الجملة". وقسَّم البؤرة إلى نوعين رئيسين: بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة. الأولى "يحملها المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطَب أو يعتبر المتكلم أن المخاطب يجهلها" (التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب. والآخرة تسند إلى "المكون الحامل للمعلومة التي يشك المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها".[١]

ويُقسِّم المتوكل بؤرة الجديد إلى نوعين: بؤرة الطلب (في الاستفهام) وبؤرة التتميم (في الإخبار) ويُقسِّم بؤرة المقابلة إلى بؤرة تعويض (– أقابلت زينب هذا الصباح – لا، هندا قابلت) وبؤرة حصر (– لا، التي قابلتها هند) وبؤرة توسيع (– لم أقابل زينب فحسب بل كذلك هندا) وبؤرة إبطال (– لا، لم أقابل زينب) وبؤرة انتقاء (– أتشرب شايا أم لبنًا؟ – لبنا، من فضلك).[٢] ويرى أن بؤرة المقابلة في العربية تكون في التقديم الذي يكون

---

[١] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م. ص٢٨-٢٩. راجع أيضا: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٠م. ص١٢٦.

[٢] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص١٢٦-١٢٧. (بتصرف يسير) وراجع كذلك: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م. ص١٤٨-١٤٩. وأحمد

للتخصيص، وفي القصر، وفي البنيات الموصولة، وأن بؤرة الجديد أو المقابلة قد تُسنَد إلى مكون واحد أو إلى الجملة كلها. فعلى سبيل المثال، جملة "زيد مسافر" قد تحمل كلها بؤرة جديد إن كانت جوابا عن السؤال: ما الخبر؟. والجمل المُصدَّرة بـ "إنّ" و"قد" و"إنما" تحمل عادة بؤرة مقابلة.[1]

يشترط المتوكل ألا تُسنَد أكثر من وظيفة تداولية إلى مكون واحد، وألا تسند الوظيفة نفسها لأكثر من مكون واحد (باستثناء بؤرة الجديد)[2]؛ لهذا تمثِّل الجملة التالية: (ما عانقت إبراهيم بل علي.) مشكلةً تحليلية عنده؛ فتحليلها كالتالي: ما عانقت إبراهيم (بؤرة إبطال) بل علي (بؤرة تعويض). ومن ثم تنتهك الشرط الأخير، حيث تُسنَد بؤرة المقابلة إلى مكونين، ويرى المتوكل أنه "يمكن تأويلها على أن البؤرتين تشكلان عنصرين متلازمين لسلسلة بؤرية واحدة، بل يمكن عدهما عنصري بؤرة واحدة يمكن تسميتها بؤرة "الدحض" مثلا".[3] ولا تتفق الدراسة والمتوكل في هذا؛ إذ ترى أن الجملة ليس فيها إلا بؤرة مقابلة على "إبراهيم" فقط، وهي ناتجة عن نفي الفعل عنه من جهة وإثباته لغيره من جهة أخرى إثباتًا يعد كالتأكيد للنفي الأول.

حاول المتوكل أن يستعين بـ "النبر" في تحليل تركيبي الحديث والمعلومات[4] ـ مجاريا سيمون دِك ـ وهذا اجتهاد منه لم يُسبَق إليه ـ حسب ما تعلم الدراسة ـ لكنها ترى على الرغم من أهمية ما صنع أن ثمة مشكلة في التحليل تكمن في أنه لم يعتمد على نصوص منطوقة أصيلةauthentic وإنما اعتمد على أمثلة تعليمية تراثية.

المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م. ص١١٨.

[1] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص٣٠-٣١.

[2] المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

[3] أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص١٥٣-١٥٤.

[4] راجع على سبيل المثال: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص٥٢، ٥٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٧.

يقصد المتوكل بـ"**المحور**" Topic ـ وفقا لسيمون دِك ـ الوظيفة المسندة إلى "المكوِّن الدالّ على ما يُشكِّل المحدث عنه داخل الحمل Predication"[1] ولا يُشترط في "المحور" أن يكون المسند إليه، لكن الفاعل يستأثر حين وروده، بهذه الوظيفة، أي أن له الأولوية على غيره من المكونات.[2] ويشترط المتوكل في المحور أن يحيل على معلوم للمخاطب؛ لذا يعد الجمل التالية لاحنة: (في ليلة قرأت كتابا، رجلا قابلته، كتابا قرأته)[3] فإن كان المتقدم يحمل بؤرة مقابلة وليس "محورا" كما في الجمل التالية، تعد الجمل سليمة: (كتاب عندي (لا كتابان). كتاب عندي (لا مجلة) "وهذا يتنافى وما ذهب إليه النحاة العرب القدماء من أن ما أسموه بالمبتدأ في هذا النمط من البنيات اسم معرف بالضرورة"[4]

ويقصد المتوكل بـ"المبتدأ" Theme ـ وفقا لسيمون دِك ـ "ما يحدد مجال الخطاب universe of discourse الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردًا Relevant" ويُشترط فيه أن يحيل على ما يعرفه المخاطب؛ لذا تعد الجمل التالية لاحنة: (رجل، رأيت أباه. فتاة، خطبها زيد. فتاة، هل لقيت أباها. رجل إن تكرمه يكرمك.)[5] ويشترك المحور والمبتدأ Theme في أن كليهما محدث عنه، ويتميز المبتدأ بأنه يتقدم على الأدوات التي لها الصدارة، وأنه يكون خارج الحمل[6] معنى هذا أنه يشترط فيما يسميه هو "المبتدأ" شرطين: الأول أن يتصدر الجملة دائما، والآخر أن يكون خبره جملة لا مفردا. ففي جملة: زيد

---

[1] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ص٦٩.

[2] المرجع نفسه، ص٦٧، ٦٨، ٧٤.

[3] المرجع نفسه، ص٨٦.

[4] المرجع نفسه، ص٩٢. تعترض الدراسة على ما يدعيه المتوكل لسببين؛ الأول أنه ليس صحيحا أن النحاة القدماء قد ذهبوا إلى أنه معرف بالضرورة، الثاني أن التحليل الذي قدمه هنا لا يخرج قيد أنملة عن تحليل عبد القاهر الجرجاني (الدلائل، ص١٤٣) والخطيب القزويني (الإيضاح، ص٦٤).

[5] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ص١١٥، ١٣٠.

[6] المرجع نفسه، ص٧٠، ٨٤، ١٣٠، ١٣٢. وأحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص٤٢-٤٣.

أبوه مريض. يكون التحليل: زيد (مبتدأ) أبوه (محور). وفي جملة: أبو زيد مريض. يكون التحليل: (أبو زيد) محور. لكنه لم يوضح الفرق بين الجملتين في مواضع الاستخدام. تعترض الدراسة على بعض التحليلات التي قدمها: كتحليل الجملة التالية: زيد جاء. التي يفترض في تحليلها وجود مكون محذوف يمثل الفاعل، والمحور. وأن وظيفة زيد هي "المبتدأ" فقط[١] بعبارة أخرى هناك مكون محدث عنه موجود ومكون محدث عنه مقدَّر. وكتحليل جملتي: (عندي كتاب.) و(في الدار رجل) على أساس أن المحور هو "كتاب" و"رجل".[٢]

٢-٩ نقد الدراسة لهاليداي

تذهب الدراسة إلى أن ثمة بعض المشكلات النظرية والمنهجية في تناول هاليداي لتركيبي الحديث والمعلومات، أشارت إلى بعضها منى بيكر، وستحاول الدراسة هنا تحليل بعض المشكلات الأخرى في عدد من النقاط:

١- تعدُّد تعريفات المحدث عنه تعددا قد يفضي إلى التباين أو استحالة الجمع بينها أحيانًا. قدَّم هاليداي ثلاثة تعريفات لـ "theme" في كتابه "مقدمة للنحو الوظيفي"، ففي الطبعة الأولى (١٩٨٥م) عرَّفه بأنه مدار القول في الجملة[3] (What the clause is about)، وفي الطبعة الثانية (١٩٩٤م) زاد في التعريف السابق أنه نقطة البداية (starting point)، أو نقطة انطلاق الرسالة (The point of departure of the message)، أو الأرض التي تُقلع منها الرسالة[4] حسب استعارته، أما في الطبعة الثالثة ـ التي راجعها كريستيان ماتسيين (٢٠٠٤م) ـ فقد زاد في التعريف السابق فقال: نقطة

---

[١] أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ص٥٨.

[٢] المرجع نفسه، ص٦٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤.

[3] Thompson, G. (2004). P. 143.

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 38.

انطلاق الرسالة التي تضع الجملة وتوجهها في سياقها...المحدث عنه دائما يبدأ من صدر الجملة، إنه يُهيّئ مسرح الكلام للجملة نفسها، ويُحدّد لها موقعا في تيار النص المتدفق[1].

يبدو المفهوم الذي قُدِّم في الطبعة الأولى مفهوما دلاليا صرفا، يكاد يرادف مفهوم "موضوع الجملة" Topic، في حين أن مفهوم الطبعة الثانية على النقيض يبدو مفهوما شكليا محضا، أول عنصر في الجملة أيًّا كان هو المحدث عنه، ولا يتراكب أو يجتمع المفهومان إلا إن كانت اللغة المدروسة لغة من طبيعتها أن تقدِّم موضوع الجملة في الصدارة باطراد كالإنجليزية والصينية. بل إنه في الإنجليزية نفسها قد تتقدم أشباه الجمل الدالة على الزمان والمكان لتنظيم بنية لنص ولا تكون هي موضوع الجملة، ومع ذلك يعدها هاليداي محدثا عنه لوقوعها في أول الجملة. الحالة المثلى التي تجتمع فيها هذه التعريفات في تناغم تام ـ حسب ما يتصور الباحث ـ هي حينما يكون العنصر المتصدر الجملة فاعلا/مبتدأ أو مفعولا به لا غير.

يغلُب على الظن أن هاليداي كان على وعي بالطابع الشكلي الجلي لمفهوم الطبعة الثانية؛ لهذا حاول أن يدافع عن أهم مبادئ نظريته: "الوظيفية" التي يهددها هذا المفهوم، لكنه حسب ما ترى الدراسة ـ لم يوفَّق إلى طريقة إثبات صحة دعواه بأن جزءا من معنى أي جملة يكمن في العنصر الذي اختير للصدارة؛ لأن النمط التركيبي الذي اختاره لإثبات ذلك ـ العملية التعيينية "س هو ص" ـ هو نمط مشكل دلاليا وله طبيعة خاصة في الإنجليزية والعربية على حد سواء؛ لأن طرفيه كليهما يصلح أن يكون محدثا

[1] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P.65-66

عنه، ولأن التقديم والتأخير ليس العنصر الحاسم أحيانًا في تحديد المحدث عنه (موضوع الجملة)[١].

٢- على الرغم من أن هاليداي وأتباعه لا يفتأون يرددون أنهم يركزون على الجوانب الاجتماعية أكثر من النفسية (على عكس التحويليين التوليديين)[٢] تذهب الدراسة إلى أن ثمة بُعدا نفسيا، له دور مركزي ـ يكاد يكون أكبر من البعد الاجتماعي المناظر ـ يكمن وراء تحليل هاليداي لتركيبي الحديث والمعلومات، وهذا البعد النفسي يتجلى في ثلاثة جوانب:

أ- أن المحدث عنه يحتل دائما الموقع الأول من الجملة، وتميُّز هذا الموقع وبروزه مرتكز في الأساس على عامل نفسي؛ لذلك كان النحاة الغربيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يسمون المحدث عنه الفاعل النفسي؛ ويفسر هاليداي سبب هذه التسمية قائلا: وكان يُسمَّى "نفسيا"؛ لأنه هو ما اختاره المتحدث في عقله ليبدأ به حين شرع في إنتاج الرسالة.[٣] وتُفسِّر مارجريت بيري تميُّز الموقع الأول قائلة: في اللغة الإنجليزية يُعد الموقع الأول مميزا في إعطاء بروز ما لمكون معين؛ لأنه أول ما يلفت انتباه السامع أو القارئ[٤] (The first thing to catch the hearer's or reader's attention) هذه الوظيفة التنبيهية للمحدث عنه مرجعها نفسي معرفيّ أيضا.[٥]

---

[١] انظر تحليل هاليداي لجملتي (الموت نهاية الحياة، ونهاية الحياة الموت) (Halliday, M.A.K. (1994). P.138.) وتحليل عبد القاهر لجملتي (عتابك السيف والسيف عتابك) الدلائل، ص٣٧٢.

[٢] راجع (الفصل الأول: بين الوظيفيين والشكليين).

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 31.

[4] Berry, M. (1975). *An introduction to systemic linguistics: structures and systems*. London: B.T. Batsford Ltd. P. 162.

[٥] أشارت منى بيكر إلى أن مفاهيم هاليداي تمتد إلى جوانب نفسية وليست مفاهيم لغوية خالصة كمفاهيم فرباس (Baker, M. (1992). P. 162)

أشارت الدراسة سابقا إلى أن هنري وِيل يزعم أن مجيء المحدث عنه قبل الحديث يُمثِّل حركة العقل نفسها. (راجع ٢-٥ حلقة براغ).

ب- تحديد ما هو "معلوم" اعتمادا على تنبؤ أو توقُّع المتكلم لما يعلمه السامع. وهذا التوقع قد يصيب أو يخطئ،[1] كما في المثال التالي:

-هل قابلت زينب؟ - أي الزينبات تقصدين؟ - جارتنا. - نعم قابلتها.

ج- أن الجواب عن أسئلة مثل: إلى متى سيفترض المتكلم أن عنصرا معينا ما زال في وعي المخاطب؟ أو ما الظروف التي ستقتضي وجوب تقديم عنصر سبق ذكره مرة أخرى على أنه "جديد"؟ سيظل مرتكزا على جوانب نفسية[2].

٣- تحليل هاليداي للاستفهام والأمر والنهي يعتمد على بنية المعلومات في تعيين المحدث عنه (راجع ٢-٤-١-٤ المحدث عنه في الصيغ الأخرى).

٢-١٠ الإطار النظري المقترح

٢-١٠-١ المصطلح والمفهوم

قدّمت المعاجم اللغوية العربية الحديثة ترجمات وتعريفات متعددة ومتفاوتة من حيث الدقة لمصطلحي (theme & rheme)، فتُرجما بالمسند إليه والمسند[3] وبالمسند

---

[1] وقد ذهب والس تشاف chafe, W (عالم لغة أمريكي تركز أعماله على الجانب المعرفي، وهو ناقد أيضا للغويات التوليدية.) إلى أن المفتاح إلى تحديد المعلوم هو مفهوم الوعي، المعلوم أو القديم من المعلومات تمثل المعرفة التي يفترض المتكلم أنها موجودة في وعي المخاطب وقت الكلام، "الجديد" هو ما يفترض المتكلم أنه يقدمه إلى وعي المخاطب. (Baker, M. (1992). 152-3)

[2] يجيب تشاف بأن هذا يعتمد على عدد الجمل التي ستقع ما بين ذكره أولا وإعادة ذكره. أو على حركة النص، كأن ينتقل نقلة يقدم فيها العديد من العناصر الجديدة التي تدفع القديمة خارج وعي المخاطب. وترى الدراسة أن المعيارين اللذين قدمهما تشاف لا يختلفان كثيرا عن المعيار الذي يعتمده العروضيّون في عيب الإيطاء. وهما مرتبطان بالتذكر أو بالقدرة على التركيز على عنصر ما والعوامل المشتتة لهذا التركيز. (الإيطاء إعادة اللفظة ذاتها في القافية بلفظها ومعناها قبل مرور سبعة أبيات. السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، حققه حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م. ص١٢٠.)

[3] معجم مصطلحات علم اللغة الحديث.

والمسند إليه[1] وتُرجم (theme) بـ"الموضوع"[2] وعُرِّف بأنه "الكلمة التي هي محور الكلام في جملة ما، وهي عادة الكلمة الأولى في الجملة، إلا أنها ليست بالضرورة المبتدأ، مثل tomorrow في .tomorrow he 'll come ويقابلها الخبر rheme"[3] وتُرجم المصطلحان معا في معجم آخر بالموضوع والتعقيب أو المسند والمسند إليه، وعُرِّفا بأنهما " قسمة ثنائية لتركيب الجملة تُقابل في مصطلحات مدرسة براغ اللغوية المصطلحين التقليديين subject and predicate والمصطلحين الحديثين topic and comment ولكنها تتميز عنهما في النظر إلى عنصريّ التركيب الأساسيين في الجملة من الناحية الوظيفية، إذ يؤكد أصحاب هذه النظرة على محتوى الإبلاغ في التركيب، وذلك أن محتوى الإبلاغ في الموضوع منخفض في حين أنه مرتفع في التعقيب لأن التعقيب يُخبر عن الموضوع معلومةً جديدة"[4]. يعرض الجدول ٢(٤) التالي الترجمات وأصحابها:

الجدول ٢(٤) ترجمات مصطلحي Theme and Rheme

المصطلح	الترجمة	المصدر
Theme and Rheme	المسند إليه والمسند	معجم مصطلحات علم اللغة الحديث
	المسند والمسند إليه	معجم مصطلحات العلوم اللغوية
		المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات
		معجم المصطلحات اللغوية
	الموضوع والتعقيب	معجم المصطلحات اللغوية
	الموضوع والمحمول	المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب

[1] معجم مصطلحات العلوم اللغوية. (ومحمد حسن باكلا وآخرون، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٩م.)

[2] دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ٢٠٠٨م. ومعجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، تأليف: جاك سي ريتشاردز وآخرين، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، ورشدي أحمد طعيمة، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧م.

[3] معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة ١٩٩١م.

[4] معجم المصطلحات اللغوية.

	الموضوع والجديد[1]	معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي
	الموضوع والخبر	معجم علم اللغة النظري
	الموضوع والفضلة	معجم مصطلحات السميوطيقا[2]

يكشف لنا الجدول السابق عن تعددية وتداخل واضطراب، فليس ثمة اتفاق على ترجمة واحدة بين هذه المعاجم، وهناك تداخل بين أزواج من المصطلحات (الموضوع والمحمول، المعلوم والجديد، المبتدأ والخبر، المسند إليه والمسند، العمدة والفضلة)، وبعض المعاجم يُقدّم عدة ترجمات للمصطلح نفسه. والحقيقة أن المصطلحين مشكلان في دلالتهما وفي ترجمتهما وفي التباسهما بأزواج من المصطلحات العربية.

يُوضِّح محمد عناني جزءا من إشكال الترجمة والالتباس بالمصطلحات العربية، بقوله: "إذا كان القارئ غير ملمّ بالنحو الوظيفي فربما طالب بأن تترجم كلمة theme بالموضوع، وهو مصيب في ذلك؛ لأن هذا أحد معاني الكلمة بل أكثر معانيها شيوعا...أما إذا كان القارئ ملما بالنحو الوظيفي فسوف يتساءل عن ملاءمة تلك الترجمة للمقابلة التي يقيمها هاليداي بين Theme وRheme، وكنت حين قرأت كتابه أول مرة أتصور أنه يعني بهما في بناء الجملة معنى قريبا مما نعنيه بالعربية "بالمسند إليه" و"المسند"، فهو يصف ما يأتي في بداية الجملة، سواء أكان اسما أم لم يكن، بأنه "المسند إليه" (كأنه موضوع الجملة حقا) بل يقول في الطبعة الأولى من كتابه "مقدمة إلى النحو الوظيفي" إن Theme هو مدار القول في الجملة (ص ٣٩) ثم قرأت في شروح هاليداي . ومنها كتاب طومسون . أن ذلك وهم، فما يأتي في بداية الجملة قد لا يكون مسندا إليه، وقد لا يكون موضوع الجملة أو محورها أو مدار القول فيها، ...إذن

---

[1] تُرجمت (rheme) في المعجم نفسه: المسند والخبر أيضا.

[2] برونوين ماتن، وفليزيتاس رينجهام، معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م. ص١٨٩.

لا يمكن ترجمته "بالمبتدأ" وترجمة Rheme بالخبر؛ لأن المبتدأ بالعربية دائما اسم، فهل يمكن ترجمته بنقطة البداية؟ وهل "البداية" وحدها تكفي؟ وإذا صح ذلك فهل نترجم Rheme بتعبير "سائر الجملة" أو "بقية العبارة""[1]. أما إشكال المصطلحين على مستوى الدلالة، فراجع إلى أنهما قد أُستخدما بدلالات أخرى قبل أن يستخدمهما هاليداي؛ فضلا عن أن هاليداي نفسه قدَّم ثلاثة تعريفات للـ "Theme" (راجع نقد الدراسة لهاليداي)

ترجمت الدراسة مصطلحي Theme and Rheme بالمحدث عنه والحديث لورودهما عند بعض النحاة القدماء (كابن السراج، وابن يعيش، والسيوطي) بالمعنى الدلالي والنصي الذي تتبناه الدراسة، وترجمت مصطلح Given بالمعلوم، New بالمجهول (في الاستفهام) وبالجديد (في الخبر) لورود كلمتي: المعلوم والمجهول عند عبد القاهر[2] بمفهومين قريبين مما تنشده الدراسة.

٢-١٠-٢ تعريف المحدث عنه والحديث

تقصد الدراسة بالمحدث عنه: العنصر الاسمي المعرَّف الذي يمثل موضوع الجملة. ولا يشترط فيه أن يتصدر الجملة (خلافا لهاليداي)، فإن تصدرها فالغالب أن يكون مرفوعا للدلالة على أنه "رب الجملة أو "صاحب الجملة" حسب اصطلاح ابن جني[3]. ولا يُشترط فيه أن يكون المسند إليه ـ وإن كان يقع مسندا إليه كثيرا ـ ففي جملة: سرق لصٌ السيارةَ. المحدث عنه هو "السيارة". وتقصد بالحديث: كل ما كان سوى المحدث عنه.

---

[1] نظرية الترجمة الحديثة، ص١٦٧.

[2] راجع ـ مثلا ـ الدلائل، ص٢٠٠ حيث يقول: "إنما يُستفاد المجهول دون المعلوم".

[3] ابن جني، (أبو الفتح عثمان بن جني) (-٣٩٢هـ) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١، ص٦٥.

٢-١٠-٣ وسائل إبراز المحدث عنه

ترى الدراسة أن هناك بعض الأدوات والعبارات التي تُبرزُ المحدث عنه الاسمي في العربية المعاصرة ـ خاصة لغة الصحافة ـ مثل: (فيما يخص، فيما يتعلق بـ، فيما يتصل بـ، بالنسبة إلى، أما (عن)) وفي العربية التراثية ـ خاصة لغة القرآن ـ مثل: (أمَّا، أرأيت[١] (+/- حرف خطاب)، ألم ترَ إلى[٢]). من وسائل إبراز المحدث عنه أيضا تقديمه إلى صدر الجملة "التصدير".

٢-١٠-٤ المحدث عنه وأنماط الجملة

تتراكب وظيفتا المحدث عنه والمسند إليه غالبا، حيث يعبر عنهما مكون واحد، وهذه الحالة تمثل الحالة النمطية أو غير الموسومة (الأصل). يسهل تحديد المحدث عنه في الجملة إن كان فيها عنصر اسمي واحد، أو عنصران اسميان أحدهما نكرة والآخر معرفة، حتى إن كانت مقتطعة من السياق، ولكن إن تعددت العناصر الاسمية المعرَّفة ـ كما في جملة: (سلِّم ساعي البريد الموظفين الخطابات) ـ فلا بد من الاحتكام إلى السياق؛ لأن المحدث عنه في الأساس ـ كما أشارت الدراسة سابقا ـ مفهوم دلاليّ نصيّ. تقترح الدراسة هنا بعض المحددات التركيبية التي قد تُرجِّح عزو وظيفة المحدث عنه لمكون معين. تستخدم الدراسة الرموز التالية للاختصار: (مح: المحدث عنه، ح:

---

[١] "قال الأخفش: إنه لا بد بعد "أرأيت" التي بمعنى أخبرني من الاسم المستَخْبَرِ عنه، ويلزمُ الجملةَ التي بعده الاستفهامُ؛ لأن "أخبرني" موافق لمعنى الاستفهام، وزعم أيضا أنها تخرج عن بابها فتكون بمعنى: "أما" أو "تنبَّه"، وحينئذ لا يكون لها مفعولان ولا مفعول واحد". السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (- ٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ت. جـ ٤، ص٦٢٢-٦٢٣.

[٢] "قالَ ابنُ الأثيرِ: تكَرر (أَلَمْ تَر إِلَى كَذَا)، أَلَمْ تَر إِلَى فلانٍ، وَهِي (كَلمةٌ تُقالُ عِنْد التَّعَجُّبِ) مِن الشَّيءِ، وعنْدَ تَنْبِيه المُخاطبِ" الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (- ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، ٢٠٠١م. ج٣٨، ص١١٠.

الحديث، م: المعلوم، ج: الجديد، مج: مجهول، بج: بؤرة الجديد، بم: بؤرة المقابلة، *: جملة غير صحيحة نحويا، ؟: جملة مشكوك في صحتها)

١- **في العملية الاختصاصية (س لـ "ص") والوجودية ("س" في "ص")**[1] إن كان المسند إليه نكرة، والاسم المجرور معرفة، كما في: (لك مالٌ.) فالاسم المجرور هو المحدث عنه[2]؛ لأن تعريفه أو تنكيره هو الذي يؤثر على الصحة النحوية للجملة: (*لرجل مال. ؟ لرجل المال.)، فإن كان المسند إليه والاسم المجرور كلاهما معرفة، كما في: (لك المال) آلت المسألة إلى الأصل: المسند إليه هو المحدث عنه.

٢- **في العملية التعيينية (س هو ص)** حيث س وص معرفتان، الأصل أن يكون المحدث عنه هو الاسم المعرفة الأول، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[3] موعدكم (مح/م) يوم الزينة (ح/ج). وقد يكون الثاني هو المحدث عنه خاصة حين يكون المراد التشبيه لا التعيين. كقول الكميت بن زيد الأسدي (من الطويل)[4]:

كلامُ النبيين الهداةِ كلامُنا ... وأفعالَ أهلِ الجاهلية نفعلُ

حيث: كلام النبيين الهداة (ح/ج) كلامنا (مح/م).

---

[1] راجع الفصل الرابع.

[2] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧] واضح من سياق الآيات أن الضمير (هم) في قوله تعالى (ولهم عذاب عظيم) هو المحدث عنه لا المسند إليه (عذاب).

[3] (طه: ٥٨-٥٩)

[4] شرح ابن عقيل، ج١، ص٢٣٤.

٣- إن تقدم المفعول على فاعله فقط[1]**، أو على فاعله وفعله وجُعل مبتدأً، فهو المحدث عنه،** كما في: (زيادةُ الرواتب تنظر فيها لجان وزارة المالية اليوم.) (وحداتٌ سكنية جديدة تطرحها هيئة المجتمعات العمرانية.). زيادةُ الرواتب/ وحداتٌ سكنية جديدة (مح/ج).

٤- إن كان المفعول به نكرة والفاعل معرفة، فالفاعل المحدث عنه، مهما تقدم المفعول به، ففي جملة: قرأ خالد كتابًا.[2] خالد (مح/م) قرأ كتابا (ح/ج). وفي جملة: كتابا قرأ خالد. كتابا (ح/ج/بم) قرأ (ح/م) خالد (مح/م). **فإن كان المفعول معرفا بـ"ال" العهدية، فالراجح أنه هو المحدث عنه،** كما في: (قرأ خالد الكتابَ.). قرأ خالد (ح/ج) الكتاب (مح/م). ويتعين كونه محدثا عنه إن تصدر مرفوعا على الابتداء، كما في: (الكتابُ قرأه خالد.) الكتاب (مح/م) قرأه خالد (ح/ج). فإن تصدر منصوبا، آلت المسألة إلى الأصل: المحدث عنه هو المسند إليه، كما في: (الكتابَ قرأ خالد.) أو (الكتابَ قرأه خالد).

٥- العنصر الاسمي الأكثر تفصيلا (كالاسم الموصول وصلته) هو المحدث عنه غالبا، خاصة إن تكرر هو أو ضميره في جملة سابقة أو لاحقة، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

٦- في الأمر والنهي والعرض والتحضيض، إن كان الفعل لازما، فالمحدث عنه غير لغوي وهو المخاطَب، والعبارة مكونة من حديث فقط: قُم. لا تقم. هلا تقوم. (ح/ج). فإن أُسند الفعل للاسم الظاهر، عاد التركيب إلى الأصل (المسند إليه هو المحدث عنه)

---

[1] راجع شرح مثال عبد القاهر: "قتل الخارجيَ زيد" في الدلائل، ص١٠٨. سيكون تحليل هذا المثال حسب الدراسة: الخارجي (مح/ج) قتل زيد (ح/م). تفسر ذلك سلوى كامل بأن الرسالة في هذه الحالة عن المقتول (من قُتِل). راجع: (Kamel, S. (1997). P. 671-2.)

[2] راجع شرح مثال عبد القاهر: "قتل زيد رجلا" في الدلائل، ص١٠٨. (Kamel, S. (1997). P. 671-2.)

[3] (فاطر: ٣٢)

كما في قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾[1] لينفق من سعته (ح/ج) ذو سعة (مح/م). فإن كان الفعل متعديا لمفعول به معرفة، فالمعوَّل عليه هو الامتداد النصي للاسم، أي ذكره أو ذكر ضميره في الجمل السابقة واللاحقة للجملة محل التحليل، ففي قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا[2]﴾ المحدث عنه: "إبراهيم". والحديث: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذكر قصته.

٧- **في أسلوب التعجب** يكون المحدث عنه هو المتعجب منه، قُدِّم أو أُخر، ففي جملتي: ما أعظم قدرة الله. قدرة الله ما أعظمها. المحدث عنه "قدرة الله".

٨- **في أسلوبي المدح والذم** يكون المحدث عنه هو الممدوح أو المذموم، قُدِّم أو أخر، ففي جملتي: بئس الخلق الكذب. الصبر نعم المطية. المحدث عنه "الكذب" و"الصبر".

٩- **في أسلوب الاختصاص** يعد المنصوب على الاختصاص جزءا من المحدث عنه (نحن العربَ نكرم الضيف.) نحن العرب (مح/م/بم) نكرم الضيف (ح/ج).

١٠- **إن كان الفاعل مشتقا من لفظ الفعل**، وتصدر الجملةَ شبهُ جملة جار ومجرور، فالمحدث عنه هو الاسم المجرور، ففي نحو: "على الباغي تدور الدوائر". يكون التحليل: الباغي (مح/ج/بم) تدور الدوائر [عليه] (ح/م). أي كما لو كانت الجملة: الباغي تدور عليه الدوائر. الفرق بين الجملتين أن الأولى تدل على التخصيص نصًا، والآخرة تدل عليه احتمالا فقد يكون تقديم الاسم لغير التخصيص.[3]

---

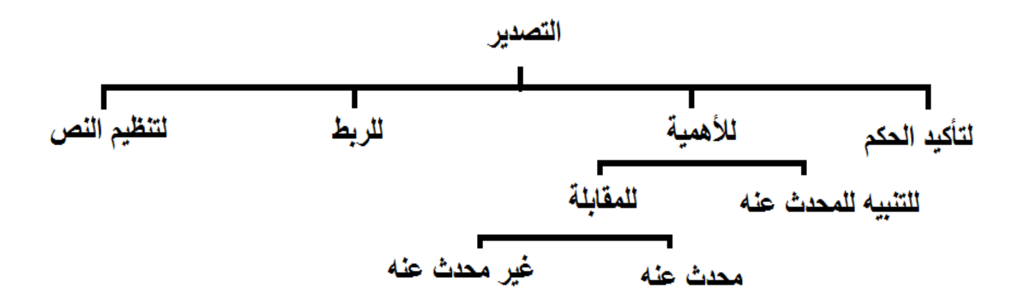
[1] (الطلاق: من الآية ٧)

[2] (مريم: ٤١)

[3] تميل الدراسة لهذا التحليل؛ لأن شبه الجملة هنا ـ التي تعد فضلة في التحليل الشكلي ـ لا معنى للجملة بدونها إلا بتأوُّل؛ فهي على مستوى تركيب المعلومات ـ في ضوء مفهوم "حركية التواصل" عند فرباس ـ لها قدرة عالية على تحريك الحدث اللغوي في مقابل ركني الإسناد اللذين لهما في هذا التركيب قدرة منخفضة على تحريك الحدث اللغوي. ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: من الآية ١٢)، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦)، ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات: ٦١)

٢-١٠-٥ التصدير ووظائف المحدث عنه

تركيب الحديث قائم على اختيار طريقة من طرق متعددة لترتيب مكونات الجملة من حيث هي رسالة بقصد إبراز مكون معين[١]. ويُعد الموقع الأول موقعا مميزا في العربية في ذلك، ومن ثم يسهم تقديم أي عنصر إلى هذا الموقع في إبرازه. يُوضِّح الشكل (٢-٢) بعض الأغراض التي ترتبط بالتصدير. وستتناول الدراسة هذه الأغراض بالتفصيل في الفقرة التالية.



الشكل (٢-٢) أغراض التصدير

١- تأكيد الحكم

قد يعمد المتكلم إلى تصدير المحدث عنه لا للتخصيص ولا للأهمية ولا لإبرازه، وإنما لتأكيد إسناد الحديث إليه فحسب، يقول عبد القاهر: "تبدأ بذكره [أي المسند إليه]، وتوقعه أولا ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده [أي السامع] بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد."[٢] ويقول: "ويشهد لما قلنا من أن تقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له، أنا إذا تأملنا وجدنا هذا

---

[١] تتشابه أغراض التقديم التي تكلم عنها البلاغيون العرب وتلك التي تكلمت عنها مارجريت بيري تشابها شديدا. راجع: (Berry, M. (1975). P. 165)

[٢] الدلائل، ص١٢٩.

الضرب من الكلام يجيء فيما سبق فيه إنكار من منكر... أو يجيء فيما اعترض فيه شك ...أو في تكذيب مدع"[1]

٢- الأهمية

تُفسر الدراسة كلام النحاة والبلاغيين العرب عن الأهمية ـ في حالة تقديم عنصر إلى صدر الجملة ـ بأنها راجعة إلى صورتين:

أ- تنبيه المخاطب للمحدث عنه؛ إذ يحتمل إن ولي الفعل أن يلتبس بغيره من العناصر الاسمية الصالحة لأن تكون "محدثا عنه". يقول سيبويه عن تقديم المفعول على فعله، وجعله مبتدأ، كما في (عبدُ الله ضربته): "إنما قلت (عبد الله) فنبهته له، ثم بنيت عليه الفعل".[2] من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[3] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"[4]

ب- المقابلة والبؤرة: تقصد الدراسة بالبؤرة Focus الوظيفة المسندة لمكون معين للدلالة على بروزه[5]، وهذا البروز يكون بوسيلتين: إما بتقديم المكون، أو بالمقابلة Contrast

---

[1] الدلائل، ص١٣٣-١٣٤

[2] الكتاب، ج١، ص٤١. بنى عبد القاهر كلامه في هذه المسألة على ما أرساه سيبويه، يظهر هذا في عبارات له مثل قوله: "تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث؛ ليحقق الأمر ويؤكده" (الدلائل، ص١٣٠.) "فأوقع ذكرها في سمع الذي كلم ابتداء من أول الأمر؛ ليعلم قبل هذا الحديث أنه أرادها بالحديث، فيكون ذلك أبعد له من الشك." (الدلائل، ص١٣١.)

[3] [النور: من الآية ٢]

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٣، ص١٦. (باب فضيلة الخيل وأن الخير معقود بنواصيها). قارن وظيفة التصدير في هذا الحديث بوظيفته في حديث آخر هو قوله صلى الله عليه وسلم: "العِزّ في نواصي الخيل، والذُّلّ في أذناب البقر" [ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (-٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت،١٩٧٩م. ج٢، ص٣٨٤.] حيث تكون وظيفة التصدير هي المقابلة.

[5] لا تقصد الدراسة هنا البروز الصوتي.

بينه وبين غيره. ولا تقصد الدراسة هنا بمصطلح المقابلة مفهومه البلاغي العربي ولا مفهوم الطباق أو التضاد Antonym. Antithesis قد يختار المتكلم أن يتحدث عن شيء ما دون التحدث عن غيره تصريحا أو تعريضا (الحديث عن "س" فحسب). وقد يتحدث عنه وعن غيره (الحديث عن "س" في علاقته بـ "ص")، في هذه الحالة يقال إن في الكلام مقابلة، هذا المفهوم الذي تقترحه الدراسة أوسع من مفهوم المقابلة عند هاليداي (إنه "س" لا "ص") وعند أحمد المتوكل.

تتميز المقابلة بأربع سمات:

الأولى: أنها تقع بين جميع الوحدات النحوية: الأسماء، والأفعال، وأشباه الجمل، والجمل...إلخ.

الثانية: أنها لا تقع إلا بين المتناظرين: اسم مقابل اسم، جملة مقابل جملة...إلخ؛ لهذا تعد الجملة التالية خطأ: *ما زيدا ضربت، ولكن أكرمته[1]

الثالثة: أنه لا يكون في الجملة البسيطة الواحدة إلا بؤرة مقابلة واحدة[2]؛ لهذا تعد الجملة التالية خطأ: *ما أنا ضربت إلا زيدا.[3]

الرابعة: لا يصح العطف على العنصر الحامل لبؤرة المقابلة، إن كانت للحصر، (يمكن تسمية هذه السمة بمعيار التعارض بين الحصر والعطف)؛ لهذا تعد الجملة التالية خطأ: *زيد المنطلق وعمرو.

---

[1] الدلائل، ص١٢٧.

[2] والدليل على ذلك قول عبد القاهر: "الاختصاص يقع في واحد من الفاعل والمفعول، ولا يقع فيهما جميعا." (الدلائل، ص٣٤٠، وراجع كذلك: ص٣٤٧.) وأن النحاة قد ذكروا من أوجه وجوب تأخير المفعول: "أن يكون مع فعل مؤكد بالنون فلا يقال زيدا اضربن قال الرضي: "ولعل ذلك لكون تقدم المنصوب على الفعل دليلا على أن الفعل غير مهم وإلا لم يؤخره عن مرتبته، وتوكيد الفعل يؤذن بكونه مهما فيتنافران في الظاهر" همع الهوامع، ج٢، ص٨.

[3] الدلائل، ص١٢٥-١٢٦.

وتذهب الدراسة إلى أن للمقابلة[1] خمس صور:

الأولى: "س" ينتمي إلى "ص" مثل: أنت من الصادقين. (قارنْ بالمثال المناظر الذي ليس فيه مقابلة: أنت صادق).

الثانية: "س" وحده. (التخصيص وقصر الإفراد)

الثالثة: "س" لا "ص" (قصر القلب والتعيين)

الرابعة: أمّا "س" فـ... وأمّا "ص" فـ...إن قلت: (أما محمد فطبيب وأما خالد...) فالمخاطَب سيتوقع كل صفة إلا أن يكون طبيبا أيضا؛ لأن معنى استخدامك "أما" أنك ستُفرد كل محدث عنه بحكم يخصه.

الخامسة: استعمال ألفاظ دالة على المقابلة معجميا، يقول عبد القاهر: "ومما يُرى تقديم الاسم فيه كاللازم: (مثل) و(غير)"[2] وفسَّر هذا الاستعمال بأنه "شيء مركوز في الطباع، وهو جارٍ في عادة كل قوم"[3] ولا تقبل الدراسة هذا التفسير، لا سيما ما فيه من تعميم، وترى أن لفظتي مثل وغير مع ما يضاف إليهما تدلان على معنى المقابلة نصًّا؛ إذ تشيران إلى أن الحديث عن شيء في علاقة مع غيره؛ ولهذا يحسن تقديمهما حيث يكون المعنى: "س" لا "ص"، سواء أكان للمحدث عنه ما يماثله أو يغايره أم لا، وسواء أُريد بهما التعريض أم لا.

من الأمثلة على المقابلة: ترى الدراسة أن المقابلة إن وقعت فيما يدل على الزمان فقد تدل على تبدُّل الحال لا على الحصر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا

[1] تتفق الدراسة وهاليداي في أن العنصر الحامل لبؤرة المقابلة يُعد "الجديد" (Kamel, S. (1997). P. 667.)

[2] الدلائل، ص١٣٨.

[3] الدلائل، ص١٤٠.

مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[1]. كما ترى أن تصدير مكوّن ربما لا يكون الغرض منه الحصر، وإنما وضع هذا المكون في تقابل مع مكون آخر سابق أو لاحق، وهذه إحدى صور المقابلة التي تنفرد بها الدراسة؛ فلا تصدق على الحصر عند البلاغيين العرب ولا على المقابلة عند هاليداي والمتوكل. من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] حيث صنع تصدير المحدث عنه (الذين كفروا) مقابلة بينه وبين محدث عنه سابق (المتقين) وهذه المقابلة لا تتحقق إن قيل (إنذار الذين كفروا وعدم إنذارهم سواء). والمثال الأوضح في ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3]

أولا: التحليل النحوي لما اختارته الآية الكريمة:

	الله	ولي الذين آمنوا		الذين كفروا	أولياؤهم	الطاغوت
البنية الإسنادية	مسند إليه	مسند		مسند إليه (غير مباشر)	مسند إليه (مباشر)	مسند
البنية الحديثية	محدث عنه	حديث		محدث عنه	حديث	

ثانيا: التحليل النحوي للبديلين التركيبيين:

[1] (يوسف: من الآية ٥٤) فليس المراد اختصاص هذا اليوم دون غيره من الأيام السابقة واللاحقة بهذا، وإنما الدلالة على تبدل الحال في هذا اليوم، فبعد أن كان عليه السلام متهما سجينا صار أمينا مكينا. وكذلك قوله تعالى: ﴿الآن حصحص الحق﴾ (يوسف: ٥١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)﴾ (المطففين:٢٩-٣٤).

[2] (البقرة: ٦-٧)

[3] (البقرة: ٢٥٧)

(أ)	الله	ولي الذين آمنوا		الطاغوت	ولي الذين كفروا
البنية الإسنادية	مسند إليه	مسند		مسند إليه	مسند
البنية الحديثية	محدث عنه	حديث		محدث عنه	حديث

(ب)	الذين آمنوا	وليهم	الله		الذين كفروا	أولياؤهم	الطاغوت
البنية الإسنادية	مسند إليه (غير مباشر)	مسند إليه (مباشر)	مسند		مسند إليه (غير مباشر)	مسند إليه (مباشر)	مسند
البنية الحديثية	محدث عنه	حديث			محدث عنه	حديث	

أول ما نلاحظه على مستوى الإسناد هو أن الآية الكريمة قد عدلت عن التوازي التركيبي، سواء بجعل الإسناد في الجملتين مباشرا، كما في البديل التركيبي (أ) أم بجعله غير مباشر، كما في البديل التركيبي (ب) وقد ترتّب على هذا العدول ـ على مستوى البنية الحديثية ـ أن أصبح لفظ الجلالة هو المحدث عنه في الجملة الأولى في مقابل "الذين كفروا" محدثا عنه في الجملة الثانية. أما في البديلين (أ) و(ب) فالتقابل الحديثي واقع بين لفظ الجلالة والطاغوت تارة وبين الذين آمنوا والذين كفروا تارة أخرى. وبناء على ما سبق يمكننا أن نلاحظ أن الاختيارات النحوية جاءت معضدة للمعنى في الآية؛ فمن ولاية الله للمؤمنين أن جعل ذاته ـ عز وجل ـ مدافعا عنهم في وجه الكافرين. كما في قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾[١].

٣– الربط

---

١ (محمد: ١١)

يسهم تصدير المحدث عنه في سبك النص، ويمكن للدراسة أن تستنبط إشارات إلى ذلك من كلام الخطيب القزويني، حيث يقول: "ومما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء عليه من بناء الفعل على الاسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى، والمعنى قد زال عن الحال التي ينبغي أن يكون عليها."[١]

٤- تنظيم النص

تقديم الاسم: لتقديم الاسم في صدر الجملة دور واضح في الإسهام في تنظيم النص؛ فحينما يتصدر ويُعطف عليه ما يناظره من أسماء متصدرة في الجمل التالية، تكوّن هذه الأسماء المعطوفة معا ما يشبه قالبا أو سلسلة تسهم في سبك جزء من النص. من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾[٢]

تقديم شبه الجملة والظرف: أشباه الجمل والظروف لها حرية موقعية أكبر من غيرها من مكونات الجملة في العربية والإنجليزية، وتفترض الدراسة أنها إن تقدمت في صدور عدد من الجمل في نص معين، سوف تُشكل سلسلة أو قالبا يقوم بدور ملحوظ في سبك النص، وفي هذه الحالة لن تعد الدراسة أيا منها محدثا عنه. فهي إذًا تتفق وهاليداي حول دورها التنظيمي، وتختلف عنه في أنه يرى لها هذا الدور من منطلق كونها محدثا

[١] الإيضاح، ج١، ص٦٢.

[٢] (الطلاق:٤) قارن ذلك بأن يقال: (عدة اللَّائِي يَئِسْنَ...وعدةَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ...وأجل وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ...)

عنه، في حين تراه الدراسة لها من منطلق كونها تشكل سلسلة أو قالبا، فإن تقدم شبه الجملة أو الظرف في صدر جملة واحدة، لم يصح إسناد هذه الوظيفة النصية لها.

تتفق الدراسة وبيكر على أن قيام أشباه الجمل والظروف بهذه الوظيفة النصية قد يرتبط بنوع النص، حيث تتقدم أشباه الجمل والظروف الدالة على الزمان في صدر الجملة في كثير من الأحيان، إن كان النص سرديا (أيَّ نصٍ يسرد سلسلة من الأحداث) مثل القصص عامةً، وعرض تاريخ أدب أو علم أو فن ومراحل تطوره، وجداول الأعمال والخطط المستقبلية. وتتقدم أشباه الجمل والظروف الدالة على المكان في كثير من الأحيان في صدر الجملة، في كتيبات السفر والرحلات (حسب بيكر) وكتب إرشاد السياح (حسب إنكفست Enkvist)[1] تتفق الدراسة وبيكر وإنكفست في هذا مضيفةً نوعا آخر هو "بيان درجات الحرارة المحلية أو العالمية" حيث يمثِّل تقديم أشباه الجمل والظروف الدالة على المكان ـ في العربية والإنجليزية ـ نمطًا مطردا. وترى الدراسة أن أشباه الجمل والمصادر الدالة على السبب تتقدم عادة في المحاكمات القضائية مفسِّرة الحكم الذي يأتي عادة في نهاية النص، والذي يتصدر عادة عناوين النصوص التي ستُبث في وسائل الإعلام لرواية نص المحاكمة.[2]

٢-١٠-٦ تركيب المعلومات

تتكون بداية الكلام أو الخطاب من جديد فقط؛ حيث إن العناصر المعلومة هي بطبيعتها عناصر إحالية، وبناء على هذا تُحلل سلوى كامل جملتي: زيد منطلق، ينطلق زيد على

---

[1] Baker, M. (1992). P. 132.

ترى الدراسة أنه يبدو طبيعيا أن يقال ـ على سبيل المثال ـ: (في الجيزة يمكنك زيارة الأهرامات وأبي الهول... وفي أسوان والأقصر ستستمع بزيارة المعابد الفرعونية... أما في القاهرة فستأسرك العمارة الإسلامية في المساجد والأبواب العتيقة...)

[2] أشار طومسون إلى أن بعض المنظِّرين الذين يعملون من خلال الإطار الوظيفي النظامي يرون أنه من الممكن النظر إلى المحدث عنه الموسوم بوصفه إطارا سياقيا Contextual Frame أو محدثا عنه موجِّهًا Orienting Theme.
(Thompson, G. (2004). P. 173.)

أنهما مكونتان من "جديد" فقط All New[1] (تقالان ابتداء أو للمخاطَب خالي الذهن). ترى الدراسة أنه قد يكون كل العناصر في الجملة "معلوما" All given ـ خلافا لقول هاليداي بأن العنصر الجديد واجب الورود في الجملة ـ وأن هذا يقع في ثلاث حالات، **الأولى:** حينما تتصدر "إنما" الجملة لتنبيه المخاطَب إلى أمر معين أو للتعريض، يقول عبد القاهر: " اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنزَّل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنك تقول للرجل: "إنما هو أخوك" و"إنما هو صاحبك القديم": لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق، الأخ وحرمة الصاحب."[2]

الحالة الثانية تكون حينما يكون المراد من الإسناد الخبري هو لازم فائدة الخبر، "من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادةُ المخاطب إما نفس الحكم كقولك "زيد قائم" لمن لا يعلم أنه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر. وإما كون المخبِر عالمًا بالحكم، كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك: زيد عندك، ويسمى هذا لازم فائدة الخبر."[3] **الحالة الثالثة** يمثلها التكرار، معلوم أنه كلما تكرر الكلام صار آكد، ويبدو نظريا أن هذا المبدأ ليس له حد عنده ينتهي (على مستوى الجملة بوصفها حدثا تواصليا)، لكن من المفترض في الوقت نفسه أن يدفع كل منطوق الحدث الكلامي خطوة للأمام، أي أن يضيف جديدا (على مستوى الجملة بوصفها رسالة: قدرا من المعلومات). معنى ذلك أن ثمة مبدأ آخر يعمل في اتجاه معاكس، يوضِّح ذلك الشكل (٢-٣)

---

[1] Kamel, S. (1997). P. 667, 680- 1.

[2] الدلائل، ص٣٣٠. وتكون للتعريض أيضا كما في قوله تعالى: ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ [الرعد:١٩/ الزمر:٩] راجع الدلائل، ص٣٥٤.

[3] الإيضاح، ج١، ص٢٢.

كلما تكرر الكلام صار آكد ← كل منطوق يقدم معلومة جديدة

الجملة بوصفها حدثا تواصليا ← الجملة بوصفها قدرا من المعلومات

الشكل (٢-٣) العلاقة بين التكرار والمعلومات

في الإنجليزية المنطوقة والمكتوبة، يقترن التعريف عادة بـ "المعلوم" والتنكير بـ "الجديد". وكذلك يميل المعلوم إلى أن يقع مُقّيدا نحويا لغيره من المعلومات[١] كما في جملة: تعيين خالد_وزيرا للبيئة لم يكن مفاجأة. حيث تعيين خالد وزيرا للبيئة (مح/م)[٢]. مقارنةً بـ: خالد عُيّن وزيرا للبيئة.[٣] خالد (مح/م)، وفي العربية الحال كذلك، وقد توصلت سلوى كامل إلى أن درجات التعريف لها تأثير على تحليل تركيب المعلومات، فالضمائر وأسماء الأعلام معرِفة أصالةً وأسماء الجنس والمعنى والفاعلين والمفعولين معرفة اختيارا. إن كان مكوِّن ما نكرة فالأصل أنه "جديد" وإن كان معرفة فالأصل أنه معلوم. فإن كان المبتدأ والخبر معرفتين، فالغالب أن المعلوم هو المعرفة اختيارا، والجديد هو المعرفة أصالةً.[٤]

٢-١١ سياقية الحصر بين عبد القاهر وهاليداي

لأسلوب الحصر طبيعة سياقية يبيّنها عبد القاهر بقوله: "واعلم أن قولنا في الخبر إذا أُخر نحو: "ما زيد إلا قائم"، أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي

---

[١] مثلما في حالات النسبة الداخلية: النعت والحال والإضافة.

[٢] هذه الجملة مثال جيد على أن المتكلم قد يعامل بعض العناصر على أنها "معلوم" وإن كان المخاطَب لا يعلمها؛ ليخرجها من دائرة التفاوض، ويجعلها كأنها أمر مسلم به أو متفَق عليه، وهذا كثير الوقوع في لغة السياسة. راجع الدلائل، ص٣٧٦-٣٧٧. حيث يقول: "وذلك أنك إذا حكيت عن قائل كلاما أنت تريد أن تكذبه فيه، فإن التكذيب ينصرف إلى ما كان فيه خبرا، دون ما كان صفة. تفسير هذا: أنك إذا حكيت عن إنسان أنه قال: "زيد بن عمرو سيد"، ثم كذبته فيه، لم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيد ابن عمرو، ولكن أن يكون سيدا".

[3] Baker, M. (1992). P. 148.

[4] Kamel, S. (1997). P. 686.

يُتوهم كون زيد عليها، ونفيت ما عدا القيام عنه، فإنما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام، نحو أن يكون "جالسا" أو "مضطجعا" أو "متكئا" أو ما شاكل ذلك، ولم تُرد أنك نفيت ما ليس من القيام بسبيل، إذا لسنا ننفي عنه بقولنا: "ما هو إلا قائم" أن يكون "أسود" أو "أبيض" أو طويلا" أو "قصيرا" أو "عالما" أو "جاهلا"، كما أنا إذا قلنا: "ما قائم إلا زيد"، لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه، وإنما نعني ما قائم حيث نحن، وبحضرتنا، وما أشبه ذلك.[1] ويقول هاليداي في شرح معنى التخصيص أو الحصر في جملة: ألِس هي أمهر فتاة. هذه الجملة تُعيّن ألس. لأنها تجعلها تنتمي إلى قسم ليس فيه غيرها (بخلاف: ألس ماهرة). وهذا لا يعني، بالطبع، أنه لا يوجد أشخاص ماهرون في العالم غيرها: وإنما لا يوجد آخرون مهرة في المجموعة المحددة سابقا فقط: يوجد ثلاثة أطفال في الأسرة...[2]

٢-١٢ التقديم ومفهوم الحيِّز عند عبد القاهر[3]

٢-١٢-١ التقديم وحيز الاستفهام (الهمزة وهل)

العنصر الذي يلي الهمزة يكون هو موضع السؤال أو الشك أو التقرير أو الإنكار، فإن وليها الفعل كان حيز الاستفهام الجملة كلها، وإن وليها عنصر غير الفعل كان هذا العنصر هو الواقع وحده في حيز الاستفهام، وما بعده معلوم للسائل وثابت

[1] الدلائل، ص٣٤٦.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 122. "It does not say, of course, that there are no other clever people in the world; only that there are no others within a previously specified population"

[3] أشارت سلوى كامل إلى أن حيز الاستفهام والنفي في الإنجليزية يرتبط بالعنصر البارز صوتيا (بؤرة المعلومات) أما في العربية فيرتبط بالموقع الأول بعد أداة الاستفهام أو النفي بغض النظر عن الوظيفة النحوية للعنصر الذي يحتل هذا الموقع. (Kamel, S. (1997). P. 686.)

عنده. ففي المثال التالي ما بعد (أأنت) معلوم للسائل وهو خارج حيز الاستفهام.[١] والعنصر التالي للهمزة غير الفعل يحمل بؤرة مقابلة Contrast بينه وبين غيره.[٢]

أأنت بنيت هذه الدار؟ أنت (مح/ج/بم) بنيت هذه الدار (ح/م)

٢-١٢-١-١ أدوات الاستفهام الأخرى

لاحظت سلوى كامل ملاحظة دقيقة هي أن عبد القاهر لم يتناول ـ في حديثه عن التقديم في أسلوب الاستفهام ـ إلا التقديم مع الهمزة[٣]، ولم يتناول بقية أدوات الاستفهام[٤]، ولكنها لم تفسِّر عدم تناوله لها. وتظن الدراسة أن تفسير ذلك هو أن "هل" يقبح عند النحاة ألا يليها غير الفعل، أما بقية الأدوات الأخرى فهي إما أن يليها مكون واحد، (كما في: من أنت؟ ما اسمك؟ كم عمرك؟ أين بيتك؟ متى ترحل؟...إلخ). وفي هذه الحالة لا كلام عن التقديم؛ لأن أداة الاستفهام لها الصدارة. وإما أن يليها أكثر من مكون، وفي هذه الحالة يفترض السائل أن كل ما بعد الأداة "معلوم" للمسئول، ففي جملة: متى وقّع الرئيس الاتفاقية؟ يَعلم السائلُ أنه كان توقيع، وأن الموقِّع هو الرئيس، وأن الموقَّع هو الاتفاقية، ويَفترض أن المسئول يعلم كل ذلك، ويعلم ما لا يعلمه السائل:

---

[١] الدلائل، ص١١١-١٢٣.

[٢] "فإنه إذا قال: "أفعلت؟" فهو يقرره بالفعل من غير أن يردده بينه وبين غيره، وكان كلامه كلام من يُوهم أنه لا يدري أن ذلك الفعل كان على الحقيقة. وإذا قال: "أأنت فعلت؟"، كان قد ردد الفعل بينه وبين غيره، ولم يكن منه في نفي الفعل تردد ولم يكن كلامه كلام من يُوهم أنه لا يدري أكان الفعل أم لم يكن؛ بدلالة أنك تقول ذلك والفعل ظاهر موجود". الدلائل، ص١١٤. " إذا قلت: "أأنت تمنعي؟ "، "أأنت تأخذ على يدي؟ "، صرت كأنك قلت: إن غيرك الذي يستطيع منعي والأخذ على يدي، ولست بذاك" الدلائل، ص١١٨.

[٣] أشار عبد القاهر إشارة عبارة إلى "مَنْ" في الدلائل، ص١١٢.

[4] Kamel, S. (1997). P. 672.

زمن التوقيع. ومن ثم فتحليل الجملة مع بقية أدوات الاستفهام سيكون كما في الجدول ٢(٥) التالي:

الجدول ٢(٥) تركيب المعلومات مع غير الهمزة من أدوات الاستفه١ام

متى (أين/ كيف/لِمَ/ كم مرة)	وقَّع الرئيس الاتفاقية؟
مجهول	**معلوم**

ومن ثم لا معنى لتقديم المفعول مثلا ـ في المثال السابق، *متى الاتفاقيةَ وقع الرئيس؟ ـ؛ لأن التقديم إما أن يكون للاهتمام، والاهتمام منصب على المعلومة المجهولة التي تمثلها أداة الاستفهام، وإما أن يكون للمقابلة، وفي هذه الحالة لا تكون الاتفاقية ضمن "المعلوم" لأن المعنى سيكون كالمعنى مع الهمزة: ألاتفاقية وقَّع الرئيس؟ (انظر الجدول ٢(٦)) التالي، فيقع التناقض حيث يقتضي وجود أداة الاستفهام معلومية "الاتفاقية" ويقتضي تقديمها مجهوليتها أو الشك فيها.

الجدول ٢(٦) تركيب المعلومات مع همزة الاستفهام

ألاتفاقية	وقَّع الرئيس؟ (أم المعاهدة أم القرار...)
مجهول	**معلوم**

٢-١٢-٢ التقديم وحيز النفي

إنّ تقدَّمَ عنصرٌ عن تأخير، فوَلِي أداة النفي، صار هو وحده في حيز النفي، وصار يحمل بؤرة مقابلة، وما بعده يصير في حكم المثبت، "إذا قلت: "ما ضربت زيدا"، كنت نفيت عنك ضربه، ولم يجب أن يكون قد ضرب، بل يجوز أن يكون ضربه غيرك،

وألا يكون قد ضرب أصلا. وإذا قلت: "ما أنا ضربت زيدا"، لم تقله إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب."[1] "وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب، فإذا قلت: "ما أمرتك بهذا"، كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر وإذا قلت: "ما بهذا أمرتك"، كنت قد أمرته بشيء غيره."[2]

٢-١٢-٢-١ حيز النفي والمقيدات:

يرسي عبد القاهر في هذه المسألة مبدأ عاما، يقول: "فهھنا أصل، وهو أنه من حكم النفي إذا دخل على كلام، ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه، أن يتوجه إلى ذلك التقييد، وأن يقع له خصوصا." [3] ففي جملة: (لم أرَ القوم كلهم.) حيز النفي (كلهم) فقط وهي تحمل بؤرة مقابلة. (أرَ القوم) معلوم (لم+كلهم) جديد، والمعنى: رأيت بعضهم. أثبتَ رؤية بعض القوم، ونفى الكلية.

٢-١٢-٣ الإثبات والمقيدات:

في حالة الإثبات يمثل القيد بؤرة الجديد، والدراسة تعتمد في تقرير هذا على عبد القاهر، إذ يقول: "وجملة الأمر أنه ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشيء، إلا كان الغرضَ الخاص من الكلام، والذي يقصد إليه ويزجِّى القول فيه. فإذا قلت: "جاءني زيد راكبا"، و "ما جاءني زيد راكبا" كنت قد وضعت كلامك لأن

---

[1] الدلائل، ص١٢٤.

[2] المرجع نفسه، ص١٢٧.

[3] الدلائل، ص٢٧٩. جاء في البرهان: من صور النفي "نفي الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا، وهذا من أساليب العرب يقصدون به المبالغة في النفي وتأكيده كقولهم: (فلان لا يرجى خيره) ليس المراد أن فيه خيرا لا يرجى، وإنما غرضهم أنه لا خير فيه على وجه من الوجوه." ومن ذلك "قوله: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾ [البقرة: ٤١]؛ لأن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا، فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن." الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ت. ج٣، ص٣٩٦-٣٩٧.

تثبت مجيئه راكبا أو تنفي ذلك، لا لأن تثبت المجيء وتنفيه مطلقا. وهذا ما لا سبيل إلى الشك فيه."[1] وعلى هذا يكون التحليل كالتالي:

جاءني زيد راكبا. (جاء+راكبا) جديد، (راكبا) بؤرة الجديد. (ياء المتكلم+زيد) معلوم

ما جاءني زيد راكبا. (راكبا) جديد+بؤرة مقابلة. (جاءني زيد) معلوم، لأن هذا الكلام يقال لمن توهم أو تردد في مجيء زيد على هيئة أخرى.

ما راكبا جاءني زيد. تحليله كسابقه، ولكنه آكد؛ ومن ثم يكون في رد إنكار منكر.

لعله قد اتضح من خلال العرض السابق أن المقيدات تمثل بؤرة الاهتمام في الجملة من حيث هي تركيب معلومات؛ لهذا ترى الدراسة أنه من غير المفيد استخدام مصطلحي "العمدة" و"الفضلة" الشكليين، لا سيما أن المدخل الذي تتبناه الدراسة في الولوج إلى عالم النحو هو مدخل دلالي.

الفصل الثالث

الجملة بوصفها فعلَ تواصل

---

[1] الدلائل، ص٢٨٠.

٣-١ مقدمة

درس الفصل السابق الجملة بوصفها رسالة: قدرا من المعلومات، أما هذا الفصل فسيدرس الجملة من زاوية أخرى بوصفها تبادلا: حدثا تواصليا يقوم على الإعطاء والطلب بين طرفين أو أكثر. حينما تُدرس الجملة من هذه الزاوية يكون النظام الأساسي هو نظام الإسناد. وتذهب الدراسة إلى أن هذه الزاوية هي الزاوية الأساسية ـ وربما تكون الوحيدة ـ التي درس النحاة العرب القدماء والمحدثون الجملةَ من خلالها، وأن جميع أقسام الجملة أو أنواعها (كالاسمية، والفعلية[١]، والظرفية، والشرطية، والوصفية، والصغرى، والكبرى، والبسيطة والمركبة...إلخ) مؤسَّسة على النظر إليها من هذه الزاوية.

يُحلل الباحث في هذا الفصل دراسة النحاة العرب القدماء والمحدثين وبعض المستشرقين للجملة ولأنواعها ومكوناتها، ثم يعرض تصورات هاليداي عن الجملة بوصفها تبادلا، ثم يقترح إطارا نظريا لدراسة الجملة من هذه الزاوية، يتضمن تعريفها، ومكوناتها، وأنواعها، ووحدات التحليل النحوي، وموقف المتكلم من الجملة.

٣-٢ تنظير النحاة العرب

٣-٢-١ الجملة والكلام

يمكن تقسيم النحاة القدماء في دراستهم للعلاقة بين الكلام والجملة إلى فريقين[٢]، **الأول** يرى أنهما مترادفان، ومنه المبرد وابن جني وعبد القاهر الجرجاني[٣] والزمخشري. فقد

---

[١] ركن الإسناد الأول في الجملة الاسمية اسم، ولا يُعتد بما يسبقه، وركن الإسناد الأول في الجملة الفعلية فعل، ولا يُعتد بما يسبقه أيضا.

[٢] راجع محمد حماسة عبد اللطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ص١٩-٢٤. وكذلك: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص٢٣-٢٩. والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (-٩١١هـ) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج١، ص٤٩-٥١.

[٣] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (-٤٧١هـ) الجمل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ١٩٧٢م. ص٤٠.

عرف ابن جني الكلام مُشترِطا فيه الاستقلال والإفادة بقوله: " أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجُمل، نحو زيد أخوك، وقام محمد وضُرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصَه، ومَه، ورُويد، وحاءٍ وعاءٍ في الأصوات، وحَسِّ، ولَبِّ، وأف، وأوّه"[١]، وعرّفه الزمخشري مُشترِطا فيه التركيب والإسناد بقوله: "الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذاك لا يتأتى إلا في اسمين، كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك: "ضرب زيد وانطلق بكر"، ويُسمى الجملة"[٢].

أما الفريق الآخر ـ وعلى رأسه الرضي وابن هشام ـ فيفرِّق بين الكلام والجملة، وقد فرق بينهما الرضي بقوله: "الفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا، كالجملة التي هي خبر المبتدأ، وسائر ما ذُكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أُسندت إليه. والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس"[٣]. فالجمل الواقعة خبرا أو نعتا أو حالا أو صلة موصول أو مضافا إليه أو قَسَمًا (لأنها تكون توكيدا لجواب القسم) أو جزاء شرط (لأنها تكون قيدا لجواب الشرط) ـ كلها لا تعد كلاما عنده[٤]. وقال ابن هشام: "الكلام هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ" قام زيد" والمبتدأ وخبره كـ" زيد قائم" وما كان بمنزلة أحدهما نحو "ضُرب اللص" و"أقائم

---

[١] ابن جني، أبو الفتح عثمان (-٣٩٢هـ) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، تقديم: عبد الحكيم راضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ٢٠١١م. ج١، ص١٨.

[٢] ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (-٦٤٣هـ) شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م. ج١، ص٧٠.

[٣] الرضي، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (-٦٨٨هـ) شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م. ص٣٣.

[٤] شرح الرضي على الكافية، ص٣٢.

الزيدان" و"كان زيد قائما" و"ظننته قائما" وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين... والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة. وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام[1]"

٣-٢-٢ مكونات الجملة

الملاحظ أن النحاة القدماء ركزوا تركيزا واضحا على أقل ما تنعقد به الجملة أو الكلام[2]؛ ومن هنا جاء حديثهم عن "العُمد" و"الفضلات"، وأن مقيدات الإسناد أو متعلقاته لم تحظَ بالعناية الكافية في تحديدهم لمكونات الجملة. وتنعقد الجملة بالمسند إليه (المبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل) والمسند (الخبر، والفاعل) والإسناد (أو الحُكم الذي بينهما).

ولا تحصل الإفادة التي يحسن السكوت عليها عند جمهور النحاة القدماء إلا بالجملة، فإن عُدم أحد ركنيها وجب عندهم تقديره، وإن استقام المعنى بدونه؛ لأنه "لا بد لكل فعل من فاعل؛ لأنه لا يكون فعل ولا فاعل، فقد صار الفعل والفاعل بمنزلة شيء واحد؛ إذ كان لا يستغني كل واحد منهما عن صاحبه كالابتداء والخبر"[3] جاء في (البرهان) للزركشي: أنه "قد توجب صناعةُ النحو التقديرَ، وإن كان المعنى غير متوقف عليه، كما في (لا إله إلا الله) فإن الخبر محذوف، وقدره النحاة بـ (موجود) أو (لنا) وأنكره الإمام فخر الدين، وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير" ويعقب الزركشي بقوله:

---

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري المصري (-٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م. ص٤٣١.

[2] أي: ما لا بد منه، يقول السيوطي: "لأن الإفادة إنما تحصل بالإسناد وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه" الهمع، ج١، ص٤٦.

[3] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٥هـ) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م. ج٤، ص٥٠.

إنه "لا معنى لهذا الإنكار...ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهرا أو مقدرا، وإنما يقدر النحوي؛ ليعطي القواعد حقها، وإن كان المعنى مفهوما"[1]

أما بعض النحاة العرب المحدثين والمستشرقين فقد كان اهتمامهم بالمعنى مقدما على تحقيق متطلبات الصنعة النحوية، لا سيما اكتمال البنية الإسنادية؛ ومن ثم ظهرت مصطلحات نحوية جديدة، وتغيرت مفاهيم بعض المصطلحات القديمة. فما فقد أحد ركني الإسناد ودل على معنى

يحسن السكوت عليه، فهو عند فندريس[2] وإبراهيم أنيس[3] يُعد "**جملة**"، وعند برجشتراسر[4] إن استقل بنفسه "**شبه جملة**" وإن افتقر لغيره "**جملة ناقصة**" ـ أما عند إبراهيم مصطفى فتُعد (يا محمد، وتحيةً وسلاما، وصبرا، وشكرا، ولا بأس، ولا ضير) "**جملة ناقصة**"[5] وهي غير مفتقرة لغيرها ـ وعند أحمد المتوكل[6] "**شبه جملة**" ـ وعند عبد

---

[1] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (-٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ١٩٥٧م. ج٣، ص١١٥. وعبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت. ص١٩٦.

[2] يقول: بعض الجمل يتكون من كلمة واحدة: "تعال" و"لا" و"وا أسفاه" و"صه!" كل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنى كاملا يكتفي بنفسه" فندريس، ج.، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت. ص١٠١.

[3] لا يشترط إبراهيم أنيس في الجملة إلا الإفادة، ولا يرى أنها تستقل عن السياق اللغوي وغير اللغوي. الجملة في رأيه: "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر". إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، د. ت. ص٢٣٥-٢٣٦.

[4] بشرط استقلاله فلا يحتاج إلى غيره مظهرا ولا مقدرا، كما في: (يا حسن، قُمْ، مَه، نِخْ، إذا الفجائية والاسم المرفوع بعدها، لولا والمبتدأ بعدها، حسبك، لابد، مرحبا، شتان بينهم، (ورأسَك، والأسدَ، وإياك والأسد) في التحذير، فإن لم يستقل واحتاج إلى غيره، سماه "الجملة الناقصة" كما في الجواب المختصر للاستفهام. برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م. ص١٢٥-١٣٢.

[5] إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ط٢، ١٩٩٢م. ص١٤٢.

[6] يُعرِّف شبه الجملة بأنها كل ملفوظ أو مكتوب دون الجملة يؤدي تواصليا ما تؤديه الجملة. راجع: أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م. ص١٠٨. وأحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م. ص ١٣٥.

الرحمن أيوب تُعد جملة النداء وجملة نعم وبئس وجملة التعجب "**جملة غير إسنادية**" وتعد الجمل التي حُذِف فيها المبتدأ أو الخبر وجوبا من "**الجمل ذات الطرف الإسنادي الواحد**"[1] . وعند محمد حماسة يعد "**جملة موجَزة**"[2] و"**جملة غير إسنادية**[3]". وعند مهدي المخزومي تعد أداة النداء والمنادى "**مركبا لفظيا**"[4] لا جملةً، وتُعد جملتا الشرط والجواب "**عبارة**"[5]

٣-٢-٣ أنواع الجملة

هناك نوعان يتفق عليهما جمهور النحاة القدماء والمحدثين، هما الجملة الاسمية والفعلية. ويضيف بعض النحاة كابن هشام[6] والسيوطي[7] نوعا ثالثا، هو الجملة الظرفية، ويضيف غيرهم كالزمخشري[8] وأبي علي الفارسي نوعا رابعا، هو الجملة الشرطية. وقد

---

[1] عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت. ص٥٥.

[2] قد تكون فعلية، كما في: (أتكلمُ، نتكلم، تتكلم (أنت)، استقمْ) أو اسمية، كما في: (لولا والاسم بعدها إن أفادا معنى مستقلا، كل رجل وضيعته، ضربي العبد مسيئا، "المصدر الذي يجاء به بدلا من اللفظ بفعله سواء أكان يقصد به الخبر أم الإنشاء، وسواء أكان مرفوعا أم منصوبا، مثل: سمع وطاعة، صبر جميل، طاعة وقول معروف" ومرحبا، وأهلا وسهلا، والمصادر التي يُدعى بها. وقد تكون الجملة الموجزة جوابا لاستفهام، وفاقا لابن طلحة الذي رأى أن "الكلمة الواحدة قد تكون كلاما إذا قامت مقام الكلام كـ "نعم" و"لا" في الجواب" العلامة الإعرابية، ص٨٧-٩٦.

[3] لا يرى محمد حماسة الإسناد شرطا ضروريا لكل جملة، وإنما يُعوِّل في تعريف الجملة على استقلال المعنى وكماله وإفادته. (العلامة الإعرابية، ص٦١، ١٠٦.) وهو في هذا يوافق عبد الرحمن أيوب (دراسات نقدية، ص١٥٩). تتميز الجمل غير الإسنادية بأنها إفصاحية، مسكوكة تجري مجرى الأمثال، ومنها: (جملة الخالفة (اسم الفعل) وجملة التعجب بصيغتيه القياسيتين، وجملة المدح والذم، جملة خالفة الصوت، والجملة الندائية (وفاقا لأبي علي الفارسي الذي رأى "أن الاسم مع الحرف يكون كلاما في النداء نحو: يا زيد"، والجملة القسمية، والجملة التحذيرية والإغرائية) العلامة الإعرابية، ص٩٧-١١٠.

[4] مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م. ص٥٣-٥٤.

[5] المرجع نفسه، ص٢٨٩.

[6] الجملة "الظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور نحو (أعندك زيد) و(أفي الدار زيد) إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما" المغني، ص٤٣٣.

[7] الهمع، ج١، ص٥٠.

[8] شرح المفصل، ج١، ص٢٢٩.

أضاف المحدثون نوعا آخر هو الجملة الوصفية، كما في: قائم الزيدان. (عند من جوّز ذلك وهو الأخفش والكوفيون)، ومن هؤلاء المحدثين شعبان صلاح، ومحمد حماسة[1]

يسهل ملاحظة أن الذي دعا النحاة القدماء إلى جعل "قائم" مبتدأً في نحو: "أقائم الزيدان" هو حرصهم على الحفاظ على أحكام المطابقة بين المبتدأ وخبره، ولم يبالوا بأن هذا الحرص سيفضي ـ على مستوى الدلالة ـ إلى جعل المحكوم عليه والمتحدث عنه، وهو "الزيدان" في المثال السابق، محكوما به ومحدثا به، وسيفضي إلى عكس ذلك مع "قائم". وهذا الحرص هو أيضا ما دعا بعض النحاة المحدثين إلى اختلاق ما أسموه بالجملة الوصفية؛ وليس أدل على صحة هذه الملاحظة من أنه إن تحققت المطابقة، فقيل "أقائمان الزيدان"، لم تعد الجملة وصفية عند المحدثين، وصار "الزيدان" مبتدأ مؤخرا عند القدماء. وكان يكفي الفريقين أن يضعا ضابطا وصفيا للمطابقة في تلك الحالة، ثم ينظرا في مواضع استخدام هذا التركيب وقيمته الدلالية.

ومن المستشرقين من يقسم الجملة إلى اسمية وفعلية تبعا للمسند، وهذا التقسيم له أساس دلالي؛ يقول فندريس: "تختلف الجملة الاسمية كل الاختلاف عن الجملة الفعلية؛ فهي يُعبر بها عن نسبة صفة إلى شيء: البيت جديد، الغداء حاضر، الدخول على اليمين، قمبيز ملك، زيد حكيم، والجملة الاسمية تتضمن طرفين: المسند إليه والمسند، وكلاهما من فصيلة الاسم". والجملة الفعلية "يعبر بها عن الحدث" [2] ويقول برجشتراسر: "الجملة مركبة من مسند ومسند إليه، فإن كان كلاهما اسمًا أو بمنزلة الاسم، فالجملة اسمية، وإن كان المسند فعلا، أو بمنزلة الفعل، فالجملة فعلية"[3] ويُفصِّل هنري فليش الكلام عن الجملة الاسمية بقوله: "هي التي يكون المسند فيها عنصرا اسميا، وهذا العنصر يكون في العربية ـ أساسا ـ صفة أو اسم فاعل أو اسم مفعول، كما

---

[1] العلامة الإعرابية، ص٣٤-٣٥، ٨٤-٨٦.

[2] ج. فندريس، اللغة، ص١٦٣.

[3] التطور النحوي، ص١٢٥.

يمكن أن يكون أداة جر مع مجرورها، أو ظرف مكان مثل (هنا) أو أداة استفهام مثل (كيف، أو كم)"[١]. وممن يتبنون هذا التقسيم من النحاة العرب المحدثين مهدي المخزومي.[٢]

٣-٣ هاليداي

٣-٣-١ الحوار والوظائف الكلامية الأساسية

مثلما ينظر هاليداي إلى الجملة بوصفها رسالة (كما عرضت الدراسة في الفصل السابق) ينظر إليها من زاوية أخرى بوصفها تبادلا: حدثا اتصاليا يدور بين متحدث ومستمع أو كاتب وقارئ، وقد يحدث تناوب في الأدوار فيصير المتحدث مستمعا والمستمع متحدثا. في فعل التحدث يتخذ المتحدث لنفسه دورا كلاميا معينا، وبفعله هذا يُخصص لمستمعه دورا كلاميا مكملا يريده أن يتخذه بدوره، ففي السؤال مثلا يضطلع المتحدث بدور الباحث عن المعلومات "السائل"، ويطلب إلى مستمعه أن يضطلع بدور المزود بالمعلومات المطلوبة "المجيب".[٣]

يرى هاليداي أن هناك وظيفتين رئيستين للجملة تكمن وراءهما كل الوظائف الخاصة الأخرى، هاتان الوظيفتان هما: الإعطاء والطلب، فالمتكلم إما أنه يعطي المستمع شيئا (خبرا أو معلومة مثلا) وإما أنه يطلب إليه شيئا، لكن مقولتي الإعطاء والطلب ليستا بسيطتين كما تبدوان؛ فالإعطاء يعني "دعوة إلى التَّسلُّم"، والطلب يعني "دعوة إلى الإعطاء" فالمتحدث (أو الكاتب) لا يفعل شيئا بنفسه فقط، وإنما يطلب شيئا

---

[١] هنري فليش، العربية الفصحى: دراسة في البناء اللغوي، تعريب وتحقيق وتقديم: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت. ص٢٥٢.

[٢] مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص٤١-٤٢.

[3] Halliday, M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold. P. 68.

إلى المستمع كذلك. وهذا هو السبب في نظرة هاليداي إلى الجملة على أنها تبادل، فيه يتضمن الإعطاءُ التسلمَ ويتضمن الطلبُ الإعطاءَ استجابةً.[1]

ويستمر هاليداي في تفصيل الفكرة وشرحها مستعينا باستعارة التبادل التجاري، فيقول: قد تكون السلعة المتبادلة بين المتكلم والمستمع سلعة مادية أو خدمة (كأن يكون المطلوب هو فِعل شيء، كما في قولك: (اذهبْ) أو (ناولني الملح)، فالسلعة المتبادلة هنا ليست لفظية، واللغة قد استخدمت وسيلة لدعم العملية) وقد تكون السلعة المتبادلة هي معلومة (كما في السؤال والجواب، فاللغة تكون حينئذٍ وسيلة وغاية، ويكون التبادل تبادلا للمعلومات) إذا ضممنا متغير السلعة المتبادلة إلى وظيفتي الإعطاء والطلب، حصلنا على الوظائف الكلامية الأولية الأربع: الإخبار والاستفهام والطلب والعرض Offer[2]، الجدول ٣(١) يوضح ذلك:

الجدول ٣(١) الإعطاء والطلب ووظائف الكلام

السلعة المتبادلة / الدور في التبادل	(أ) أفعال وأشياء	(ب) معلومات
(أ) إعطاء	العرض: هل أحمل حقائبك؟ خذ هذا المال لك.	إخبار: أعطيت الفقير صدقة
(ب) طلب	الأمر : قم والنهي : لا تجلس والتحضيض : ألا تقوم والعرض : ألا تقوم	سؤال: هل أعطيت الفقير صدقة؟

[1] Ibid. P. 68.

[2] Ibid. P. 69.

وللدراسة هنا مجموعة من الملاحظات على تقسيم هاليداي في علاقته باللغة العربية:

أولا: أن هناك نوعين من العرض، الأول: هو عرض المتكلم على المستمع أن يفعل (المتكلمُ) فعلا من أجله أو أن يعطيه شيئا لمصلحته، وهذا النوع لا تخصص له اللغة العربية صيغةً خاصة . كما تخصص للسؤال مثلا صيغة الاستفهام . فقد يكون بصيغة الأمر أو الاستفهام. أما النوع الثاني فهو قسم من أقسام الطلب، يطلب فيه المتكلم أن يفعل المستمع شيئا، وهذا النوع له صيغ خاصة.

ثانيا: أن الدراسة تفرِّق بين وظائف الجملة، وهي كثيرة جدا، وصيغ الجملة، وهي قليلة جدا (في العربية والإنجليزية) ومحددة. فالدعاء ـ مثلا ـ ليس صيغة من صيغ الجملة، ولا نوعا من أنواعها ـ خلافًا لتمام حسان[1] ـ وإنما هو وظيفة قد تؤدى بالعديد من صيغ الجملة.

ثالثا: أن الفرق بين الأمر والتحضيض والعرض ليس فرقا في النوع، وإنما هو فرق في الدرجة درجة الوجوب؛ ولذلك أدرجتها الدراسة معا في قسم واحد، وأدرجت النهي معها؛ لأنه أمر بالكف عن فعل معين.

ترتبط هذه الوظائف الكلامية بعدد من الاستجابات المرغوبة، هي: قبول العرض Offer، التعهد بأداء الطلب أو أداؤه، الإقرار بالخبر، إجابة السؤال، وبعدد من الاستجابات البديلة: رفض العرض، الامتناع أو الإحجام عن أداء الطلب، إنكار الخبر ومناقضته، التنصل من إجابة السؤال، وقد تكون بعض هذه الاستجابات لفظية أو قد

---

[1] راجع: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م. جـ ١، ص ١٧٦.

تكون غير لفظية أو إيمائية، لكن المطرد في مواقف الحياة اليومية أن تكون لفظية مع فعل غير لفظي أو بدونه.[١]

يكون لدى المستمع حين يصبح متكلما من حرية الاختيار والتصرف الكثير، فقد يجيب عن السؤال نفسه بإجابات مختلفة، وقد يؤدي الطلب بطرائق متنوعة، بل إنه قد يرفض إجابة السؤال جملة، وقد يرفض أداء المطلوب؛ ولهذا قد يقوم المتحدث من جانبه باستباق يستطيع أن يواجه به هذه الاحتمالات، وأن يدفع المستمع في اتجاه بعينه، كأن يُذيِّل الطلب بالاستفهام، ويقوم الاستفهام هنا بتذكير المستمع بالاستجابة المطلوبة[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣]

يرى هاليداي أنه حين تستخدم اللغة لتبادل المعلومات تتخذ الجملة شكل القضية، إنها تصبح شيئا يمكن الجدل حوله: شيئا يمكن إثباته أو إنكاره أو الشك فيه أو معارضته أو تأكيده أو قبوله بشرط أو تقييده ...إلخ، لكن لا يمكن أن نستخدم مصطلح "القضية" للإشارة إلى كل وظائف الجملة بوصفها حدثا تفاعليا تواصليا؛ لأن هذا يستبعد تبادل الأفعال والأشياء، أي العروض والطلبات، فليس فيها قضايا لإثباتها أو إنكارها؛ لذا يستخدم هاليداي مصطلح "المقترح" proposal ليشير إلى العروض والطلبات. ويرى أن الوظيفة الدلالية للجملة في تبادل المعلومات هي الحكم proposition والوظيفة الدلالية للجملة في تبادل الأفعال والأشياء هي الاقتراح proposal.[٤]

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 69. (Matthiessen, C. M. I. M., Teruya, K., & Lam, M. (2010). *Key terms in systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum. P.203.)

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 69.

[٣] (النور: ٢٢)

[4] Halliday, M.A.K. (1994). 71.

٣-٣-٢ صيغة الجملة Mood ومكوناتها

إذا نظرنا عن كثب إلى الصيغ المختلفة للجملة في اللغة الإنجليزية سنجد أنها يُعبر عنها نموذجيا عن طريق نوع بعينه من التغير النحوي يُصيب جزءا معينا من الجملة. يقوم بهذا الدور العامل المتصرف finite operator وهو جزء من المركب الفعلي Verbal group، قد يدل على الزمن، مثل: (has،is) أو الموقفية Modality مثل: (must) وقد يمتزج بالفعل المعجمي (في الماضي البسيط والمضارع البسيط المبنيين للمعلوم المثبتين غير المؤكدين، كما في: (gave،loves)[١]. في الإنجليزية تتكون بنية الجملة من حيث هي تبادل من الصيغة Mood (وهي تتكون من المسند إليه Subject والعامل المتصرف) والبقية Residue (وهي تتكون من المسند Predicator ومتمم Complement أو اثنين وعدد غير محدد من المقيِّدات Adjuncts)[٢]. يدل ترتيب المسند إليه والعامل المتصرف على نوع الصيغة: إن وقع المسند إليه أولا وتبعه العامل المتصرف، فالصيغة خبرية. وإن وقع العامل المتصرف أولا فالصيغة استفهام تصديقي. في الاستفهام التصوري: يكون المسند إليه قبل العامل المتصرف، إن كان هو أداة الاستفهام، والعكس في غير ذلك.

أما العامل المتصرف فهو الذي يجعل القضية متصرفة، أي يُعين لها حدودا، ويجعلها شيئا يمكن الجدال في شأنه: الأخذ والرد، إذا أردنا أن نجعل شيئا ما من الممكن الجدال في شأنه، فعلينا أن نعطيه نقطة إحالة أو إسناد إلى الزمان (was) أو إلى حُكم المتحدث أو موقفه (must،can't) أو إلى قطبي الإثبات والنفي (هو كذلك، هو ليس كذلك). يشترك الفعل والعامل المتصرف في التعبير عن الزمن، فيعبر الفعل عن الزمن الثانوي، أي زمن حدث الجملة، وتعبر الأداة عن الزمن الأوليّ، أي الزمن

---

[1] Ibid. P. 72.

[2] Ibid. P. 78.

بالنسبة إلى زمن التحدث "الآن. ويقصد هاليداي بالموقفية Modality حكم المتحدث على ما يقوله من حيث احتماله أو من حيث تعهده والتزامه به [1]

وأما المسند إليه فهو العنصر الاسمي الذي يعلِّق المتحدثُ عليه صحة قضيته، إثباتها أو إنكارها، أو يجعله مسئولا عن وظيفة الجملة بوصفها حدثا اتصاليا، ولعل الأسهل أن نرى مبدأ المسئولية في حالة العروض والطلبات، فعلى سبيل المثال (لو قال سائق لأحد الركاب: أأحمل حقائبك؟ فرد عليه: احملها.) فالمسند إليه في الجملتين هو المسئول عن تحقُّق العرض والطلب، أي عن أداء الفعل حقيقةً. في العرض يكون المتكلم، وفي الطلب يكون المخاطَب، إذن لو أردنا أن نعرف لمَ اختار المتحدث هذا العنصر أو ذاك ليكون مسندا إليه لقضية ما، فهناك عاملان مهمان نضعهما نصب أعيننا، الأول أن الأصل أن يكون المسند إليه هو المحدث عنه، والآخر هو بناء الفعل للمعلوم أو للمجهول؛ فبتغيُّره يتغير المسند إليه، فإن قال المتحدث مثلا: أعطى الغني الفقير الصدقة، يكون قد علق صحة قضيته على "الغني"، أما إن قال: أُعطي الفقير الصدقة، يكون قد غيّر القضية بتعليق الصحة على "الفقير".

أما المسند فهو الجزء الذي يكوِّن مع المسند إليه والعامل المتصرف جوهر أو لب القضية، وهو موجود في كل الجمل، ويكوّن هو والعامل المتصرف مركبا فعليا، مثل (was shining)[2]. وفي الحوار تبقى القضية ثابتة ما لم تؤخذ خطوة حاسمة لتغييرها، كما في قولنا:

- هل أعطى الأمير الرجل الفقير صدقة؟

- لا، لم يعطه، { (أ) ولكن القائد أعطاه.

---

1 Ibid. P.74-5.

2 Ibid. P.76-9.

{ (ب) ولكنه سيعطيه.

فقد صارت القضية قضية جديدة في (أ) بتغيير المسند إليه، وفي (ب) بتغيير الزمن، ولكن التغيير في الحالتين لم يُحدث قفزة في الحوار من موضوع إلى آخر؛ فالقضية الجديدة في (أ) يربطها بالقضية القديمة اتحاد المسند (أعطى) والمتمم (الضمير العائد على الفقير) والقضية الجديدة في (ب) يربطها بالقضية القديمة اتحاد المسند إليه والمسند والمتمم.[1] تنبع أهمية التحليل بهذه الطريقة من أنه يكشف لنا القفزات الحوارية التي يصنعها المتحاورون ـ حين ينتقلون من قضية إلى أخرى جديدة لا يربطها بها رابط ـ بغيةَ المراوغة أو المغالطة أو التنصل من موضوع ما.

أما المتمم فهو عنصر اسمي يتمم معنى المسند الفعلي، ويصلح أن يكون مسندا إليه. وأما المُقيِّد فهو عنصر يحدد جانبا من جوانب المعنى في الجملة بتقييد الإسناد بتحديد زمانه أو مكانه أو علته، ... إلخ ويتحقق في الإنجليزية في صورة شبه الجملة الجري أو المركب الظرفي؛ ومن ثم لا يصلح أن يكون مسندًا إليه.[2]

٣-٣-٣ الموقفية Modality

يعتقد هاليداي أن موقف المتحدث من جملته بوصفها تبادلا لا ينحصر في تأكيدها أو إنكارها؛ لأنه بين قطبي الإثبات والنفي درجات وسيطة من عدم اليقين أو التحديد، من أجل دراستها نحتاج إلى التمييز بين القضايا (الأخبار والأسئلة) والاقتراحات (العروض والطلبات): في القضية يكون معنى قطبي الإثبات والنفي هو التأكيد: "إنها كذلك" والإنكار: "إنها ليست كذلك" على الترتيب، وهناك نوعان من الدرجات الوسيطة:

(أ) درجات الاحتمال: محتمل، مرجح، أكيد.

---

[1] Ibid. P. 77-78.

[2] Ibid. P. 80.

(ب) درجات الورود: دائما، عادة، أحيانا، نادرا، أبدا.

النوع الأول يكافئ "إما نعم أو لا" أي ربما نعم وربما لا مع درجات من الاحتمال، أما النوع الثاني فيكافئ "كلًا من نعم ولا" أي: أحيانا نعم، وأحيانا لا، مع درجات من كثرة الوقوع أو الحدوث.

في الاقتراحات يكون معنى قطبي الإثبات والنفي هو الأمر والنهي، "افعل هذا"، "ولا تفعل هذا"، وهنا أيضا نوعان من الدرجات الوسيطة، يعتمدان على وظيفة الكلام:

(أ) في الطلب تمثل الدرجات الوسيطة درجات من الإلزام: الوجوب، الندب، الإباحة.

(ب) وفي العرض تمثل درجات من التعهد والرغبة: مستعد لـ ، متلهف (تواق) لـ ، عاقد العزم على.[١]

ويرى هاليداي أن الموقفية في الجمل الخبرية تكون تعبيرا عن موقف المتحدث، وفي الاستفهام تكون طلبا للكشف عن موقف المسئول[٢] كما في قولنا: هل تظن أن الطائرة لن تتأخر؟. وكذلك يرى أن العناصر التي تكشف لنا عن موقف المتحدث منها ما يتصدر الجملة الواقع فيها وجوبا، ومنها ما يتصدر نموذجيا في أغلب الأحيان، وقد يتأخر في حالات قليلة، ويُفسر هاليداي ذلك بأنه قد يتأخر ليُعبر عن أن الفكرة التي يجسدها قد خطرت على الذهن متأخرة afterthought ، أو ليجسد اختلافا معنويا[٣]، ويُمثل لذلك بالأمثلة التالية:

(a) Usually they don't open before ten.

(b) They usually don't open before ten.

---

[1] Ibid. P. 88-9

[2] Ibid.P. 89.

[3] Ibid. 82.

(c) They don't <u>usually</u> open before ten.

(d) They don't open before ten <u>usually</u>.

فالفارق هو أن الكلمة وقعت في المثال الأول متحدثا عنه (وفقا لهاليداي)، ولهذا دلالته من حيث الأهمية أو البروز، وفي المثال الأخير وقعت متأخرة بوصفها تجسد فكرة خطرت على الذهن متأخرة، أو ربما لتقييد ما قبلها. أما الفارق بين المثال الثاني والثالث فيتضح أكثر إن استبدلنا بـ (usually) (always) لنقول:

(b) They <u>always</u> don't open before ten.

(c) They don't <u>always</u> open before ten.

هم دائما لا يفتحون قبل العاشرة. (دائما لا يفتحون = أبدا)

هم لا يفتحون دائما قبل العاشرة. (لا يفتحون دائما = أحيانا)

وهذا الاختلاف قريب الشبه مما لاحظه البلاغيون العرب من اختلاف دلالي بين نفي العموم وعموم النفي. وقد رصد سيبويه هذه الظاهرة قديما ـ ظاهرة وقوع العنصر الدال على موقف المتحدث مقدما ومتوسطا ومتأخرا ـ وفسرها التفسير نفسه الذي يقدمه هاليداي، وذلك حيث يقول في حكم إلغاء ظن وأخواتها: " فإِن ألغيتَ قلت: عبدُ الله أظنُّ ذاهبٌ، وهذا إخالُ أخوك، وفيها أُرَى أبوك. وكلَّما أردتَ الإِلغاء فالتأخيرُ أقوى. وكلٌّ عربيٌّ [جيدّ] ... وإنما كان التأخير أقوى <u>لأنه [إنما] يجيء بالشكّ بعدما يَمْضِي كلامُه على اليقين، أو بعدما يبتدئ وهو يريد اليقينَ ثم يُدْرِكُه الشكُّ</u>، كما تقول: عبدُ الله صاحبُ ذاك بلغَنى، وكما قال: من يقول ذاك تَدرِى، فأَخّرَ ما لم يَعمَلْ في أول كلامه. وإنما جعل ذلك فيما بلغه بعدما مَضى كلامُه على اليقين، وفيما يَدرى. فإذا ابتدأ كلامَه على ما فى نيّته من الشك أَعْملَ الفعلَ قدّم أوْ أخَّر، كما قال: زيدًا رأيتُ، ورأَيتُ زيدا. <u>وكلَّما</u>

طال الكلامُ ضعُفَ التأخيرُ إذا أعملتَ، وذلك قولك: زيدًا أخاك أظنُّ، فهذا ضعيفٌ كما يضعُفُ زيدًا قائمًا ضربتُ؛ لأنّ الحدَّ أن يكونَ الفعلُ مبتدأً إذا عَمِلَ."[١]

وهذا النص بالغ الأهمية من وجوه؛ فهو يؤكد ما سبق أن قررته الدراسة من أن ظاهرة التقديم هي في الأساس ظاهرة نفسية معرفية مرتبطة بحركة الذهن وبتدافع الخواطر والأفكار وما يرتبط بهما من انفعالات، ثانيا لأنه يُقدم المهاد النظري لدراسة موقفية المتحدث من جهة، ويكشف عن وعي مبكر بها لم يُكتب له التبلور في إطار نظري مكتمل من جهة أخرى. وأخيرا لأنه يرصد نمطا من أنماط التعبير التلقائي العفوي عن الأفكار حسب ترتيب ورودها على الذهن، وهو نمط ترى الدراسة أنه أقرب إلى طبيعة اللغة المنطوقة منه إلى اللغة المكتوبة المنمقة المعدة إعدادا.

٣-٣-٤ المنادى Vocative والعبارات الحشوية Expletives

لا يَعد هاليداي المنادى جزءا من الصيغة ولا البقية. ويرى أن له حرية موقعية كبيرة، فقد يقع في أول الجملة أو في وسطها أو في آخرها، وهو يقترن بالجملة أيا كانت صيغتها، ولكنه أكثر ورودا في الجمل الطلبية منه في الجمل الخبرية، ويقصد هاليداي بالحشو الكلمات والعبارات الدالة على الشتم واللعنات وهو يعدها خارج الصيغة والبقية كذلك، وتقع في المواقع نفسها التي من الممكن أن يقع فيها المنادى.[٢]

٣-٣-٥ المُركبات

[١] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م، جـ١، ص١١٩-١٢٠. "وزعم الخليل أن الفصل بين (إما) و(أو) أنك إذا قلت: (ضربت زيدا أو عمرا) فقد مضى صدر كلامك وأنت متيقن عند السامع، ثم حدث الشك بـ (أو)، فإذا قلت: (ضربت إما زيدا) فقد بنيت كلامك على الشك". المقتضب، ج٣، ص٢٨. والكتاب، ج١، ص٤٤٠.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 85.

يرى هاليداي أن وصف الجملة بأنها مكونة من كلمات أشبه بوصف منزل بأنه مكون من لبِنات دون إدراك الحوائط والغرفات بوصفها وحدات بنائية وسيطة.[١] تقع بين الجملة والكلمة وحدتان وسيطتان هما المركب (الاسمي والفعلي) وشبه الجملة (الجري والظرفي). يقصد هاليداي بالوحدات المركبة complexes وحدات ذات طبيعة تكرارية تتكون عن طريق الإرداف paratactic[٢] دون أداة، أو عن طريق الربط بالأداة أو الإبدال أو التقييد بقيد سابق أو لاحق ونحو ذلك. أي أنها تتكون من تكرار وحدة معينة، كالجملة أو الاسم أو الفعل أو الظرف، فالمركب الاسمي Nominal group مثلا يتكون من أسماء (قد تختلف أنواعها)، والمركب الفعلي Verbal group يتكون من أفعال (تختلف أنواعها: العامل المتصرف، والفعل المساعد، والفعل المعجمي).[٣]

قد يتكون المركب الاسمي من عنصر إحالي (كأسماء الإشارة)، وعنصر عددي دال على كمية محددة، مثل: (واحد، اثنين) أو غير محددة، مثل: (قليل، بعض) أو دال على ترتيب محدد، مثل: (الأول، الأخير) أو غير محدد، مثل: (سابق، تالٍ)، ومن عنصر مُصنِّف Classifier قد يكون اسما أو صفة، مثل: (مفتاح الشقة، مفتاح السيارة، القطار السريع)، وعنصر واصف Epithet (يصف الخصائص الموضوعية لشخص أو شيء، مثل: (مستدير، أزرق) أو يصف وصفا ذاتيا يُظهر الموقفية[٤]، مثل: (رائع،

---

[1] Ibid. P. 180.

[٢] (ربط المفردات أو العبارات أو الجمل بالاعتماد على موقعها في التركيب والاستغناء عن الأدوات، مثلا: "تعال انظر كذا" إزاء الربط بالأداة في نحو: "تعال وانظر كذا") معجم المصطلحات اللغوية، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

[3] Halliday, M. A. K. (2002b). *Linguistic Studies of Text and Discourse*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday, Vol. 2. Edited by Jonathan J. Webster), London & New York: Continuum. pp. 23-24.
Halliday, M. A. K (1978). *Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning.* U.S.A. University Park Press, pp.128-130.

[٤] يُسمِّي أحمد المتوكل هذا النوع من الصفات باسم "الصفات الوجهية" مثل: (رائع، فظيع). راجع: أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م. ص٣١.

سخيف)، والشيء أو الشخص الذي يمثل رأس المركب الاسمي، والمقيد اللاحق qualifier وهو شبه جملة أو اسم موصول يلحق الاسم الذي يمثل الرأس، مثل: (المقاومة الكهربية للأسلاك). لاحظ أن الصفة "السريع" في "القطار السريع" قد تكون "مُصنِفا" أي: نوع معين من القطارات، وقد تكون "واصفا" أي: القطار الذي يسرع. [١]

يقيم هاليداي موازاة بين المركب الاسمي والجملة من حيث المستوى التمثيلي والتواصلي والنصي؛ إذ يرى أن الاختلاف بينهما هو اختلاف في الدرجة لا النوع[٢]، وينتهج سيمون دِك نهجا مماثلا لذلك[٣]. وتتابعهما الدراسة في ذلك مع التفرد دونهما بتحليل علاقات النسبة التقييدية في داخل المركب الاسمي.

٣-٣-٦ الجملة الصغرى

يقسِّم هاليداي الجملة من حيث الإسناد إلى قسمين: جملة كبرى Major clause (لها بنية إسنادية) وجملة صغرى Minor clause (ليس لها بنية إسنادية). تحقِّق الجملةُ الصغرى الوظائف الكلامية الصغرى، وهي: التعجب (والتعبيرات الدالة على الدهشة والانفعال، وهي غير موجهة لشخص بعينه، وبعضها في الواقع ينتمي إلى اللغة الأولية Protolanguage مثل: (Aha!،Wow!) والنداء والتحية (السلام والترحيب والوداع والتهنئة) والتحذير (Careful!) والاستغاثة (Fire!،Help!) وهذه الوظائف قد تتحقق بالجمل الكبرى أيضا.[٤]

٣-٤ الإطار النظري المقترح

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 180-190.

[2] Ibid. P. 179.

[٣] أحمد المتوكل، التركيبيات الوظيفية، ص١٥٣-١٧٠

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 95.

يرتكز الإطار النظري المقترح على أساسين: الأول: المنحى الوظيفي الذي يعني ـ فيما يعني ـ أن واقع الاستخدام اللغوي هو مجال عمل النظرية النحوية والأصل الذي يحتكم إليه في قياس كفاءتها؛ ومن ثم لا تقبل الدراسة أيا من التفسيرات التي قدمها النحاة العرب تحت مصطلحات "المستتر وجوبا" و"المحذوف وجوبا" و"المضمر وجوبا"؛ فما لا وجود له في واقع الاستخدام، لا وجود له في النظرية المفسرة له. أما الأساس الآخر فهو ضرورة التمييز بين نحو الحوار ونحو السرد (سواء أكان السرد منطوقا أم مكتوبا).

٣-٤-١ تعريف الجملة

ترى الدراسة أنه لا حاجة لمصطلح "الكلام" في التحليل النحوي؛ لذا ستقتصر على مصطلح الجملة. وتعرفها بأنها "وحدة نحوية إسنادية تستقل بالإفادة". وتقصد بـ "وحدة نحوية" أنها جزء من مقياس للوحدات النحوية: (الجملة المركبة، فالجملة، فالمركب (الاسمي والفعلي) وشبه الجملة (الجري والظرفي)، فالكلمة. هذه الوحدات تربطها علاقة التكوين الهرمي (أي أن الوحدة العليا تتكون من الوحدة أو الوحدات التي هي أدنى منها). وبهذا تتميز الجملة عن "الكلام". وتقصد بـ "إسنادية" أنها تقوم على الإسناد الذي يقتضي: (أ) التركيب من مسند إليه ومسند (ب) والإفادة، فلا يكون إسناد دون حصول فائدة، هي العلاقة المعنوية بين طرفيه[١]. ولكن قد تقع الفائدة دون الإسناد. (كما سيأتي في: "العبارة"). وبهذا تتميز الجملة عن "المركب الفعلي والظرفي" و"شبه الجملة الجري والظرفي"؛ إذ العلاقة بين أجزائها ليست علاقة إسناد. وتقصد بـ "تستقل بالإفادة" تمييز الجملة عن "المركب الاسمي" الذي قد تكون العلاقة بين أجزائه علاقة إسناد؛ ومن ثم يكون مفيدا، لكنه لا يستقل بالإفادة.

[١] لا تستثني الدراسة من ذلك إلا حالة واحدة، حين تُنقل الجملة إلى العلمية.

لا توافق الدراسة الرضي في تمييزه بين إسناد مقصود لذاته وآخر غير مقصود لذاته؛ لأنها تذهب إلى أن كل إسناد في الجملة مقصود لذاته، بل كل نسبة في الجملة مقصودة حتى "النسبة الإضافية والتي بين التابع ومتبوعه"[١]، بل إن النسبة غير الأصلية (التي قد تسمى أيضا الفرعية أو الإضافية أو التقييدية) قد تفوق أحيانا في أهميتها النسبة الأصلية (التي قد تسمى أيضا الكلية أو الأساسية[٢]) عند تحليل الخطاب لا سيما الخطاب السياسي والإعلاني؛ لأن النسبة غير الأصلية تكون ـ حسب عبارة هاليداي ـ خارج دائرة التفاوض على المعنى non-negotiable كأنها مسلم بها أو مفروغ منها؛ لأنها غير ممثلة في صورة قضية قابلة للجدال في شأنها.[٣] وهذا ما أكده عبد القاهر من قبل حيث يقول:

"إذا حكيت عن قائل كلاما أنت تريد أن تكذبه فيه، فإن التكذيب ينصرف إلى ما كان فيه خبرًا، دون ما كان صفة. تفسير هذا: أنك إذا حكيت عن إنسان أنه قال: "زيد بن عمرو سيد"، ثم كذبته فيه، لم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيد ابن عمرو، ولكن أن يكون سيدا، وكذلك إذا قال: "زيد الفقيه قد قدم"، فقلت له: "كذبت" أو "غلطت". لم تكن قد أنكرت أن يكون زيد فقيها، ولكن أن يكون قد قدم. هذا ما لا شبهة فيه، وذلك أنك إذا كذبت قائلا في كلام أو صدقته، فإنما ينصرف التكذيب منك والتصديق إلى إثباته ونفيه، والإثبات والنفي يتناولان الخبر دون الصفة.[٤]

---

[١] شرح الشافية للرضي، ج١، ص٣١.

[٢] وردت مصطلحات (النسبة الأصلية والفرعية والجزئية والأساسية والكلية والتقييدية) في: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، د. ت. ط١٥، ٢٠٠٨م. ج٣، ص٢.

[3] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). *Construing experience through meaning: A language- based approach to cognition*. London: Continuum. pp. 238-9, 241. (Thompson, G. (2004). *Introducing functional grammar*. 2nd edition. London: Arnold. P. 230.)

[٤] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (~٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م. ص٣٧٦-٣٧٧.

ولا توافق الدراسة ابن هشام في زعمه أن جملة الصلة وجملة الشرط ليستا مفيدتين؛ وتذهب إلى أنهما مفيدتان غير مستقلتين، وكذلك كل جملة دخل عليها ما يُهيّئها لتكون جزءا من غيرها (كالحروف المصدرية، وحروف التعليل). وعلى هذا قد يكون من المغالطة أن يقال: (إن جملة "سفارتها مغلقة" في نحو: "ليبيا سفارتها مغلقة" ليست مفيدة)؛ لأن جملة "سفارتها مغلقة" قد هُيّئت بالضمير لتكون جزءا من غيرها، ولا ترد على هذه الصورة إلا إن كانت كذلك، ومن ثم لا يستقيم أن تُنتزع من التركيب، ثم يُنظر في استقلالها بالإفادة.

وبناء على هذا تخالف الدراسة محمد حماسة حيث يقول إن: "الجملة المستخدمة للخبر أو الحال أو للنعت أو للصلة أو للمضاف إليه لا تسمى عندنا جملة مستقلة، بل هي "مركب إسنادي" للإخبار أو للحالية إلى آخره"[1]؛ تخالفه لأن ما يذهب إليه يقتضي أن تفقد كل الجملة هويتها إن صارت جزءا من غيرها. وإن سلَّمت الدراسة جدلا بهذا في جملة الخبر في المثال السابق: "ليبيا سفارتها مغلقة" حيث لا يصح استقلال جملة الخبر: "سفارتها مغلقة"، فماذا يقال عن جملة الخبر "ما الحاقة" في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ﴾[2] التي يصح استقلالها؟

٣-٤-٢ مكونات الجملة

توافق الدراسة النحاة القدماء في أن المسند إليه والمسند[3] هما أقل ما تتكون منه الجملة. وترى أنها في الحالة القصوى قد تتكون ـ من حيث المبدأ ـ من الأداة والمسند

---

[1] العلامة الإعرابية، ص٦٠.

[2] (الحاقة:١-٢)

[3] تقتصر الدراسة على استخدام مصطلحي المسند إليه والمسند، ولا ترى حاجة لاستخدام مصطلحات المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل، وتوافق ما ذهب إليه (تقرير مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٤٥م.) و(مشروع وزارة التربية في تيسير النحو ١٩٥٧م.) راجع: محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م. ص٢٣٨، ٢٤١.

إليه والمسند ومتممين، ومقيدات الإسناد (المفعول لأجله والمفعول المطلق وظرفي الزمان والمكان والحال وتمييز النسبة[1] والمستثنى). ومن الواضح أن الحالة القصوى التي تجتمع فيها كل المكونات هي فرض نظري لا يتحقق في الواقع.

يقوم كل مكون بوظيفة في تركيب الجملة، فالأداة في العربية تقوم بدور يشابه دور العامل المتصرف في الإنجليزية، فهي تجعل القضية متصرفة، تجعلها شيئا يمكن الجدال في شأنه، بأن تُعطيها نقطة إحالة أو إسناد إلى حُكم المتحدث أو موقفه (قد، ربما، إنّ، ليت، لعل) أو إلى قطبي الإثبات والنفي (هو كذلك، هو ليس كذلك). يشارك الفعلُ الأداة في جعل القضية متصرفة بالإشارة إلى الزمان (كان، سيكون). كذلك تعطي الأداةُ الجملةَ أو العبارة صيغتها المميزة، وهي تحتل موقعا بارزا في صدر جملتها أصالة. وقد لاحظ تمام حسان أن "الجملة العربية تعتمد في الأعم الأغلب من صورها على الأداة فلا نكاد نجد إلا القليل منها مما يستغني عن الأداة" وقد حصر الجمل العربية في أربعة وعشرين نوعا، وجد أن تسعة عشر نوعا منها تتقدمها الأداة.[2] فهي تدل على الاستفهام، والنفي، مثل: (ما، لا، ليس)، في الحقيقة يُعد وجود أداة النفي أو عدمها نوعا من الموقفية، وفقا لهاليداي، وتدل على الموقفية دون النفي، مثل: (ربما، لعل، ليت، إنّ) فضلا عن وظائفها إن كانت جزءا من المركب الفعلي. (كما سيأتي عند الحديث عن المركب الفعلي).

أما المسند إليه فهو ـ كما يرى هاليداي ـ المكون الذي يعلِّق المتحدثُ عليه صحة قضيته: إثباتها أو إنكارها، أو يجعله مسئولا عن وظيفة الجملة بوصفها حدثا تواصليا. وهو لا يكون في العربية والإنجليزية إلا اسما أو مركبا اسميا أو ما يقوم مقام

---

[1] تعد الدراسة تمييز المفرد جزءا من مركب اسمي.

[2] تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، جـ١، ص١٧٥.

الاسم. وأما المسند في العربية فقد يكون أي وحدة نحوية: اسما أو مركبا اسميا أو فعلا أو مركبا فعليا أو ظرفا أو شبه جملة ظرفيا أو شبه جملة جريا أو جملة أو جملة مركبة.

اختارت الدراسة مصطلح "المتمم" بدلا من "المفعول به"؛ لأن "المتمم" هو عنصر اسمي يتمم معنًى في الفعل، فالأفعال: شرب وسقى وأكل، مثلا، تتوارد غالبا مع مفعولات معينة، ما لم يكن في الكلام مجاز. ولا يوجد المتمم إلا في وجود الفعل أو ما يقوم مقامه. ولا يكون للفعل أكثر من متممين، لا تقبل الدراسة إذن ما يذهب إليه النحاة العرب من أن الأفعال (أعلم، أرى، أنبأ، نبّأ، حدّث، أخبر، خبّر) تنصب ثلاثة مفاعيل؛ وذلك لسببين:

الأول أن هذه الأفعال ـ خلافا للأغلب الأعم في العربية ـ حين زِيدت بالهمز أو التضعيف تغير معناها، فالفعلان (رأى، وعلم) مثلا من أفعال القلوب، أما الفعلان المزيدان منهما (أرى، وأعلم) ـ وكذلك: أنبأ، ونبّأ، وحدّث، وأخبر، وخبّر ـ فمن أفعال القول.

السبب الآخر ـ وهو الأهم ـ أن جميع ما رواه النحاة من شواهد لهذه الأفعال جاءت فيه الأفعالُ مبنية للمجهول، ولم تقف الدراسة على شاهد واحد للصورة التركيبية التي يُنصب فيها ثلاثة مفاعيل، فيقال: ـ مثلا ـ أعلمتُ عمرا خالدا مسافرا. وقد لاحظ ابن الخباز هذا حيث يقول: "لم أظفر بفعل متعد لثلاثة إلا وهو مبني للمفعول" وقد رد خالد الأزهري كلامه محتجا بقوله تعالى: ﴿كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ [البقرة من الآية ١٦٧] وقوله تعالى: ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور﴾ [الأنفال:٤٣][١] لكن الرؤية في الآية الأولى يحتمل أن تكون بصرية، وعلى هذا تكون

---

[١] خالد بن عبد الله الأزهري (-٩٠٥هـ) شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م. ج١، ص٣٨٦-٣٨٧.

"حسرات" حالا[1]، أما الآية الآخرة فقال فيها صاحب الدر المصون: "والإراءة هنا حلمية واختلف فيها النحاة: هل تتعدى في الأصل لواحد كالبصرية أو لاثنين كالظنية؟ فالجمهور على الأول. فإذا دخلت همزة النقل أكسبتها ثانيا أو ثالثا على حسب القولين، فعلى الأول تكون الكاف مفعولا أول، و"هم" مفعول ثان. و"قليلا" حال، وعلى الثاني يكون "قليلا" نصبا على المفعول الثالث، وهذا يبطل بجواز حذف الثالث في هذا الباب اقتصارا، أي من غير دليل تقول: أراني الله زيدا في منامي، ورأيته في النوم، ولو كانت تتعدى لثلاثة لما حذف اقتصارا لأنه خبر في الأصل."[2]

أما المُقيّد فوظيفته ـ كما يشير اسمه ـ هي تقييد الإسناد بعلته أو مكانه أو زمانه...إلخ. ويتحقق في صورة الاسم المنصوب والمركب الاسمي وشبه الجملة الجري والظرفي، مثل: "أمسِ"، و"فجأة" في نحو: "أمس هطلت الأمطار فجأة.

وفي الحوار تبقى القضية ثابتة ما لم تؤخذ خطوة حاسمة لتغييرها ويمكن توضيح الأمر بالتمثيل بالحوار التالي[3]:

س –وهب الدوق ذلك الإبريق.

ص – حقا! أفعل ذلك؟

س – نعم، فعل.

ص – لا، لم يفعل.

---

[1] السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (–٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت. ج٢، ص٢٢١.

[2] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٥، ص٦١٥.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 71.

س – ظننتُ أنه قد فعل.

ص – ما فعل، لكنه سيفعل.

س – أسيفعل؟

ص – قد يفعل.

في الحوار السابق أثارت الجملة الأولى ذات الصيغة الخبرية المثبتة قضيةً، يجسدها ركنا الإسناد (وهب، الدوق) والمتمم (ذلك الإبريق) ثم لعبت الأداة والفعل دورهما في دفع المناقشة قُدُما للأمام عبر قطبي الإثبات والنفي، ومن خلال المراوحة ما بين صيغتي الإخبار والاستفهام، وبالكشف عن موقفية المتحدث (ظننت، قد يفعل) وبربط القضية بزمن بعينه (أفعل، أسيفعل). وفي كل ذلك ظل اهتمام المتحاورين منصبا على ركني الإسناد أنفسهما.

٣-٤-٣ وحدات التحليل النحوي

ترتبط وحدات التحليل ـ كما عرضت الدراسة في الفصل الأول ـ بعلاقة التكوين الهرمي، أي تتكون كل وحدة من وحدات التحليل من عدد من الوحدات التي تقع أسفل منها على المقياس التالي: (الجملة المركبة، فالجملة، فالمركب (الاسمي، والفعلي) وشبه الجملة (الجري، والظرفي) فالكلمة. وقد تناولت الدراسة في الفقرات السابقة الجملة، وستتناول في الفقرات التالية المركب الاسمي والفعلي وشبه الجملة الظرفي والجري.

٣-٤-٣-١ المُركب الاسمي في العربية

يذهب هاليداي ـ كما ذكرت الدراسة آنفا ـ إلى أن المركبات وحدات تكرارية، فالمركب الاسمي يتكون من أسماء والمركب الفعلي يتكون من أفعال...إلخ. وهذا التصور لا ينطبق انطباقا تاما على العربية، وربما لا ينطبق على حالات خاصة في

الإنجليزية. فقد يتكون المركب الاسمي في العربية من المصدر المؤول من "أن" والفعل، وفي الإنجليزية من (To+verb) ويخلو من الاسم، فضلا عن أن يتكون من أسماء. ومن أمثلة المركب الاسمي التي ذكرها هاليداي ولا ينطبق عليها تعريفه للوحدات المركبة ما يلي[١]:

1- To argue with the captain was asking for trouble.
2- That all this wealth might someday be hers had simply never occurred to her.

يُعرِّف محمد حماسة المركب الاسمي بأنه: "كل مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية؛ لتتمم معنى واحدا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصرا واحدا في الجملة، بحيث إذا كانت وحدها لا تكون جملة مستقلة". ويصدق ذلك على ما يأتي: التركيب الإضافي، والأسماء التي تحتاج إلى ما تحتاج إليه أفعالها[٢] والمصدر المؤول، والاسم الموصول، الاسم المميز (تمييز المفرد)[٣] ولا يعد من المركب الاسمي المركب المزجي، ولا الجمل التي نُقلت للعلمية كـ "جاد الحق" و"تأبط شرا" ولا ما رُكب من الأعداد أو الظروف أو الأحوال؛ "لأن المركب كله يعد كلمة واحدة يراد بها شيء واحد"[٤]. وتتساءل الدراسة هل يصح أن يقال إن المركب الاسمي "أنْ يتقن الإنسانُ عملَه" يتم معنى واحدا؟ إن صح ذلك، فالتعريف السابق ـ على طوله ـ ينطبق أيضا على وحدة نحوية أخرى هي شبه جملة الجار والمجرور.

ومن أنواع المركب الاسمي التي ذكرها حسام قاسم: المركب الإضافي، والاسم الموصول وجملة الصلة، والاسم الموصوف وصفته، والاسم المتعلق به شبه جملة بعده، كما في: (وقوفك تحت أشعة الشمس المباشرة في ظهيرة الصيف يعرضك لضربة

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). pp. 96-7.

[٢] يقصد بها: المصدر، واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وأمثلة المبالغة.

[٣] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص٥٩.

[٤] المرجع نفسه، ص٥٧.

الشمس. الوظيفة بغير مرتب تربي اللصوص.) والمصدر الناصب صراحة لما بعده (مراجعة الإنسان تجاربه السابقة تصحح قراراته اللاحقة)[1] معنى هذا أن حسام قاسم أضاف إلى أنواع المركب الاسمي "الاسم الموصوف وصفته" وهي لا تعد منها عند حماسة لعلاقة التبعية، وأضاف "الاسم المتعلق به شبه جملة بعده".

لا توافق الدراسة محمد حماسة على استبعاد المركبات الاسمية القائمة على علاقة التبعية؛ فما الفرق بين وظيفة المضاف إليه في المركب الاسمي "رجل عَلْمٍ" ووظيفة النعت في المركب الاسمي "رجل عالمٌ"؟ وما الفرق بين وظيفة المضاف إليه في المركب الاسمي "رجل العلم" ووظيفة النعت في المركب الاسمي "الرجل العالم"؟ الوظيفتان الأساسيتان للإضافة المعنوية هما تخصيص النكرات وتوضيح المعارف، وهما من وظائف النعت أيضا. وقد ذكر سيبويه أن النعت والمنعوت كالاسم الواحد[2] وأن "الصفة تمام الاسم، ألا ترى أن قولك: مررت بزيد الأحمر. كقولك: مررت بزيد."[3]

تعرِّف الدراسة المركب الاسمي بأنه "وحدة نحوية مركبة تقع موقعَ الاسم في الجملة، ولا تستقل بالإفادة" ويُقصد بـ "تقع موقعَ الاسم في الجملة" أنها يمكن وقوعها في المواضع التي يقع فيها الاسم المفرد، لا سيما موقع المسند إليه، وبهذا تتميز عن شبه الجملة. ويُقصد بـ "ولا تستقل بالإفادة" تمييزها عن الجملة حين تقع مسندا إليه على سبيل الحكاية، في نحو: "الغاية تبرر الوسيلة" مبدأ غير أخلاقي.

يمكن تقسيم العلاقات في داخل المركب الاسمي إلى نوعين: الأول علاقات بيانية، (تكون وظيفة المكون التالي فيها بيان إبهام في المكون السابق، أو أحدهما يبين

---

[1] حسام قاسم، المحتوى الدلالي للوظائف النحوية: مدخل ميسر إلى قواعد اللغة العربية، نادي القضاة، القاهرة، ط٣، ٢٠١٣م. ص١٣٤-١٣٧.

[2] الكتاب، ج١، ص٤٢١، ٤٢٢.

[3] الكتاب، ج١، ص٨٨.

مقدار الآخر أو عدده) كالتي بين اسم الإشارة والمشار إليه (هولاء الرجال) والاسم الموصول وصلته، والمميز والتمييز (في التمييز المفرد)، أما النوع الآخر فهو علاقات الإسناد غير الأصلي (حسب مصطلحات الرضي)، أو النسبة التقييدية، كالتي بين المضاف والمضاف إليه، كما في (نجاح المجتهدين، قتل الأبرياء، كتابي)، والنعت ومنعوته، كما في: (المواطنون الشرفاء)، والبدل المطابق والمبدل منه (القائد بيبرس). يسهل عقد مقارنة بين النسبة التقييدية كما هو معبَّر في الأمثلة السابقة والنسبة الأصلية لها حين يُعبَّر عنها بالجمل: (ينجح المجتهدون، يُقتل الأبرياء، لي كتاب، المواطنون شرفاء[1]، بيبرس قائد). وهذا النوع من العلاقات أكثر أهمية من النوع الأول، لأنه يمثل ـ كما أشارت الدراسة سابقا ـ ما يعتقده المتكلم متفقا عليه أو مسلما به، أو ما يتعمد طرحه كما لو كان كذلك.

يلاحظ في ترتيب مكونات المركب الاسمي أنه إن لم يتصدره الحرف المصدري، يتصدره الاسم دائما، ويمثل الاسم في هذه الحالة "الرأس" النحوي للمركب، أي أنه الذي يحمل العلامة الإعرابية الدالة على وظيفة المركب كله، سواء أكان هو "الرأس" دلاليا أيضا، كما في: اشترينا بضائعَ قليلة. أم لم يكن، كما في: اشترينا قليلا من البضائع.

٣-٤-٣-٢ المركب الفعلي في العربية

(أ) تعريفه

المركب الفعلي في العربية "وحدة نحوية تتألف من عدد من العناصر تتضافر معا للتعبير عن حدث وزمن وجهة Aspect مع الدلالة على الموقفية أو دونها، ولا يُشترط في العربية أن تكون جميع عناصر المركب الفعلي أفعالا، خلافًا لنحو هاليداي، وإنما يُشترط أن تتضمن فعلا معجميا Lexical verb (ما عدا فعل الأمر؛ إذ لا يكون

[1] أحد الفروق بين الخبر والنعت هو في نوع النسبة.

جزءا من مركب فعلي). قد يتكون المركب الفعلي في الصورة الدنيا من الفعل المعجمي فقط، وقد يتكون في الحالة القصوى من أربعة عناصر، كما في: (ما كان ليفعل، لم يكن ليفعل). يأتي المركب الفعلي في العربية منفصلا، كما في: يكاد التعب يفقدني الوعي. أخذت الثلوج تتساقط من أول الليل. ويأتي متصلا، كما في: التعب يكاد يفقدني الوعي. الثلوج أخذت تتساقط من أول الليل. يقول فندريس: "فالعقل يحس الفعلين وكأنهما وحدة رغم أنه يمكن وضع كلمة بينهما"[١] ويتابعه في هذا التصور تمام حسان[٢]

(ب) مكوناته

تدخل ثلاثة أنواع من العناصر في تكوين المركب الفعلي في العربية، هي (أ) الأدوات الدالة على النفي أو الموقفية أو عليهما (ب) الفعل المساعد (جـ) الفعل المعجمي. وهذا التكوين يثير السؤال التالي: هل في العربية أفعال مساعدة كالإنجليزية؟ للإجابة عن هذا السؤال يلزم التمييز بين الفعل المعجمي والفعل المساعد من حيث الخصائص والوظيفة (كما سيأتي في الجدول ٣(٢)). تقسِّم الدراسة كان وأخواتها وأفعال المقاربة والرجاء والشروع وفقا لوظائفها النحوية كالتالي:

"ليس": أداة نفي، وليست فعلا ماضيا؛ لعدم دلالتها على حدث وزمان، ولأنها لا تتصرف تصرف الأفعال. وهذا رأي ابن السراج وقد تابعه أبو علي الفارسي وآخرون.[٣] وهي "لنفي الحال في الجملة غير المقيدة بزمان وأما المقيدة فتنفيها على حسب القيد"[٤].

---

[١] اللغة، ص١٠٧.

[٢] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م. ص١٧٢.

[٣] راجع: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٨ م. ٣٦٢/١-٣٦٤، وشرح المفصل ج٤، ص٣٦٦.

[٤] همع الهوامع ٣٦١/١.

"كان" تكون **فعلا تاما** بمعنى "حدث" أو "وُجد"، وتكون **فعلا ناقصا** يدل على الزمان دون الحدث، "أما كونها ناقصة فإن الفعل الحقيقي يدل على معنى وزمان، نحو قولك: "ضربَ"، فإنه يدل على ما مضى من الزمان، وعلى معنى الضرب. و"كان" إنما تدل على ما مضى من الزمان فقط، و"يكون"، تدل على ما أنت فيه، أو على ما يأتي من الزمان، فهي تدل على زمان فقط. فلما نقصت دلالتها، كانت ناقصة.[1] وتكون **فعلا مساعدا**، كما في قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾. وتستخدم لصوغ أمر أو نهي من بعض أفعال السجايا، فيقال: كن جميلا. حيث لا يقال: *اجمُلْ.

"ظل، وما زال، وما برح، وما فتئ، وما انفك" تكون أفعالا ناقصة أو أفعالا مساعدة. "أصبح، وأضحى، وأمسى، وصار، وبات" لا تفارقها دلالة الصيرورة، وقد تفارق بعضُها الدلالةَ على الزمن المخصوص: الصباح، الضحى، المساء؛ ومن ثم تكون أفعالا معجمية تامة دالة على حدث هو الصيرورة والتغيُّر من حال إلى حال، وتكون أفعالا مساعدة أيضا؛ ولا تكون أفعالا ناقصة.

"حرى، واخلولق" لا تكون أفعالا مساعدة؛ لعدم صحة مباشرتها الفعل المعجمي دون "أنْ"، أي لا تكوِّن هي وهو مركبا فعليا. لا يختلف قولنا: "حرى أن يفعل" عن قولنا: "وجب أن يفعل" أو "حسُن أن تفعل". أما "عسى، وكاد، وأوشك، وكرب" فتكون أفعالا مساعدة؛ لصحة مباشرتها الفعل المعجمي دون "أنْ". وأما "أخذ، طفق، شرع، أنشأ، جعل، عَلِق، قام، غدا، راح" فتكون أفعالا مساعدة فتباشر الفعل المعجمي دون "أنْ"، وتكون أفعالا معجمية تامة.

يُخلَص مما سبق إلى أن الأفعال المساعدة هي: (كان، ظل، مازال، ما برح، ما فتئ، ما انفك، عسى، كاد، أوشك، كرب، أخذ، طفق، شرع، أنشأ، جعل، عَلِق، قام،

---

[1] شرح المفصل ٤/ ٣٣٥-٣٣٦.

غدا، راح) وهي تتحد بالفعل المعجمي، ويكونان مركبا فعليا يصح "وقوعه مسندا"؛ لهذا لا تعد الدراسة "ما دام" من الأفعال المساعدة.

لاحظت الدراسة أن الفعل لا يلي فعلا آخر في اللغة العربية إلا في حالتين: (أ) أن يكون الثاني منهما حالا، كما في: (محمد جاء يسرع) (ب) أن يكون الأول منهما فعلا مساعدا، كما في: (محمد كاد يسقط).

تقدم فكرة الفعل المساعد حلا سهلا لمشكلات الإعراب في حال دخول فعل على فعل آخر والثاني منهما ليس حالا، كما في قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾[1] وقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾[2] وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾[3]. يقول السمين الحلبي بعد أن عرض أوجه الإعراب الثلاثة المشهورة في المسألة: "قال الشيخ: وعلى كل واحد من هذه الأعاريب الثلاثة إشكال على ما تقرر في علم النحو." ثم يعرض اقتراح أبي حيان أن تكون "(كاد) زائدة، ومعناها مراد، ولا عمل لها إذ ذاك في اسم ولا خبر"[4] كل هذه الإشكالات تزول أن عددنا الفعل المساعد والفعل المعجمي مركبا فعليا مسندا إلى الاسم، دون الحاجة إلى تأويلات بعيدة أو افتراضات لا ترد في الاستعمال؛ والدليل على صحة جعل الفعلين مركبا فعليا أنهما

---

[1] سورة الجن: ٤.

[2] الأعراف: من الآية ١٣٧.

[3] التوبة: من الآية ١١٧.

[4] السمين الحلبي (أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت٧٥٦هـ)) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٣٣/٦-١٣٥. وراجع أيضًا: الفراء (أبا زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)) معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت ط٣. ١٩٨٣م. ٤٥٤/١، والأخفش الأوسط (أبا الحسن سعيد بن مسعدة (-٢١٥هـ)) معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٠م. ص٣٦٧ حيث زاد وجها إعرابيا آخر بجعل الفعل الثاني حالا، والنَّحَّاس (أبا جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (- ٣٣٨هـ)) إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م. ٢٣٩/٢.

فعل واحد من جهة المعنى، وربما كان هذا هو سبب ما لاحظه النحويون من أن خبر (كاد) لا يكون سببيا، أي: لا يصح أن يقال: (كاد محمد يقوم أخوه).

الجدول ٣(٢) الفروق بين الفعل المعجمي والفعل المساعد

	الفعل المعجمي	**الفعل المساعد**
الدلالة	يدل على حدث وزمن	يدل على زمن وجهة، كالاستمرار والقرب الصيرورة والشروع في حدث معين.
علاقة الفعل بالمسند إليه والمتمم	يدل معجميا على ما يصلح مسندا إليه أو متمما له	لا تربطه علاقة بهما، وإنما يرتبط دلاليا بالفعل المعجمي التالي له[١].
بناء الفعل للمجهول	يُبنى عادة	لا يُبنى عادة.
الدلالة على الجهة	يدل بصيغته الصرفية (فَعَلَ، يفعل، فعَّل، يتفعَّل، افتعل...)	يدل بمعناه على الجهة: الاستمرار (ظل، ما زال...)، القرب (كاد، كرب، أوشك) الشروع (أخذ، طفق...).. إلخ؛ إذ لا تتعدد صيغه الصرفية.
الصيغ الصرفية	له صيغ صرفية كثيرة عادة	له صيغة واحدة.

[١] إن كان الفعل المساعد يدل على الاستمرار، لا يصاحب فعلا معجميا ينقضي دفعة واحدة، فلا يقال: *"ظل يموت طوال الليل". "ما زال الحجر يخرّ". (وقد لا حظ أحمد المتوكل أن الفعل المساعد إن كان يدل على الشروع، لا يصاحب إلا فعلا معجميا يدل على حدث أو فعل من جهة المعنى، أي: يمارسه فاعله، ويصلح جوابا للسؤال: ماذا يفعل؟". فلا يقال: *أخذ خالد يمرض. *"كاد بكر يحزن") *"بدأ سعد يكرُم". *"شرعت هند تعظُم".

التصرُّف	تام التصرف	بعض الأفعال المساعدة **جامد** يلزم صورة الماضي: (كرب، عسى، ومعظم أفعال الشروع). وبعضها **ناقص التصرف** يأتي منه الماضي والمضارع: (مازال، ما برح، ما فتئ، ما انفك، كاد، أوشك، طفق، جعل).
الافتقار إلى فعل معجمي	لا يفتقر إليه، ولا يباشره إلا إن كان الثاني منهما حالا.	يفتقر إلى الفعل المعجمي.

(جـ) وظائف المكونات

(١) وظيفة الفعل المعجمي

يضطلع الفعل المعجمي بوظائف منها:

(أ) الدلالة ـ معجميا ـ على حدث ووصف، مثل: (سافَر)

(ب) الدلالة ـ معجميا ـ على ما يصلح مسندا إليه أو متمما لمعناه، فالفعل "مات" يُسنَد إلى إنسان حي، و"نفق" يُسند إلى حيوان حي، و"أكل" يتممه ما يصلح للأكل، وإلا فالاستعمال مجازي، أو خطأ. [١]

(جـ) الدلالة ـ بما يتصل به من سوابق ولواحق ـ على العدد: (مفرد، مثنى، جمع) والنوع (مذكر، مؤنث) والشخص (متكلم، مخاطب، غائب). فأحرف المضارعة ـ مثلا ـ تدل على الشخص[٢] والعدد والنوع، يقول ابن جني: "تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل؛

[١] الخصائص، ج٣، ص١٠٠.

[٢] مناهج البحث في اللغة، ص٢٢٣.

إذ كن دلائل على الفاعلين: من هم، وما هم، وكم عِدّتهم، نحو: أفعل، ونفعل، وتفعل، ويفعل"[1]

(د) الدلالة ـ بصيغته ـ على البناء للمعلوم أو المجهول، (إن كان مبنيا للمجهول فهذا يعني أنه غير مسند إلى فاعله الحقيقي قطعا)

(هـ) الدلالة ـ بصيغته ـ على الجهة، ويقصد بها: "حالة الحدث، كما تُعبِّر عنها صيغة الفعل، من حيث مدته أو كيفية حصوله. وتختلف اللغات في إظهار هذه الحالة، وإن يكن كثير منها يتوصل إلى ذلك بالزيادات والكلمات المساعدة." ومن الجهات: الاستمرار والانقطاع والتكرار والشروع والتدرج[2] ومن دلالة صيغة الفعل على الجهة في العربية دلالة (يفعل) على التجدد، و(فعّل) على الكثرة أو التكرار، و(يتفعّل) على التدرج والتمهل والتكلف.

(و) الدلالة ـ بصيغته ـ على الزمن، كدلالة (كَتَبَ) على المضي، و(يكتب) على الحال، ومن الممكن ألا يدل الفعل المعجمي على زمن كما في: (كان يكتب) حيث يدل الفعل المساعد (كان) على الزمن الماضي ويدل (يكتب) على الجهة فقط: الاستمرار أو التجدد أو التكرار.

(٢) وظيفة الفعل المساعد

أما الفعل المساعد فيضطلع بوظائف منها:

(أ) الدلالة على الزمن، وهي دلالة لا تفارقه. يقول سيبويه عن دور "كان":"لأنه الأصل لما مضى وما سيقع."[3] "تقول: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة،

---

[1] الخصائص، ج١، ص٢٢٦.

[2] رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، مادة (Aspect)

[3] الكتاب، ج١، ص٢٢٤.

وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى."[1] ويقول المبرد: كان "في وزن الفعل وتصرفه، وليست فعلا على الحقيقة، تقول: (ضرب زيدا عمرا)، فتخبر بأن فعلا وصل من زيد إلى عمرو، فإذا قلت: (كان زيد أخاك) لم تخبر أن زيدا أوصل إلى الأخ شيئا، ولكن زعمت أن زيدا أخوه فيما خلا من الدهر"[2]

(ب) الدلالة ـ بمعناه المعجمي ـ على الجهة، كدلالة (كاد، وأوشك) على القرب، (وما زال، وظل) على الاستمرار.

(ج) الدلالة ـ بما يتصل به من سوابق ولواحق ـ على العدد: (مفرد، مثنى، جمع) والنوع (مذكر، مؤنث) والشخص (متكلم، مخاطب، غائب)

لا توافق الدراسة تمام حسان في قوله "نعتبر النواقص والمقاربات أدوات لا أفعالا، برغم إمكان دخولها في جدول تصريفي؛ لدخولها على الجملة المفيدة بنفسها، وإفادتها وظيفة نحوية قريبة من وظائف الأدوات من مثل: "إن" و"لا"."[3]؛ فمما يعضد أن أفعال الشروع والمقاربة والرجاء أفعال مساعدة:

(١) افتقارها دائما إلى فعل معجمي (المضارع). ولو كانت أفعالا معجمية حقيقةً، لما افتقرت إلى أفعال أخرى.

(٢) أن بعضها قد يتصل بالفعل المعجمي دون توسط "أن"، والأفعال المعجمية لا يدخل بعضها على بعض ذاك الدخول (إلا في الحالة المذكورة سابقا)؛ لهذا السبب لا تعد الدراسة الفعل "قرب" فعلا مساعدا، وإن كان بمعنى "كاد"؛ لأنه لا يصح: *(الشمس

---

[1] الكتاب، ج١، ص٤٥.

[2] المقتضب، ج٣، ص٣٣.

[3] مناهج البحث في اللغة، ص٢٠٩. وراجع كذلك ص٢١٤ حيث يقول: "وإتيان هذه "النواسخ" لأداء وظيفة التعبير عن الجهة هو الذي دعانا فيما سبق إلى اعتبارها أدوات".

تقرب تغرب). ويصح: (الشمس تكاد تغرب). وكذلك لا تعد الدراسة "لعل" فعلا مساعدا، وإن كانت بمعنى "عسى" وتبادلتا المواضع أحيانا، لأنه لا يصح: *(الغائب لعل يأتي).

(٣) أن أفعال الشروع إن لم يلها الفعل المضارع لم تدل على معنى الشروع.

(٤) أنها تدل على الجهة بمعناها المعجمي، أما الفعل المعجمي فيدل على الجهة بصيغته الصرفية.

(٥) أنها لا تدخل ـ كما لاحظ أحمد المتوكل ـ إلا على أفعال دالة على "أحداث" أو "أعمال" بالمعنى الوظيفي، فلا يقال مثلا: شرع خالد يمرض. أو كاد بكر يحزن.[١]

(٣) وظيفة الأداة

أما الأدوات في المركب الفعلي فتقوم بأربع وظائف هي:

(أ) مشاركة الفعل في تكوين الزمن، مثل: (لم يفعل، لمّا يفعل، لن يفعل، قد يفعل، سيفعل، سوف يفعل، سيظل يفعل)

(ب) التعبير عن النفي، مثل: (ما فعل، لم يفعل، لمّا يفعل، لن يفعل)

(جـ) التعبير عن الموقفية، مثل: دلالة لام الجحود ـ بمعونة لم، أو ما ـ على نفي القصد والإرادة، ودلالة "قد" على التوقع (قد يفعل)، أو دلالتها على التحقيق (قد فعل) ودلالة "لمّا" على التوقع (لأنها تعادل لم يفعل ومن المتوقع أن يفعل).

(د) التعبير عن الجهة، مثل: دلالة "قد" على التقريب (قد فعل). وهذه وظيفة نادرة؛ فلم تظفر الدراسة بغير هذا المثال.

---

[١] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٦ م. ص٢٧-٣٥.

(د) الترتيب في المركب الفعلي

تلاحظ الدراسة في ترتيب مكونات المركب الفعلي أن الفعل المعجمي هو آخر مكون دائما،(على العكس من الاسم الذي يتصدر دائما في أحد نوعي المركب الاسمي)، وأن الفعل المساعد يسبق الفعل المعجمي دائما، وأن أداة النفي قد تسبقهما جميعا (ما كان يفعل، ما كان ليفعل، لم يكن ليفعل) وقد تسبق الفعل المعجمي وحده (كان لا يفعل، يوشك ألا يفعل)، أي أنها تسبق الفعل المعجمي دائما، وأن أدوات الموقفية، مثل: (السين، وسوف، وقد) تسبق الفعل المعجمي دائما، فإن وُجد فعل مساعد فالغالب أن تسبقه أيضا(سيظل يفعل، قد كان يفعل) وربما توسطت بين الفعلين (كان قد فعل) كما تلاحظ أن هذا الترتيب لا يتأثر باتصال المركب الفعلي وانفصاله. تستخلص من هذا أن الرتبة في المركب الفعلي ليست عشوائية، وإنما لها ضوابط تحكمها.

٣-٤-٣-٣ شبه الجملة

ينقسم شبه الجملة إلى قسمين: شبه جملة جريّ (جار ومجرور) وشبه جملة ظرفي (ظرف ومضاف إليه). أما شبه الجملة الجريّ فهو "وحدة نحوية مركبة يمثِّل الرأس فيها حرف الجر، وهو يتصدرها دائما، وهي لا تقع مسندا إليه ولا تستقل بالإفادة" وأما شبه الجملة الظرفي فهو "وحدة نحوية مركبة يمثِّل الرأس فيها الظرف، وهو يتصدرها دائما، وهي لا تقع مسندا إليه ولا تستقل بالإفادة". توافق الدراسة الآراء القائلة [١] إنه لا متعلق لشبه الجملة الواقعة خبرا، أو نعتا أو حالا؛ لسلامته من التقدير الذي لا يتطلبه المعنى، ولاتساقه مع المنهج الوظيفي.

٣-٤-٤ الحذف في الجملة

---

[١] راجع (تقرير لجنة وزارة المعارف في تيسير النحو والصرف والبلاغة ١٩٣٨م) في: محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات. ص٨٧.

تعد الدراسة الإسناد صفة جوهرية في الجملة، إن فقدته لم تعد جملة، بخلاف صفات أخرى عارضة كالصغر والكبر، والطول والقصر، والبساطة والتركيب، والأصالة والتبعية...إلخ. والإسناد يقتضي وجود المسند إليه والمسند، فإن كان أحدهما محذوفا لاختصار ونحوه، وأمكن تقديره، واستقام الكلام به، وكان مما يقع في الاستخدام، فالتقدير مقبول في هذه الحالة، وإلا فلا. وعلى هذا الأساس تتابع ابن مضاء في تقسيمه للمحذوفات إلى ثلاثة أقسام: أ- محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، فحذف وهو مراد، وإن ظهر تم الكلام به، والحذف أوجز وأبلغ. ب- محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام، وإن ظهر كان عيبا، كقولك: (أزيدا ضربته) جـ- مضمر إذا ظهر، تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره، كالعامل في المنادى.[١]

٣-٤-٥ نحو الحوار ونحو السرد[٢]

٣-٤-٥-١ الحذف في جواب الاستفهام

قد يقال إن الأصل في الكلام هو الذكر لا الحذف، وهذا ينطبق على اللغة المكتوبة غير الحوارية انطباقا واضحا؛ إذ يكون عبء التواصل ملقى على اللغة وحدها، أما في حالة اللغة المنطوقة (خاصة الحوار dialogue) فتقل درجة انطباق هذا الأصل؛ إذ تنهض لغة الجسد وخصائص الصوت (الدرجة والطبقة والإيقاع والنبر والتنغيم والسكت والوقف والتلعثم...إلخ) بحمل جزء كبير من المعنى.

يلاحظ المتتبع لمواضع الحذف الجائز عند النحاة العرب القدماء أن كل جواب استفهام لم يأت على الصورة المكتملة للجملة عدوه من الحذف الجائز. فعلى سبيل

---

[١] ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت. ص٧٨-٨٠.

[٢] راجع: محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٠م. ص٣١، ٦٣-٦٦، ١٣٧-١٥٠، ١٦٦، ١٧٣؛ حيث يستقصي دراسة الفروق والنحوية بين اللغتين المكتوبة والمنطوقة.

المثال يعد من الحذف الجائز أن يقال: "دنف" في جواب السؤال: "كيف زيد؟"[1] ومن الواضح أن الحذف في الحوار ـ خاصة جواب السؤال ـ قد عومل بوصفها سمة طارئة على الكلام، وأن الأصل عندهم أنه لا سبيل للتعبير عن معنى مفيد تام إلا بالجملة، فإن كان جواب الاستفهام حرفا من حروف الجواب (نعم، لا، بلى، أجل) قدروا معه الجملة، لكن من المعلوم أن الأصل في الكلام كله ـ لا الحوار فقط ـ هو التواصل لا إكمال البنى النحوية الافتراضية، فالقواعد ليست غاية في ذاتها، وإنما وسيلة لتحقيق التواصل على أكمل وجه، والواقع اللغوي يشهد بأنه قلما يخلو حوار من حذف في العربية وفي الإنجليزية، فالحذف أحد الخصائص النحوية للحوار، وما يحتاج إلى تفسير هو مجيء جواب الاستفهام على صورة الجملة، وقد توقف البلاغيون والمفسرون عند قول موسى عليه السلام في الجواب: ﴿هي عصاي﴾[2] لتفسير الذكر؛ لأن الأصل هو الحذف في هذا الموضع.

الحوار نص متلاحم وليس مجموعة من الجمل المتتابعة المستقلة، والحذف ـ كما يرى هاليداي ـ هو أحد وسائل تلاحم النص وسبكه[3]، يتعاون شخصان (أو أكثر) على إنتاج الحوار، ينسجان خيوطه معا إذا جاز التعبير؛ لهذا لا توافق الدراسة عبد القاهر الجرجاني، حيث يقول: "وتقول للرجل: مَنْ هذا؟، فيقول: زيدٌ، يريد هو زيد، فتجد هذا الإضمار واجبا؛ لأن الاسم الواحد لا يُفيد، وكيف يُتصوَّر أن يفيد الاسم الواحد، ومَدَارُ الفائدة على إثبات أو نفي، وكلاهما يقتضي شيئين: مُثْبَتٌ ومُثْبَتٌ له، ومَنْفيٌّ

---

[1] ابن عقيل، عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (-٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، ج١، ص٢٤٤.

[2] (طه: من الآية ١٨). راجع: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م. ج١، ص٥٩.

[3] Halliday, M. A. K. & Hasan, R. (1976). *Cohesion in English.* London: Longman. pp. 142-222.

ومنفيٌّ عنه؟"[1]؛ لأن المتحاورين يبني كل منهما كلامه ـ في الغالب ـ على كلام صاحبه، "ألا ترى أن الرجل يقول: (من رأيت؟) فتقول: (زيدا) على كلامه فيصير هذا بمنزلة قولك: (رأيت زيدا وعمرا)، يجرى على الفعل، كما يجرى الآخر على الأول بالواو. ومثل ذلك قولك: (أرأيت زيدا؟)، فتقول: (لا ولكن عمرا مررت به). ألا ترى أنه لو قال: (لا ولكن عمرا)، لجرى على أرأيت... فإنما تحمل الاسم على ما يحمل السائل"[2]

٣-٤-٥-٢ الحضور والغياب

ترى الدراسة أن اللغة العربية تُمَيِّز بين الحضور (التكلم والخطاب) والغياب تمييزا واضحا، يتجلى في (أ) أن الأفعال الدالة على التكلم والخطاب (خبرا وأمرا ونهيا وعرضا وتحضيضا، مثل: أجلسُ، اجلسْ، لا تجلسْ، ألا تجلسُ)، إن كانت لازمة، تستقل بالإفادة، وأن نظائرها الدالة على الغياب (في الخبر، والأمر، والنهي، مثل: جلسَ، ليجلسْ، لا يجلسْ) لا تستقل بالإفادة.

(ب) وأن ضمائر التكلم والخطاب لا تحتاج إلى تفسير، بخلاف ضمائر الغيبة. قال صاحب الارتشاف: "ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة، وضمير الغائب يحتاج إلى مفسر والأصل في مفسره أن يكون متقدما عليه"[3]، قارن بين استعمال الأفعال: (تكلمنَ، تحابّوا، تماديا) أفعالَ أمرٍ تارة وأفعالا ماضية تارة أخرى.

---

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (~٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط١، ١٩٩١م. ص٤٢٢.

[2] الكتاب، ج١، ص٩٢-٩٣.

[3] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٩٩٨ م. ج٢، ص٩٤١.

(جـ) وأن أسماء الأفعال ـ وإن كانت جميعا فيها إفصاح عن انفعال المتكلم ـ فإن معظم ما يكون منها للطلب، مثل: (صه، مه، آمين) أو يكون عن المتكلم، مثل: (أفٍ، وي، آه) يستقل بالإفادة، بخلاف ما يكون عن غير المتكلم، مثل: (شتان، هيهات، سرعان).

(د) وأن أمر المخاطب يكون في الغالب الأعم بفعل الأمر، أما أمر الغائب فيكون بلام الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[1] قال المبرد: "فاللام في الأمر للغائب ولكل من كان غير مخاطَب، نحو قول القائل: (قم ولأقمْ معك) فاللام جازمة لفعل المتكلم".[2]

يرى ماكارثي أن بعض الجمل التي تبدو غامضة، ومحذوفا بعض أجزائها الضرورية (تبعا للتحليل النحوي القائم على الجملة)، كالجملة التالية:

"Thought it was Jim but couldn't be sure."

لن تكون غامضة وستكون جيدة الصياغة، إن وضعت في سياق ما؛ لذلك يطلق (Quirk، 1985) على ما بها من حذف اسم "الحذف السياقي"، حيث يوجد سياق معين تكون فيه هوية الفاعل واضحة[3]؛ لذا "يجب أن نعي أننا لم نترك شيئا ضروريا؛ حيث إن الفاعل موجود أمام المستمع، أو إنه ـ بكل بساطة ـ واضح أو حاضر في السياق؛ ولذلك فقد نرغب في إعادة طرح لفهمنا الحذف في القواعد ذات السياق الاجتماعي."[4] بناء على ما سبق ينبغي أن يعكس النحو العربي هذا التمييز الذي تقيمه اللغة العربية بين الحضور والغياب.

٣-٤-٥-٣ العبارة

---

[1] (الزخرف: من الآية ٧٧)

[2] المقتضب، ج٢، ص٤٤.

[3] المرجع نفسه، ص٨٣.

[4] المرجع نفسه، ص٨٤.

ستستخدم الدراسة مصطلح "العبارة" بمعنى أوسع بكثير من نظيره عند مهدي المخزومي، ولن تستخدم مصطلح "شبه الجملة" عند برجشتراسر أو أحمد المتوكل؛ لكيلا لا يلتبس مفهومه بالمفهوم المستقر له، ولن تستخدم كذلك مصطلح "الجملة الصغرى" الذي يقدمه هاليداي، ولا مصطلحات "الجملة غير الإسنادية" أو "الجملة الموجزة" أو "الجملة الناقصة"؛ لأن الدراسة تشترط في الجملة الإسناد وهو يقتضي التركيب.

يُقصد بمصطلح العبارة لغة: "الكلام الذي يُبيَّن به ما في النَّفس من معَانٍ. يُقَال هذا الكلام عبارة عن كذا: معناهُ كذا"[1] وتقصد الدراسة بمصطلح العبارة "كل وحدة نحوية غير إسنادية تؤدي وظيفة تواصلية معينة." قد تتكون العبارة من كلمة واحدة إن كانت تقوم بوظيفة تواصلية مستقلة (مثل لفظ الجلالة: الله، في التعجب)، أو أحرف الجواب، مثل: (نعم، لا، أجل، بلى) فهي تنهض وحدها بالدلالة على التصديق والوعد والإعلام[2]. وقد تتكون العبارة من كلمات عدة، ما دامت لا تتضمن مسندا إليه ومسندا. وتضم الوظائف التواصلية التي تؤدَّى بالعبارة غالبا: التعجب والنداء والتحية (السلام والترحيب والتوديع) والتحذير والاستغاثة والقَسَم والإغراء والندبة والمدح والذم. وهذه الوظائف بعضها قد يؤدى بالعبارة أو بالجملة، وبعضها لا يؤدى إلا بالعبارة، كالنداء. ويندرج تحت مفهوم العبارة ما يلي:

(١) كل الأفعال الدالة على التكلم والخطاب[3]، خبرا وأمرا ونهيا واستفهاما وعرضا وتحضيضا وتنديما. مثل: (أفعلُ، افعلْ، لا تفعلي، متى تفعلون، هلا تفعلان) دون أي

---

[1] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

[2] المغني، ص٣٩٨.

[3] راجع في مسألة تقدير الضمائر المستترة (تقرير لجنة وزارة المعارف في تيسير النحو والصرف والبلاغة ١٩٣٨م) و(تقرير مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٤٥م.) و(مشروع وزارة التربية في تيسير النحو ١٩٥٧م.) راجع: محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات. ص٩٠، ٢٣٥. ٢٣٨، ٢٤٠.

تقدير؛ فهذا لا يكون إلا في حوار حاضر فيه المسند إليه بنفسه، ولا حاجة للتعبير عنه لغويا. (قد تقع الأفعال الدالة على التكلم والخطاب مسندا في الجملة.)

(٢) كل أسماء الأفعال والأصوات الدالة على الطلب[١] (صه، مه، آمين، كخ) أو التكلم (أفٍ، وي، آه)

(٣) المصادر القائمة مقام أفعالها، خبرا، وأمرا، ونهيا، واستفهاما، ودعاء، سواء أكانت مرفوعة أم منصوبة.

(٤) المصادر والأسماء المستعملة في السلام والوداع والترحيب والتهنئة (سلام، سلاما، أهلا وسهلا، وداعا، مرحبا، مبارك، هنيئا، عقبى لكم، صباح الخير...إلخ) سواء أكانت مرفوعة أم منصوبة.

(٥) المصادر والأسماء المستعملة في التعجب والتنزيه والزجر والوعيد، والمصادر المثناة، كما في: (سبحان الله، معاذ الله، حاشا لله، ويل له، وويحك، لبيك، سعديك)

(٦) العبارات الدالة على الوجود، مثل: (هل من سبيل؟ هل من ماء؟) في الاستفهام، (لا سبيل (لك)[٢]. لا ماء.) في الجواب والإخبار. (ألا ماء. ألا نصير.) في التمني. "والإشارة إلى الشيء بالنطق باسمه كافية في الدلالة على وجوده"[٣]. ويلحق بذلك "إذا

---

[١] لا توافق الدراسة تمام حسان في أن الخوالف كلها من الجمل الإنشائية الإفصاحية غير الطلبية؛ لأنها تضم أسماء الأفعال والأصوات الدالة على الطلب مع إفصاحها عن انفعالٍ أو دونه، فلا يُتخيَّل: أن (حي على الصلاة) في الأذان، و(صه) هي مجرد إنشاء إفصاحي لا طلب فيه. راجع: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م. جـ ١، ص ١٧٦، وتمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م جـ ٢، ص ٣٠٥. وكذلك تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط ١٩٩٤م. ص١٢٤، ٢٤٤. وتمام حسان، الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١م. ص١١٣.

[٢] لا تعد الدراسة (لك) خبرا، ولا تقدّر خبرا، هو (موجود، أو كائن)؛ لأن الكلام تام، ولا حاجة لتقدير.

[٣] التطور النحوي، ص١٢٦.

الفجائية" والاسم الذي بعدها. ولولا والاسم بعدها، من حيث دلالتهما على الوجود وعدم احتياجهما لتقدير، وإن لم تستقلا نحويا بالإفادة.

(٧) أساليب النداء والاستغاثة والندبة والتحذير والإغراء والقسم، في نحو: (يمين الله، لعمرك، والله) والتعجب[١]، ما لم تتضمن ركني إسناد ظاهرين دون تقدير.

(٨) ما أغنت فيه النسبة التقييدية عن النسبة الأصلية، نحو: (شربي الشاي ساخنا).

وقد يقال إنه دون تقدير يصعب التمييز بين معنى المرفوع والمنصوب، والجواب عن هذا بأمرين: الأول ـ خاص بالمصادر ـ وهو أن منها ما ورد عن العرب مرفوعا ومنصوبا والمعنى واحد، ومنها ما لا يظهر معه الفعل مطلقا[٢] ومنها ما لا فعل له أصلا كالويل والويح.[٣] والأمر الثاني أن المرفوع ما كان محدثا عنه أو به، والنصب في غير ذلك ولا حاجة للتقدير. ومن هذا المنطلق لا تقبل الدراسة أيضا التقدير في أسلوب الاختصاص؛ لأن نصب الاسم يكون دليلا على أنه من تمام الضمير السابق له، وليس من تمام الجملة، وإلا لجاء مرفوعا، إضافةً إلى أن النحاة لم يلتفتوا إلى دور التنغيم في هذا الأسلوب، حيث تتعاون "النغمة المستوية" مع النصب في بيان أن الاسم المنصوب من تمام الضمير الواقع قبله، مثلما تتعاون "النغمة الهابطة" مع الرفع في بيان أن المرفوع هو تمام الجملة.

المخالفة بالنصب هنا لا تختلف كثيرا عن المخالفة في حالة النعت المقطوع الذي يقدّر له النحاة تارة ناصبا وتارة أخرى رافعا، وما تراه الدراسة هو أنه لا حاجة للتقدير في الحالتين؛ لأن المخالفة الإعرابية هنا هي وسيلة إبراز نحوية لكسر اطراد الكلام على وتيرة واحدة لمعنى، تشبه "النبر" من حيث هو وسيلة إبراز صوتية. تقوم المخالفة إذن

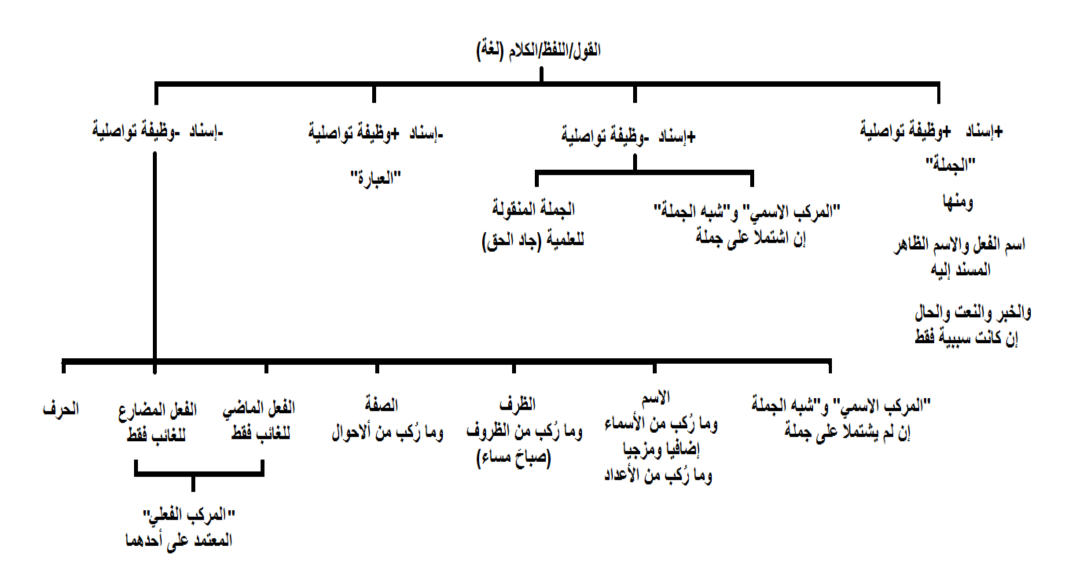
---

[١] تعد الدراسة التعجب بصيغتيه القياسيتين وأسلوبي المدح والذم من الجملة لا العبارة.

[٢] شرح المفصل لابن يعيش، ج١، ص٢٧٩، ٢٨٢.

[٣] المرجع السابق، ج١، ص٢٩٦.

بكسر الإيقاع الإعرابي - إن جاز التعبير - لتنبيه السامع إلى معنى معين، وهي تشبه من هذه الزاوية "الالتفات" البلاغي، فقد ذهب الزمخشري إلى أن وجوده في الكلام: "أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء من إجرائه على أسلوب واحد"[1]



الشكل (٣-١) ملخص للعلاقة بين وحدات التحليل النحوي والإسناد والوظائف التواصلية.

٣-٤-٦ أنواع الجملة

تنظر الدراسة إلى الجملة من ثلاث زوايا، فإن نظرت من زاوية أن الجملة رسالة، وجدت فرقا بين جملتي (محمد يقوم) و(يقوم محمد)[2]، وإن نظرت من زاوية أن الجملة تمثيل للواقع الخارجي[3]، لم تجد فرقا بينهما؛ فكلتاهما تشير إلى الفعل نفسه، وإلى

---

[1] بغية الإيضاح، ج١، ص١١٨.

[2] راجع الفصل السابق

[3] راجع الفصل الرابع

فاعل الفعل نفسه. وإن نظرت من زاوية أن الجملة حدث تواصلي، لم تجد فرقا بينهما، في المسند إليه أو في المسند أو في الإسناد.

تقسِّم الدراسة الجملة إلى قسمين فقط باعتبار المسند فيها: القسم الأول ما كان المسند فيه فعلًا (وتنتمي إليه الجملتان السابقتان) وما كان المسند فيه غير فعل. وممن اعتمد على هذا التقسيم فندريس وبرجشتراسر وإبراهيم أنيس[١]، ومهدي المخزومي حيث يقول: "الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا، وبعبارة أوضح، هي التي يكون فيها المسند فعلا؛ لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها"[٢] وعلى الرغم من موافقة الدراسة له في الإطار العام للتقسيم فهي تخالفه في اعتماده على "التجدد" وحده؛ لأن هذا يستبعد الفعل الماضي، وتذهب إلى أن "الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على الحدوث"[٣] وقد يدل على التجدد أو لا يدل. أما الجملة الاسمية عنده "فهي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد، أو بعبارة أوضح: التي يكون فيها المسند اسما"[٤]. مرة أخرى تخالفه الدراسة في قوله: "التي يكون فيها المسند اسما"، كما تخالف فندريس في قوله: "والجملة الاسمية تتضمن طرفين: المسند إليه والمسند، وكلاهما من فصيلة الاسم"[٥] لأن هذا لا يفسح مجالا لأشباه الجمل الدالة على الوجود أو الاختصاص، كما في: (الكهف عند سفح الجبل) و(لقليل من الثعابين سم قاتل) مع دلالتها على الثبوت وعدم التجدد.

[١] إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، د. ت. ص٢٥٩-٢٦٩.

[٢] مهدي المخزومي، في النحو العربي، ص٤١.

[٣] يقول فندريس: "موضوع الجملة الفعلية أن تأمر بحدث أو أن تقرر حدثا أو أن تتخيل حدثا". اللغة، ص١٦٢-١٦٣.

[٤] المرجع السابق، ص٤٢.

[٥] اللغة، ص١٦٣.

ينبغي هنا أن تستبق الدراسة بعض ما سيأتي مفصلا في الفصل التالي؛ لتبيّن الأساس الوظيفي لهذا التقسيم. تضطلع الجملة حينما يكون المسند فعلا بوظيفة واحدة هي الدلالة على الحدوث: (حدوث فعل خارج النفس أو في داخلها في زمن ما). وتضطلع الجملة حينما يكون المسند غير فعل بوظيفة واحدة أيضا هي الدلالة على علاقة بين شيئين، هذه العلاقة قد تكون إحدى أربع علاقات، هي: التعيين (س هو ص) كما في قوله تعالى: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾[١] والوصف (س هو ص)[٢] كما في: (القطار البخاري بطيء) والوجود ـ أو تعيين مكان المسند إليه ـ (س في ص) كما في: (الإناء على المنضدة.) والاختصاص (س لـ ص) كما في: النجاح للمجتهدين.

ويُستثنى من الجملة الفعلية ما كان فِعلها من أفعال السجايا والطباع، مثل: (حَسُنت الجامعةُ وحسُن طلابها) إذ لا دلالة فيه على الحدوث. ويستثنى من الجملة الاسمية ما كان فيه المسند إليه مصدرا مشعرا بالحدوث والمسند ظرف زمان أو نحوه، كما في: الاستراحة اليوم، والسفر غدا. إذ لا يدل على علاقة ولا يدل على الثبوت، وليس المسند فيه فعلا.

يعترض محمد حماسة على تقسيم مهدي المخزومي للجملة، ويتساءل "هل كل الأسماء تصلح لإفادة الثبوت وعدم التجدد إذا أخبر بها عن اسم ما؟ وإذا كان اسم الفاعل يدل على التجدد والحدوث كما يقول النحاة، فهل إذا أخبرنا به عن اسم مثل: (محمد قائم) كانت هذه الجملة فعلية عند الدكتور المخزومي، أو اسمية؟"[٣] والجواب عن السؤال الثاني أن الفرق بين (قائم)، و(يقوم) كالفرق بين الصورة الثابتة والمشهد المتحرك. ومع هذا ترى الدراسة عدم الاحتجاج باسم الفاعل (قائم)؛ لأن الفعل (قام) ومثله (بسط) ـ الذي يُحتج به كثيرا في هذه المسألة ـ و(جلس، وقف، رقد) لا يُتصور فيها من الناحية

---

[١] (يوسف: من الآية ٩٠)

[٢] راجع الفصل التالي حيث تُفرّق الدراسة تفريقا حاسما بين التعيين والوصف.

[٣] العلامة الإعرابية في الجملة، ص٥٧.

المعجمية معنى التجدد حينما يصاغ منها اسم الفاعل، بخلاف الأفعال (جرى، ومشى).
اسم الفاعل يدل أحيانا على الحدث والصفة كالفعل المضارع تماما، لكن حينما يستخدم اسم الفاعل خبرًا، يكون القصد إلى دلالة الصفة[1]؛ لاستخدامها للتعيين أو الوصف، كما في: (صالح مدير الشركة) وحينما يستخدم الفعل المضارع مكانه يكون القصد إلى دلالة الحدوث.

أما الجواب عن السؤال الأول: هل كل الأسماء تصلح لإفادة الثبوت وعدم التجدد إذا أخبر بها عن اسم ما؟ فهو أنه من الأفضل ألا نتصور العلاقة بين الثبوت والحدوث على أنها علاقة حدية، بل يمكن تصورها على مقياس تتوزع عليه الأسماء فالصفات فالأفعال، يقع عند أقصى قطب الثبوت أسماء الذات الجامدة، مثل: (شجرة، أسد)، ويقع عند أقصى قطب الحدوث المركب الفعلي (لا يزال يفعل) الذي يدل على التجدد والحدوث في الماضي، والحال، وتوقُّع الحدوث في المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾[3] الذي يعني - والله أعلم بمراده - اطلعت وتطلع وستطلع. وتتوزع بقية العناصر بين هذين القطبين، كالتالي: اسم الآلة، فالمصدر غير المشعر بالحدوث (كالحُسن، الذكاء)، فالصفة المشبهة، فأفعال السجايا، مثل: (شرُف)، فصيغ المبالغة الدالة على الحرفة، مثل: (حداد، نجار)، فصيغ المبالغة غير الدالة عليها، مثل: (حلّاف، مشّاء)، فاسم الفاعل للحرفة، مثل: (قاضٍ، محامٍ) فاسم الفاعل للملكية، مثل: (لابن وتامر) فاسم التفضيل، فاسم الفاعل للمضي، فاسم الفاعل للهيئة، مثل: (قائم، وجالس)، فاسم الفاعل للحال، مثل: (غسان حاكم البلدة)، فالمصدر المشعر بالحدوث

---

[1] ما لم يكن اسم الفاعل منونا وناصبا لمفعول به؛ حيث يكون ذلك في الغالب علامة على إرادة معنى الحدث لا الوصف.

[2] (البقرة: من الآية ٢١٧)

[3] (المائدة: من الآية ١٣)

المخبر عنه، كما في:(متى الرحيل؟) فالماضي المنقطع، والقريب (قد فعل) ثم يقترن الحدوث بالتجدد مع الماضي المستمر (كان يفعل، ظل يفعل) والماضي المستمر إلى الحال (ما زال يفعل) والحال (يفعل) والحال المتوقع استمراره (سيظل يفعل).

٣-٤-٧ الموقفية في اللغة العربية

يستخدم المتوكل مصطلح "الوجه" ترجمة لـ "Modality" ويعرفه بأنه ما يعبر عن موقف المتكلم من العلاقة التي تربط بين تحقق الواقعة وأحد المشاركين (علاقة الوجوب مثلا) وموقفه من تحقق الواقعة نفسها بالنظر إلى معارفه عن أنماط الوقائع وما يضبط تحققها من قواعد اجتماعية وشرعية، وموقفه من صدق أو كذب القضية التي يتضمنها خطابه.[١] وتضم الموقفية أيضا الموقف الانفعالي من محتوى القضية والموقف المرجعي (إسناد الكلام إلى مرجع خارجي قصد التملص من مسئولية تبليغه)[٢]

لا تقصر الدراسة مفهوم الموقفية على حكم المتحدث على ما يقوله من حيث إثباته أو نفيه أو احتماله (يقيني، مؤكد، راجح، محتمل، ممكن، لا يكون،....) أو من حيث تعهده والتزامه به: (سأفعل، والله لأفعلن،...) فقط، حسب ما يذهب إليه هاليداي، بل تضم إليه كل ما يُفصح عن تقييم المتحدث أو انفعاله تجاه ما يقوله. وتوافق الدراسة ما يذهب إليه بعض اللغويين من أن "كل حدث من أحداث النطق يحمل طابعا شخصيا أو انفعاليا (حتى إنه لا وجود لجملة لا تكون مشروطة Modal)"[٣]

---

[١] قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، ص٣٥.

[٢] المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد. ص٢٥.

[٣] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص٢٢٤.

٣-٤-٧-١ تحققات الموقفية

ذكرت الدراسة في الفصل الأول خلال شرح مفهوم "النحو المعجمي" أن النحو والصرف والمفردات تتعاون معا في أداء المعاني، وأن بعض المعاني قد يُعبَّر عنها نحويا أو معجميا. فقد يُعبر عن معنى "الاختصاص" ـ مثلا ـ نحويا بالتقديم، وقد يُعبر عنه معجميا بلفظ دال عليه، وهما يجتمعان في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[١] وقد يعبر عن معنى "القلة" و"الكثرة" معجميا بألفاظ دالة عليهما، وقد يعبر عن الأولى صرفيا بصيغ "التصغير" وعن الآخرة بصيغ المبالغة وتضعيف الفعل. وهذا ينطبق على معنى الموقفية أيضا التي قد يُعبَّر عنها نحويا ومعجميا.

وقد يقال إن الوسائل المعجمية للتعبير عن الموقفية أكثر من الوسائل النحوية بكثير. وهذا صحيح، لكنه لا يتعارض ومنهج الدراسة؛ إذ إنها تنطلق من المعنى إلى تحققاته النحوية والمعجمية، ثم تحاول أن ترصد الفروق الدلالية ـ إن وُجدت ـ بين هذه التحققات؛ لتُفسِّر سبب اختيار أي منها. ومن ناحية أخرى قد درس النحاة العرب باب المدح والذم ولا حظ للوسائل النحوية القياسية فيه إلا ما نُقل من الفعل الثلاثي إلى وزن "فُعل" للدلالة على المدح أو الذم، وما سوى ذلك يعد من الوسائل المعجمية، لا سيما "نعم" و"بئس" و"ساء"؛ يقول عباس حسن:

"في اللغة ألفاظ وأساليب كثيرة؛ تدل على المدح، أو الذم. بعضها يؤدي هذه الدلالة صريحة؛ لأنه وُضع لها من أول الأمر نَصًّا، وبعضها لا يؤديها إلا بقرينة. فمن الأول الذي يؤديها صريحة قولك: "أمدحُ، أُثْني، أَستحسِن ... أذم، أهجو، أستقْبحُ" ... ومنها: الجميل، العظيم، الفاضل، الماجد، البخيل، الحقود، الخائن ... ومن الثاني الذي يحتاج لقرينة: وَفْرة لا تكاد تعَدّ؛ في مقدمتها: أساليب النفي، والاستفهام، والتعجب، والتفْضيل،

---

[١] (البقرة: من الآية ١٠٥)

ونحوهما؛ فإنها أساليب قد تضم أحيانًا إلى معناها الخاص دلالتها على المدح أو الذم، بقرينة؛... ومن النوع الأول الصريح: "نعم"، و"بئس"[1]

إذا كانت الجملة لا تخلو من الدلالة على الموقفية، وإذا كانت الموقفية هي موقفية المتكلم عادة، فما الداعي لرصد تحققاتها النحوية والمعجمية؟

الجواب عن هذا أن لدى المتكلم طرقا عديدة للتعبير عن موقفه من الجملة، وأن هذه الطرق تتفاوت من ثلاثة وجوه: الأول هو الدرجة (منخفضة أو متوسطة أو عالية) وهذا الوجه هو الذي بنى عليه البلاغيون العرب تقسيمهم الخبر إلى ابتدائي وطلبي وإنكاري. الوجه الثاني هو التوجه، هل يُعبِّر المتكلم عن موقفه على نحو شخصي (أؤكد لكم، أنا على يقين) أو يدعي الموضوعية (لا شك أن، من المؤكد)؟ لماذا تعد الدراسة التعبير بـ "لا شك أن الأمر صحيح" فيه ادعاء الموضوعية؟ لأن "الشك" ليس شيئا ينفي المتكلم وجوده كما يقول: "لا أحد في المنزل"، الشك فعل من أفعال القلوب يقتضي فاعلا شاكًّا، والمتكلم اختار ألا يسنده إليه مؤثرا هذا التعميم[2] المبهم الذي لا يدري معه السامع آلشاكّ هو المتكلم وحده أم هو وغيره أم الناس جميعا!. الوجه الثالث: هل يُعبِّر المتكلم عن الموقفية صريحةً (حيث تكون معبرا عنها بجملة رئيسة نحويا يبنى عليها الكلام[3]، تسبق الجملة التابعة) أو يُعبِّر عنها ضمنيةً (بالأدوات، أو بأشباه الجمل والجمل التي قد تأتي في أعقاب الجمل الرئيسة أو لا تأتي). تتفاوت درجة المسئولية والالتزام بين أن يُعبَّر عن الوعد صراحة، فيقال: (أعدكم أن تعود الأمور إلى نصابها.) وأن يُعبر عنه ضمنيا فيقال: (ستعود الأمور إلى نصابها.).

---

[1] عباس حسن، النحو الوافي، ج٣، ص٣٦٧-٣٦٨

[2] من نوافل القول أن هذا يخص كلام البشر فقط، ولا يتعلق بكلام الله عز وجل.

[3] راجع نص سيبويه السابق الذي أوردته الدراسة عند الحديث عن الموقفية عند هاليداي.

تتعدد طرق التعبير عن الموقفية في العربية، ومما رصدته الدراسة ما يأتي: (أ) التعبير عن الموقفية **صوتيا** بالتنغيم (ب) **وكتابيا** بعلامتي التنصيص، (حين تستخدمان للدلالة على أن الكلمة الواقعة بينهما مستخدمة في غير معناها الحرفي) كما في: لقد تأخرت ساعتين بسبب قطاركم "السريع". (ج) **وصرفيا** (١) بالصيغ الدالة على الاعتقاد والوجود: صيغة أفعل "ومنه أعظمته: أي جعلته عظيما باعتقادي، بمعنى استعظمته"[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فلما رأينه أكبرنه﴾[٢] وصيغة تفعّل، نحو: "تكبّر: أي اعتقد في نفسه أنها كبيرة"[٣]، وصيغة استفعل، نحو: استعظم[٤]، واستكبر، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾[٥] (٢) وبالتصغير المراد به التحقير أو التلطف[٦]. (د) **ونحويا** (١) بالإسناد مثبتا ومنفيا (٢) وبالحروف الدالة على الموقفية: (قد، ربما، إنّ، نونا التوكيد، ليت، لعل،...إلخ) (٣) الأساليب الإفصاحية، كالقسم والتعجب والمدح والذم. (٤) وبالأفعال، مثل: يجب، ينبغي[٧]، ونحوهما (هـ) **ومعجميا** بما يدل على معاني الضرورة والاحتمال والتأكيد...إلخ.

---

[١] شرح الشافية للرضي. ج١، ص٨٦.

[٢] (يوسف: ٣١)

[٣] شرح الشافية للرضي، ج١، ص١٠٦.

[٤] المرجع السابق، ج١، ص١١١.

[٥] (المدثر: ٦)

[٦] شرح الشافية للرضي، ج١، ص٩٠.

[٧] يرصد المتوكل أن الفعلين "يجب" و"ينبغي" لا يتأخران عن مدخولهما، ولا يتصرفان مع كل الضمائر (نجب، يجبان، ينبغون، ...) "لا يخضعان للمطابقة من حيث الشخص" حسب تعبيره، وأنه لا يأتي من (ينبغي) ماضٍ مستساغ. وبناء على ذلك يقرر أن هذين الفعلين "أكثر الأفعال الوجهية تحجرا وأنهما قد قاربا أن يكونا مجرد أداتين وجهيتين" أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي. ص٣٨-٣٩.

الفصل الرابع

الجملة بوصفها تمثيلا للواقع

٤–١ مقدمة

تناول الفصل الثاني الجملة بوصفها رسالة مُوليًا اهتمامًا للعلاقة بين الجملة ومنتِجها، وتناول الفصل الثالث الجملة بوصفها فعلا من أفعال التبادل بين شخصين أو أكثر، ويأتي هذا الفصل ليدرس الجملة من زاوية العلاقة بينها وبين الواقع الذي تمثله والذي قد تصنعه أحيانا[1]؛ فاللغة ليست مرآة صافية بريئة تعكس الواقع كما هو بقدر ما هي وسيلة استعارية لتمثيله محكومة بإيديولوجيات منتجيها وأهوائهم.

تستلزم دراسة الجملة من هذه الزاوية أن يُمهِّد لها هذا الفصل بتقديم مخطط دلالي للواقع مؤسَّس على أبعاد نحوية، ثم يُحلِّل أنماط الجملة في العربية وفقا لوظائفها وسماتها الدلالية والنحوية، ثم يُناقِش المعايير التي اعتمد عليها النحاة العرب في دراسة مقيدات الإسناد، ويُعدِّل بعضها. ويقوم بكل ذلك من خلال عرض متداخل منظَّم لآراء النحاة العرب وهاليداي وأتباعه من جهة، ولنقد الباحث وتعديلاته المقترحة من جهة أخرى.

٤–٢ من المعنى إلى النحو

تقترح دراسةُ الجملة من هذه الزاوية النظر إلى الواقع على أنه نظام من المعاني، والنظر إلى النحو على أنه نظام يفرز هذه المعاني ويصنفها ثم يُجسِّدها في أنماط من التراكيب، بعبارةٍ أخرى، يغدو المعنى هو المنطلق إلى التراكيب وهو المرتكز في التمييز بينها. فتبدأ الدراسة من خارج عالم النحو، وتشرع تطرح أسئلة، مثل: كيف يصف النظام النحوي في العربية شيئا ما؟ وكيف يُعيِّن ماهيته أو مكانه؟ ما طرائق التعبير عن معنى الظرفية الزمانية ومعنى السببية في العربية؟ وهل من فروق معنوية بينها؟ نظرة عجلى على بابي المفعول فيه والمفعول له ـ على سبيل المثال ـ كفيلة بأن تكشف عن أن كثيرا

---

[1] Bloor, T. and Bloor, M. (2004). *The functional analysis of English: A Hallidayan approach*. 2nd ed. London: Hodder Arnold. P. 106.

من الأشكال التركيبية التي تُعبِّر عن معنيي الظرفية والسببية قد استبعدت من بابيهما؛ لأنها لم تحقق الشروط الشكلية التي وضعها النحاة للبابين.

يصعب أن تلتزم الدراسة في هذا الفصل بمنهج العرض الذي اتبعته في الفصول السابقة، فتبدأ بعرض دراسة النحاة العرب للجملة من زاوية علاقتها بالواقع؛ لأن حركة الدرس النحوي العربي ـ حسب ما رأت الدراسة في الفصل الأول ـ لم تكن تبدأ من المعنى، وإنما كانت تبدأ من الشكل الذي كان مُشكِلا في إنتاجه وتلقيه، وكانت تستعين بالمعنى لبيان الفروق بين الأشكال التركيبية. حين بدأ النحاة دراسة الفاعل ـ مثلا ـ كانوا يدركون تماما الفرق بين الفاعل في النحو والفاعل في الواقع الخارجي؛ يقول ابن فارس: "ومن سُنن العرب إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلاً في الحقيقة"[1]، لكن اهتمامهم انصب على الفاعل الاصطلاحي[2] فقط؛ فلا قيمة للتمييز بين فاعلٍ فَعلَ الفِعلَ حقيقةً وفاعل لم يفعله، ما دام كلاهما مرفوعا مسندا إليه فعلٌ يتقدمه. يقول ابن جني: ـ عن جملة: (زيد قام) ـ "ربما ظن بعضهم أن زيدًا هنا فاعل في الصنعة، كما أنه فاعل في المعنى."[3] "ألا ترانا نقول: ضُرب زيد. فنرفعه وإن كان مفعولا به، ونقول: إن زيدًا قام. فننصبه وإن كان فاعلًا ونقول: عجبت من قيام زيد. فنجره، وإن كان فاعلًا ... الفاعل عند أهل العربية ليس كل من كان فاعلًا في المعنى...الفاعل عندهم إنما هو كل اسم ذكرته بعد

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(~٣٩٥هـ) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م. ص ١٦٠

[2] إذا تناولت الدراسةُ الجملةَ بوصفها رسالة، ينصب الاهتمام على المحدث عنه، وإذا تناولتها بوصفها تبادلا/تواصلا، فعلى الفاعل النحوي: المسند إليه، وإذا تناولتها بوصفها تمثيلا للواقع، فعلى الفاعل المنطقي (الذي يسميه النحاة العرب الفاعل في المعنى).

[3] ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، تقديم: د عبد الحكيم راضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م، ط٥، ج١، ص٢٨٠-٢٨١.

الفعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم...الفعل الواجب وغير الواجب في ذلك سواء"[١].

استخدم النحاة مقولة "الفاعل في المعنى" لغرضين: الأول هو شرح مفهوم الفاعل الاصطلاحي (الفاعل النحوي) ـ كما اتضح من المقتطف السابق ـ والغرض الآخر هو استخدامها وسيلة للتمييز بين شكلين للتركيب قد يقع بينهما لبس، كما في التفرقة بين الاسم المجرور والاسم المنصوب بعد أفعل التفضيل[٢]، وبين مفعولي الفعل الناصب لمفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر[٣]. وبقيت المقولة هامشية التأثير في النحو العربي، وبينما ركز النحاة العرب على الفاعل الشكلي، أسس البلاغيون ـ وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني ـ مبحث المجاز العقلي على أساس أن الفعل أو ما يشبهه قد أُسند إلى غير فاعله المنطقي[٤]؛ ومن ثم برزت في هذا المبحث الجوانب العقدية والفلسفية؛ لأن النص انفتح على واقعه غير اللغوي، ولم يعد بنية نحوية منعزلة.

٤-٣ تقسيمات دلالية نحوية

تختلف أسس التصنيف والتقسيم تبعا للهدف الذي تسعى النظرية النحوية لتحقيقه وللمنهج الذي تسير عليه. قد يكون التقسيم نحويا، أو دلاليا، أو نحويا ودلاليا مع ترجيح كفة النحو أو الدلالة. تتميز التقسيمات النحوية بسمتين أساسيتين مترابطتين: الأولى أنها محدودة العدد، والآخرة أنها محددة الأفراد. تواجه التقسيمات النحوية عادةً صعوبة في التعامل مع ظاهرتي الترادف والتضمين؛ لأنهما تؤثران على سمتيها الأساسيتين. ترى الدراسة أن التقسيمات في النحو العربي تكاد تكون جميعها ذات أساس

---

[١] المرجع السابق، ج١، ص ١٨٥-١٨٦.

[٢] عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، د. ت. ط١٧، ج٢، ص٤٢٣.

[٣] المرجع السابق، ج٢، ص١٧٧.

[٤] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م. ج١، ص٤٢-٤٥

نحوي، حتى التقسيمات التي تبدو ـ ظاهريا ـ ذات أساس دلالي كأفعال المقاربة والرجاء والشروع والقلوب؛ لأنه لا يدخل في أفعال القلوب أفعال مثل: فكّر، خمّن، تيقن، وإن كانت منها دلاليا؛ لأنها لا تحقق الشرط النحوي للدخول في هذا الباب، وهو نصب مفعولين، وفي الوقت نفسه تُدرس إلى جوار أفعال القلوب أفعالُ التحويل؛ لأنها تحقق ذاك الشرط، وإن اختلفت عنها دلاليا اختلافا تاما. ويمكن قول مثل ذلك عن أفعال المقاربة والرجاء والشروع، من حيث شرطها النحوي ودراسة النحاة العرب لها معا على الرغم من اختلافها دلاليا.

على الرغم من سيادة التقسيمات النحوية في النحو العربي، فإنه لم يخلُ من التقسيمات الدلالية، لكنها كانت في الغالب الأعم وسيلة أو علامة استخدمها جمهور النحاة لتفسير الإعراب، فمثلا من تقسيمهم الدلالي للفعل: "أفعال السجايا والطباع" التي يتطرقون إليها بوصفها علامة على كون الفعل لازمًا[١]، و"أفعال الحواس" التي يتطرقون إليها بوصفها علامة على كون الفعل متعديا لمفعول واحد[٢]، و"أفعال النفس الباطنة" و"أفعال الجوارح الظاهرة" اللتان يرد ذكرهما عند الكلام عن شروط نصب المفعول لأجله[٣].

التقسيمات التي تتبناها الدراسة في هذا الفصل هي تقسيمات ذات أساس دلالي ولها أبعاد نحوية، تُتابعُ هاليداي في بعض ما يتفق منها واللغة العربية، وتُعدِّل بعضا،

---

[١] ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله (–٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م. ج٢، ص٥٩٦.

[٢] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي (– ٦١٦هـ) اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥، ج١، ٢٦٨.

[٣] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (– ٥٨١هـ) نتائج الفكر في النَّحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. وكذلك: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري (– ٩٠٥هـ) شرح التصريح على التوضيح (أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م. ج١، ص٥٠٩–٥١٠.

وتحاول أن تكتشف ما في النحو العربي من تقسيمات دلالية وأن تبتكر أخرى. يقوم التقسيم الدلالي على أساس معنى عام يجمع كل أفراد القسم محل النظر معا، و"هناك طرق كثيرة جدا للتقسيم والتصنيف على أسس دلالية، وما يهمنا منها هو ما كان له أصداء وآثار نظامية في النحو"[١]. و"ليست الأقسام النحوية والدلالية في حالة تناظر أحادي؛ ولهذا حين نستخدم مصطلحات نحوية مختارة على أسس دلالية فلا نتوقع أن تكون ملائمة تماما لكل الحالات، إنها تُختار لتعكس المعنى المركزي أو المحوري"[٢]

من السهل الولوج إلى عالم النحو من زاوية الشكل، حيث لا فرق بين: (حسُن محمد، وقام محمد، ومرض محمد)؛ فالتحليل النحوي واحد: (فعل ماض مبني على الفتح + فاعل مرفوع بالضمة) لا فرق بين فعلٍ هو وصف لازم لفاعله، وفعلٍ هو وصف عارض له، وفعلٍ هو حدث، ومن ثم لا فرق بين فاعل هو متصف بالفعل فقط، وفاعل فعلَ الفعل حقيقةً، وفاعل هو سبب الفعل أو زمانه أو مكانه...إلخ. وكذلك لا فرق بين المفعول الأول والثاني في نحو: (صيّرت النار الخشب رمادا) على الرغم من أن المفعول الأول (الخشب) هو مفعول وقع عليه الفعلُ، والمفعول الثاني (رماد) هو مفعول أوجده الفعلُ. متى يلجِ الدارس من زاوية المعنى، تغدُ التقسيمات أصعب وأكثر تشعبا، وتبرز من وراء الشكل الواحد تنوعات دلالية ثرية، تكشف عن الطاقة النحوية والتعبيرية للغة. بناءً على هذا التصور لا توافق الدراسة ابن جني في قوله: "فأما المعاني فأمر ضيق ومذهب مستصعب؛ ألا تراك إذا سئلت عن زيد من قولنا: قام زيد سميته فاعلا، وإن سئلت عن زيد من قولنا: زيد قام، سميته مبتدأ لا فاعلا، وإن كان فاعلا في المعنى.

[1] Halliday, M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold. P. 114.

[2] Ibid. P. 112.

وذلك أنك سلكت طريق صنعة اللفظ، فاختلفت السمة. فأما المعنى فواحد. فقد ترى إلى سعة طريق اللفظ وضيق طريق المعنى."[1]

٤-٤ التمثيل الدلالي للواقع

قدَّم المتوكل تقسيما دلاليا له أبعاد نحوية للواقع، وهو تقسيم تراه الدراسة شديد العموم ومفرط التبسيط، لا يدرك كثيرا من الفروق الدلالية والنحوية. يقول: "يدل المحمول على واقعة في عالم من العوالم الممكنة، وتكون الواقعة عملا أو حدثا أو وضعا أو حالة، وهذه أمثلة لهذه الأنماط الأربعة من الوقائع: أ. أغلقت هند النافذة (عمل) ب. أغلقت الريح النافذة (حدث) ج. يقف خالد بالباب (وضع) د. حزنت هند لغياب أخيها (حالة)" وهو يستخدم مصطلح "المشارك" أيضا، ففي (أ) هند "المُنفِّذ" وفي (ب) الريح "القوة" وفي (ج) خالد "المتموضع" وفي (د) هند "الحائل"[2] ويقول: "تعتبر الأطر المحمولية في النحو الوظيفي دالة على واقعة state of affairs يقوم كل حد من حدود المحمول بالنسبة إليها بدور معين، وتنقسم الوقائع حسب النحو نفسه إلى أعمال Actions وأحداث Processes وأوضاع Positions وحالاتٍ States، كما يتبين من الجمل الآتية الدالة محمولاتها على عمل وحدث ووضع وحالة على التوالي: أ. شرب أحمد اللبن. ب. فتحت الريح الباب. جـ. زيد جالس فوق الأريكة. د. خالد فرحٌ."[3]

يقصِد هاليداي بدراسة الجملة بوصفها تمثيلا للواقع، دراستها من زاوية وظيفتها التَّجرِبية Experiential function، أي بنيتها بوصفها وسيلة لتمثيل أنماط التجربة

---

[1] الخصائص، ج١، ص٣٤٣-٣٤٤.

[2] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٦ م. ص٢٥.

[3] أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٦ م. ص١٢، ٣٣. راجع كذلك: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، ص٨٨.

Experience الإنسانية. اللغات تمكِّن الإنسان من أن يرسم صورة ذهنية للواقع، من أن يفهم ما يحدث حوله وداخله، وهنا تلعب الجملة دورا مركزيا مرة أخرى؛ لأنها تُجسد مبدأ عاما لصياغة التجربة الإنسانية وفق نموذج معين، هذا المبدأ هو أن الواقع Reality مكون من عمليات Processes [١]، وعلاقات بين الموجودات.[٢] عادة ما ينظر إلى التجربة الإنسانية على أنها معرفة، لكن هاليداي يعالج التجربة بوصفها معنى يترجم في شكل لغوي: نظاما دلاليا[٣].

أقوى انطباع لنا عن التجربة الإنسانية هو أنها تتكون من "ماجريات": أحداث، وأفعال، وشعور، وقصد، ووجود، وكينونة، وصيرورة. النحو يفرز ويُصنف هذه الماجريات في الجملة، ومثلما تَكون الجملة شكلا من أشكال التبادل: الإعطاء والطلب للمعلومات والأفعال، تكون أيضا شكلا من أشكال الانعكاس: إضفاء نظام وترتيب على الأحداث والأشياء المتنوعة تنوعا هائلا، والنظام النحوي الذي ينجز ذلك هو نظام التعدية transitivity وهو يمثل عالم التجربة في مجموعة من أنماط العملية"[٤]وتقترح الدراسة تسميته نظام التمثيل؛ لكي لا يلتبس بنظام التعدية الذي استقر مصطلحه ومفهومه؛ ولأن بعض الجمل العربية تخلو من الفعل تماما.

هناك اختلاف بين التجربة الخارجية والتجربة الداخلية نصبح على وعي به في سن مبكرة جدا، اختلاف بين ما نختبره بوصفه يجري في العالم المحيط بنا، وما نختبره بوصفه يدور في أنفسنا (في عالم الوعي والخيال)، والشكل الأوليّ للتجربة الخارجية هو

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 106.

[٢] يرى هاليداي أن الجملة في اللغة الإنجليزية تمثل الواقع على أنه يتكون من عمليات فقط تحققها (تجسّدها) نحويا الأفعال، فلا تخلو الجملة الإنجليزية من الفعل، وترى الدراسة أن الجملة في اللغة العربية تمثل الواقع على أنه مكون من عمليات تحققها نحويا الأفعال، بالإضافة إلى مجموعة من العلاقات يحققها نحويا الإسناد وحده إن خلت الجملة من الفعل.

[3] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). *Construing Experience Through Meaning: A Language- based Approach to Cognition*. London: Continuum. P. 1.

[4] Halliday, M. A. K. (1994). P. 106.

أنها تتكون من الأحداث والأفعال، تحدث أشياء والناس يفعلون أشياء، أما التجربة الداخلية فهي أصعب في فرزها وتصنيفها، لكنها رد فعل أو استجابة للتجربة الخارجية أو تسجيل لها أو تفكير فيها، والنحو يُميز بين التجربتين، فيُطلق على النوع الأول اسم العمليات المادية Material processes وعلى النوع الثاني اسم العمليات العقلية Mental processes. هناك مكون ثالث ينبغي أن نقدمه لنصوغ نظرية دلالية متماسكة عن تمثيل التجربة، هذا المكون هو الذي يمثل عمليات التعيين والتصنيف [(والوصف) والاختصاص والوجود، في العربية]، إننا نستخدم هذا المكون لربط جزء من تجربتنا الإنسانية بجزء آخر منها: هذا هو ذاك، هذا نوع من ذاك، [هذا لذاك، هذا هنا، وذاك هناك]، وسنطلق على هذا المكون اسم العمليات العلاقية [١].

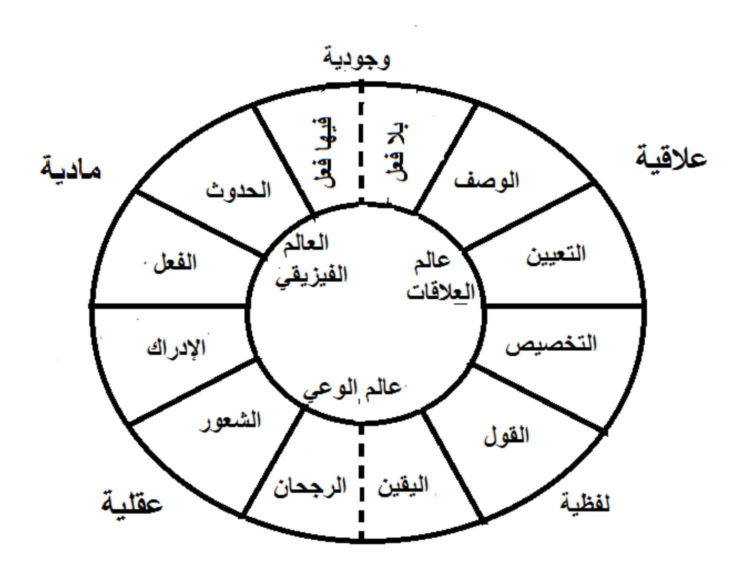
تعد العمليات المادية والعقلية والعلاقية الأنماط الثلاثة الرئيسة في نظام التمثيل، وعلى الحدود الفاصلة بينها توجد عمليات بينية تحمل بعض السمات المشتركة مع كل مما يقع على جانبيها، فعلى الخط الفاصل بين العمليات المادية والعلاقية يقع نوع خاص من العمليات الوجودية، التي تتعلق بالوجود وعن طريقها تُدرك الظواهر على اختلاف أنواعها على أنها "موجودة"، وعلى الخط الفاصل بين العمليات المادية والعقلية نجد العمليات السلوكية[٢]، تلك العمليات التي تمثل التحققات والتجليات الخارجية للعمليات الداخلية، وتجسد عمليات الوعي والحالات الفسيولوجية، وعلى الخط الفاصل بين العمليات العقلية والعلاقية تقع العمليات اللفظية: التي تعبر عن العلاقات الرمزية المبنية

---

[1] Ibid. P. 107.

[٢] من أمثلة العمليات السلوكية ـ وفقا لهاليداي ـ: تنفس، سعل، تبسم، بكى، ضحك، تثاءب. وهذه العمليات ليس لها في العربية ما يُميّزها نحويا، غير أنها تكون أفعالا لازمة عادة، وهذا لا يُسوغ أن تُجعل قسما مستقلا؛ فأفعال الحركة التي تكون "حركة للجسم في ذاته وهيئةً له... بغير ملاقاة لشيء آخر" نحو: قامَ وقعدَ، وسارَ... إلخ ـ تكون لازمة دائما، [الأصول لابن السراج، ١٦٩/١-١٧٠] لكن هذه السمة النحوية وحدها غير كافية لتخصيص قسم لها؛ لذا رأت الدراسة أن تضم العمليات السلوكية وأفعال الحركة إلى العمليات المادية.

في الوعي الإنساني في صورة اللغة، كالقول والقصد[1]. يقدم الشكل (٤–١) (المعدَّل عن نظيره عند هاليداي) مخططًا لأنماط العمليات في اللغة العربية، وسنتناول كلا منها بالتفصيل في الصفحات التالية.



الشكل (٤–١) النحو والواقع: أنماط العمليات في اللغة العربية

عَدَّلت الدراسة هنا من مكونات العملية العلاقية وأنواعها؛ نظرا لاختلاف طريقة تمثيل العلاقات في اللغة الإنجليزية عنها في العربية؛ فاللغة الإنجليزية تُمثل العمليات العلاقية جميعها باستخدام الفعل نحويا؛ وهذا راجع إلى طبيعة الجملة الإنجليزية التي لا تخلو من الفعل، ولو فعلا رابطًا، أما اللغة العربية فالغالب فيها ألا يُستخدم الفعل لتمثيل العمليات العلاقية. فهي لا تُقدِّم حدثا ولا فعلا على المستوى الدلالي، بل تقدم حالة وجودية أو علاقة بين الموجودات، وإنما تجوّزت الدراسة في تسميتها "عمليات" لأن التعيين والتصنيف وإنشاء العلاقات ما زال فعلا من أفعال الإنسان وجزءا من

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 109.

التجربة. وأضافت الدراسة قسما لأفعال اليقين والرجحان لخصوصيتها النحوية والدلالية في العربية.

٤-٥ العملية والمشاركون والمحددات

ما موقع هذا التقسيم الدلالي في النحو؟ تقسم الدراسة عالم التجربة الإنسانية دلاليا إلى قسمين: القسم الأول يُمثل عمليات (أي: أفعال وأحداث)، والقسم الآخر يُمثل علاقات بين الموجودات، ولا يقدم أفعالا ولا أحداثا. تتركب جمل القسم الأول ـ من حيث المبدأ ـ من ثلاثة مكونات: (أ) العملية نفسها: الفعل أو الحدث (أو علاقة الإسناد) (ب) المشاركون فيها (جـ) المحددات أو الظروف المحيطة بالعملية.

فلو أننا رأينا حركة في السماء، فقلنا: تحلق الصقور في السماء، فنحن بهذا نحلل هذه الظاهرة على أنها تشكيل دلالي وفقا للمكونات الثلاثة المذكورة سابقا، على الرغم من أن هذه الظاهرة تُدرك على مستوى الإدراك والحواس بوصفها كتلة واحدة متجانسة. ففي هذا المثال لدينا عملية معبر عنها نحويا بالفعل "تحلق" ومشارك معبر عنه نحويا بالفاعل "الصقور" وعنصر ظرفي معبر عنه نحويا بشبه الجملة "في السماء". يرى هاليداي أن هذا التفسير الدلالي الثلاثي هو ما يكمن وراء التمييز النحوي لأقسام الكلمة إلى أفعال وأسماء وحروف، ويُرجح أنه ـ بصورته هذه أو بصورة أخرى مشابهة ـ عالميّ بين اللغات البشرية.[1] إذن، إن نظرنا إلى اللغة بوصفها تمثيلا للواقع ندرك كيف أن النحاة العرب كانوا دقيقين في تقسيمهم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، ومن هذه الزاوية لا معنى للاعتراض على تقسيمهم الثلاثي. يمكننا أن نعبر عن العلاقة بين التقسيم الدلالي والتحقق النحوي كما في الجدول ٤(١) التالي:

الجدول ٤(١) العناصر الدلالية والتحققات النحوية

العنصر الدلالي	**التحقق النحوي في صورة:**

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 108.

العملية	فعل (أو مركب فعلي)
المشارك	اسم (أو مركب اسمي)
المحددات	شبه جملة جريّ أو ظرفيّ أو ظرف أو اسم (أو مركب اسمي)

مصطلحات العملية والمشارك والمحددات تشير إلى فصائل دلالية تشرح بطريقة عامة كيفية تمثيل ظواهر الواقع في شكل تراكيب لغوية؛ لذا حين نأتي إلى دراسة كل نمط من أنماط العملية دراسة تفصيلية سوف نستعين بمصطلحات أخرى أخص منها.

تطرق النحاة العرب إلى العلاقة بين الجملة والواقع، فميّزوا في دراستهم لتعدي الفعل ولزومه بين "أفعال النفس التي تحدث لها ولا تتجاوزها[١]" أي أن يكون الفعل "غير متشبث بشيء خارج عنها[٢]" وأفعال الجوارح الظاهرة وأفعال الحركة. وقسّم ابن يعيش الفعل تقسيما دلاليا إلى ما "يكون علاجا، وغير علاج، فالعلاج ما يفتقر في إيجاده إلى استعمال جارحة أو نحوها، نحو: (ضربت زيدا)، و(قتلت بكرا). وغير العلاج ما لم يفتقر إلى ذلك، بل يكون مما يتعلق بالقلب، نحو: (ذكرت زيدا)، و(فهمت الحديث)[٣]".

٤-٦ العمليات المادية: الفعل والحدث

يقصد هاليداي بالعمليات المادية عمليات "الفعل" doing التي تُعبِّر عن أن كائنا ما "يفعل" شيئا، وقد يكون يفعله "لـ" لكائن آخر. لهذا يمكن أن تسأل عن هذه

---

[١] ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (-٣٩٢هـ) سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م. ص١٣٧.

[٢] ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي (- ٣١٦هـ) الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م. ج١، ص١٦٩.

[٣] ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي (-٦٤٣هـ) شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م. ج٤، ص٢٩٥. وراجع أيضا: شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص٥٠٧.

العمليات ـ أو تسبُرها probe ـ من جهتين، إن كان فيها "فاعل" Actor و"مفعول به" Goal: من جهة الفاعل أو من جهة المفعول به، فمثلا في جملة "رفعت الحكومةُ الأسعارَ" يكون الاستفهام من جهة الفاعل هو: ماذا فعلت الحكومة؟ ومِن جهة المفعول: ماذا حدث للأسعار؟ في الحالة الثانية نحن نتعامل مع العملية كما لو كانت عملية "حدث" Happening (مثل: رُفعت الأسعارُ) لا عملية فعل.[١] تظل صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية جنبا إلى جنب عملية حدث أخرى تستخدم صيغة المطاوعة، هي: "ارتفعت الأسعار"، معنى هذا أنه قد تكون التجربة أو الواقعة التي تحدث واحدة وتختلف طرق تمثيلها لغويا، فقد يقدمها شخص على أنها عملية "فعل" لها فاعل حقيقي، وقد يقدمها آخر على أنها "حدث" دون أن يُصرّح بفاعلها. وهذا يُبرِز جزءا من قيمة التمييز بين "الفعل" و"الحدث" في تحليل النصوص.

يشير مصطلح الفاعل Actor عند هاليداي إلى الفاعل المنطقي Logical subject في الاصطلاح القديم، وهو يعني مَنْ يفعل الفعلَ "The one that does the deed".[٢] وهو يُميّز بينه وبين الفاعل النفسي Psychological subject الذي يسميه: المحدث عنه Theme والفاعل النحوي Grammatical subject الذي يسميه المسند إليه Subject[٣]. أما مصطلح المفعول به Goal فهو يتضمن عنده معنى "موجَّهًا إلى" وقد أُستُخدم مصطلح المتأثر Patient أيضا في هذا المعنى، الذي يعني من يعاني أو يخضع للعملية. وعلى الرغم من أن كليهما ليس دقيقا، من وجهة نظر هاليداي، وأن الأدق هو مفهوم "من تمتد إليه العملية" ـ الذي بُني عليه التعدي واللزوم في الاصطلاح الكلاسيكي ـ فهو يستخدم مصطلح الهدف. وهو يقبل التفسير النحوي للتعدي واللزوم

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 110. (Eggins, S. (2011). P. 215.)

[2] Ibid. P. 109.

[3] Ibid. P. 30-4.

(كل عملية لها فاعل Actor وبعض العمليات تمتد أو تتعدى إلى مشارك ثانٍ، سنسميه الهدف Goal) شريطة أن يُربَط مفهومهما بالجملة لا بالفعل النحوي.[1]

يرى هاليداي أن التمييز بين الفاعل و"المفعول به" Goal لا يكون حادا دائما، كما في: (رَكَلَ الولدُ The boy kicked) حيث الولد فاعل، و(رُكل الولدُ The boy was kicked) حيث الولد مفعول به [في المعنى]؛ فالاختلاف ضئيل بين جملتي: (اندمجت المدرستان= فعل+ فاعل) و(دُمجت المدرستان= حدث+ مفعول)، وهو أننا مع صيغة المبني للمجهول نستطيع أن نسأل عن الفاعل بـ (Who by?) أما مع المبني للمعلوم فلا نستطيع.[2] تذهب الدراسة إلى أن هذا التفسير لا يلائم العربية؛ ففي الحالتين يستطيع المستمع أن يسأل عن الفاعل المنطقي: (في المثال السابق: مَنْ دمجهما؟) التفسير البديل الذي تقترحه هو أن صيغة المبني للمجهول تتميز بأنها تستدعي إلى الذهن قسيمتها المبنية للمعلوم؛ لأن بناء الفعل للمجهول يدل دلالة صريحة دائما على أن الفعل غير مسند إلى فاعله المنطقي، أما صيغ المطاوعة، فقد تُسنَد إلى فاعليها المنطقيين، كما في: (انطلق الرجل، واندفع، وانصرف وتعلَّم) وقد تُسند إلى غيرهم، كما في: (انكسر الزجاج، تهدم البناء). يقول المبرد: "ناولته فتناول" "ليس كقولك: (كسرته فانكسر)؛ لأنك لم تخبر في قولك (انكسر) بفعل منه على الحقيقة، وأنت إذا قلت: (قدّمته فتقدّم وناولته فتناول) تخبر أنه قد فعل على الحقيقة ما أردت منه، فإنما هذا كقولك: (أدخلته فدخل)"[3]

يقصد هاليداي بالعمليات المادية الأفعال والأحداث التي تقع في العالم المحيط بنا، في مقابل العمليات العقلية التي تحدث في داخلنا؛ لهذا لا يشترط في العمليات المادية أن تكون أفعالا (أو أحداثا) حسية فقد تكون أفعالا معنوية، مثل: استقال رئيس

---

[1] Ibid. P. 109.

[2] Ibid. P. 111, 165.

[3] المقتضب، ج١، ص٢١٦.

الحكومة، حلّ المحافظ اللجنة. ولا يشترط أيضا في عمليات "الحدث" أن يكون الفعل مبنيا للمجهول؛ فجملة: (سَقط السائحُ) هي عملية حدث، وسبرها يكون بالسؤال: ماذا حدث للسائح؟ وليس بالسؤال: ماذا فعل السائح؟ ويعد هاليداي (السائح) فاعلا، يُشبه المفعول إلى حد ما !؛ لغياب القصد والإرادة.[١]

٤-٦-١ المطاوعة Ergativity

يستعين هاليداي بنظام المطاوعة[٢] في الإنجليزية لتفسير أنماط العملية من زاوية السببية لا التعدية. تشترك كل أنماط العملية في اقترانها بمشارك تتحقق من خلاله، وبدونه لا تكون هناك عملية ألبتة، يطلق عليه هاليداي اسم الوسيط Medium، ويراه عنصرا إلزاميا في كل العمليات، يكوّن مع العملية نواة الجملة التي قد يضاف إليها عناصر أخرى أو لا يضاف. وهو (أي الوسيط) كلمة (الثوب) في جملة (تمزق الثوب The cloth tore). قد يوجد مشارك آخر في العملية موظف بوصفه سببا خارجيا، وهو ما يسميه هاليداي المسبِّب Agent، مثل كلمة (المسمار) في (مزَّق المسمارُ الثوب The nail tore the cloth). وتكون الجملتان السابقتان معا زوج المطاوعة. معنى هذا أن المتكلم قد يختار أن يمثل العملية على أنها متولدة أو ناشئة ذاتيا self-engendering فلا يذكر المسبِّب، كما في الجملة الأولى، أو يمثلها على أنها قد سببها مسبِّب خارجي، كما في الجملة الثانية.[٣]

---

[1] Ibid. P. 111.

[٢] يختلف مفهوم المطاوعة عند هاليداي عن نظيره عند النحاة العرب؛ فهم يشترطون اتحاد فعلي المطاوعة في الجذر مثل (علّم، وتعلّم) ومن ثم لا يعدون الفعلين (طارد، وجرى) زوج مطاوعة. أما هاليداي فيعدهما كذلك، كما في: (The lion chased the tourist/ the tourist ran). طارد الأسد السائح/ جرى السائح.
(Halliday, M. A. K. (1994). P. 163)

[٣] قد تُعبِّر اللغة الإنجليزية عن المطاوعة بفعل واحد يكون لازما تارة، ومتعديا تارة أخرى كما في المثالين التاليين:
The cloth tore/the nail tore the cloth. (The cloth got torn)
تمزّق الثوبُ/ مزّق المسمارُ الثوبَ. (مُزِّق الثوبُ)

٤-٦-٢ نقد الدراسة لهاليداي

يُستخدَم عادةً مصطلح Subject للفاعل النحوي، ومصطلح Object للمفعول به النحوي، ومصطلحي Actor أو Agent للفاعل في المعنى (الحقيقي أو المنطقي) ومصطلح Goal للمفعول به في المعنى[١]. لكن هاليداي ـ حسبما تذهب الدراسة ـ قد خلط المفاهيم الدلالية بالنحوية، الدليل على هذا أن مفهوم الفاعل Actor عنده لا يختلف كثيرا عن مفهومه النحوي؛ فهو ـ من جهة ـ لا يشترط فيه أن يكون عاقلا أو قاصدا للفعل، ومن ثم يُحلِّل الجمل التالية: (أبحر القارب The boat sailed) و(تمزّق الثوب The cloth tore) (انطبخ الأرز The rice cooked) جاعلا (القارب) و(الثوب) و(الأرز) فاعلا Actor[٢] (الفاعل في هذه الجمل لا يختلف عن المفعول به في المعنى)، ومن جهة أخرى، يعوِّل على بناء الفعل للمجهول لا على المعنى، ومن ثم يصبح (الثوب) فاعلا في جملة (تمزّق الثوب The cloth tore) ومفعولا به [في المعنى] في جملة (The cloth got torn).

قدَّم هاليداي المطاوعة بوصفها مدخلا لتفسير آخر للعمليات من زاوية أخرى، هي زاوية السببية، وما قدَّمه ـ من وجهة نظر الدراسة ـ هو تفسير مُكمِّل، لأنه أضاف إلى التفسير من زاوية التعدي ثلاث وظائف جديدة، هي: المبتدئ Initiator (في العملية المادية) والواصف Attributor (في العملية الوصفية) والمخصِّص Assigner (في العملية التعيينية) وهي جميعا تحمل سمة "السبب" وتقابل وظيفة "الفاعل الحقيقي" على مستوى المطاوعة.[٣] وبإضافة هذه الوظائف يصبح التفسير الأول من زاوية التعدي

The glass broke/ the heat broke the glass. (The glass got broken)

انكسر الزجاجُ/ كسرت الحرارةُ الزجاجَ. (كُسر الزجاجُ)

(Halliday, M. A. K. (1994). P. 161-4.)

[١] رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م. مادة (Actor- action- goal)

[2] Halliday, M. A. K. (1994). P.164.

[3] Halliday, M. A. K. (1994). P. 169- 171.

والسببية. في الحقيقة ترى الدراسة أن هاليداي لم يُقدم مفهوم الفاعل الحقيقي Agent إلا ليعالج القصور الدلالي لمصطلح Actor الذي ليس فاعلا في المعنى، ولا يختلف كثيرا عن الفاعل النحوي.

٤-٦-٣ مارجريت بيري

تُقسّم مارجريت بيري العمليات المادية إلى فعل (يقوم بها غالبا كائن حي) وحدث (يقوم بها غالبا كائن غير حي) كما في: (سبح الرجل حتى الشاطئ)، و(الأبخرة تتصاعد من فوهة المدخنة) على الترتيب، ثم تقسم عمليات الفعل تقسيما فرعيا آخر باعتبار القصد إلى قسمين: عملية قصدية Intention وعملية عَرَضية Supervention كما في: تعثر جون في حجر.[1] معنى هذا أن جملة: (سقط السائح) التي تُعد عند هاليداي عملية حدث، هي عند بيري عملية فعل غير قصدية.

٤-٦-٤ عبد القاهر وابن قتيبة

يكشف الالتفات إلى الدراسات اللغوية القديمة لمسألة إسناد الفعل إلى غير فاعله ـ عن أن المجاز كان هو المدخل إلى تفسير المسألة تفسيرا امتزج في كثير من الأحيان بأبعاد عقدية، يقول عبد القاهر: "لأن إثبات الفعل لغير القادر لا يصحُّ في قضايا العقول، إلاّ أن ذلك على سبيل التأوُّل، وعلى العُرْف الجاري بين الناس، أن يجعلوا الشيء، إذا كان سبباً أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله، كأنه فاعل، فلما

---

[1] Berry, M. (1975). *An introduction to systemic linguistics: structures and systems*. London: B.T. Batsford Ltd. P. 151-2. (Thompson, G. (2004). *Introducing functional grammar*. 2nd edition. London: Arnold. P. 91.)

أجرى الله سبحانه العادةَ وأنفذَ القضِيَّة أن تُورق الأشجارُ، وتظهر الأنْوار، وتلبس الأرض ثوب شبَابِها في زمان الربيع، صار يُتوهَّم في ظاهر الأمرِ ومجرى العادة، كأنّ لوجود هذه الأشياء حاجةً إلى الربيع، فأسند الفِعلَ إليه على هذا التأوُّل والتنزيل..." ويستدل على هذا بالأفعال المسنَدة إلى الأدوات والآلات نحو: (قطعَ السكين) والمسنَدة إلى من تقع تلك الأفعال بأمره نحو: (بنى الأميرُ القلعة)[1]. على خلاف عبد القاهر الذي ينطلق من رؤية عقدية لتفسير عمليات "الحدث" يدرك ابن قتيبة بحس لغوي عميق أن عمليات "الحدث" هي جزء أصيل من نظام اللغة العربية للتعبير عن معانٍ معينة لا سبيل للتعبير عنها بغيرها، ثم يستعين بالجانب اللغوي في الاحتجاج لقضية عقدية (الرد على الطاعنين على القرآن بالمجاز)، يقول:

"ولو كان المجاز كذبا، وكلّ فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا- كان أكثر كلامنا فاسدا، لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشّجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السّعر. وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا والفعل لم يكن وإنما كوّن. وتقول: كان الله. وكان بمعنى حدث، والله، جل وعز: قبل كل شيء بلا غاية، لم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن... ولو قلنا للمنكر لقوله: ﴿جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾[2] كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار: رأيت جدارا ماذا؟ لم يجد بدّا من أن يقول: جدارا يهمّ أن ينقضّ، أو يكاد أن ينقضّ، أو يقارب أن ينقضّ. وأيّا ما قال فقد جعله فاعلا، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم، إلا بمثل هذه الألفاظ"[3]

٤-٦-٥ الفعل الإيجادي والفعل التغييري

---

[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (~٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط١، ١٩٩١م. ص٣٨٥-٣٨٨.

[2] (الكهف: ٧٧)

[3] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (-٢٧٦هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م، ص١٣٢-١٣٣.

يقسِّم هاليداي الفعل إلى قسمين: إيجادي creative وتغييري transformative، في النمط الإيجادي تُوجِد عملية الفعل الفاعلَ إن كان الفعل لازما، والمفعولَ إن كان الفعل متعديا، بعبارة أخرى الفعلُ يُدخل الفاعلَ أو المفعول إلى حيز الوجود، من أمثلة الفعل الإيجادي اللازم: كان، حدث، وقع، جرى، حصل. ومن أمثلة الفعل الإيجادي المتعدي: خلق (وهو خاص بالله عز وجل)، صنع، أعد، بنى، أنشأ، صمّم، رسم، كتب، خبز، أوجد، أحدث...إلخ. ويقسَّم الفعل الإيجادي إلى: عامّ، مثل: كل الأفعال اللازمة السابقة، وخاص: مثل: كل الأفعال المتعدية السابقة. في النمط التغييري يكون الفاعل والمفعول موجودين قبل أن يقع الفعل، ثم يقع الفعل فيُحدث تغييرا فيهما[1]، ومن الجوانب المشتركة بين اللغتين العربية والإنجليزية أن الأفعال الإيجادية فيهما قليلة جدا مقارنة بالأفعال التغييرية. من أمثلة الفعل التغييري اللازم: ما يدل على تغيُّر صفة الشيء أو حالته أو حجمه، أو لونه، أو كميته...إلخ، مثل: احترق، غلى، جمد، لان، صعُب، سهُل، تجمد، اتسع، ضاق، قل، زاد، امتد، نضج، كبُر، كبِر، ضعُف، اسودَّ، ... إلخ. ومن أمثلة الفعل التغييري المتعدي: معظم الأفعال السابقة عندما تكون متعدية بالتضعيف، مثل: سهَّل، أو بزيادة الهمزة، مثل: أنضج أو بغيرهما.

يترتب على التمييز السابق بين نمطي الفعل الإيجادي والتغييري ـ تمييزٌ آخر بين نوعين من المفعول، الأول: هو المفعول الذي وقع عليه فعلُ الفاعل، أي: المفعول به (المعنى اللغوي هنا مطابق للمعنى الاصطلاحي). وهذا المفعول لا يقع إلا إن كان الفعل من النمط التغييري، كما في: هدمتُ الجدارَ. والثاني: هو المفعول الذي أوقعه الفعلُ أي: أوجده الفعلُ، كما في: (بنيتُ الجدارَ.) و(هو يكتب خطابا) فالفعل في المثالين أوجد المفعول الذي لم يكن موجودا قبلا.[2] والدراسة ستستخدم مصطلح "المفعول

---

[1] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P. 184-7.

[2] Halliday, M. A. K. (1994). P. 111.

به" للمفعول الذي وقع عليه الفعلُ، ومصطلح "المفعول" دون تقييد، للمفعول الذي أوجده الفعلُ.

إذا عدنا إلى حقل الدراسات العربية وجدنا أن عبد القاهر الجرجاني قد أدرك هذه الفروق الدلالية جميعها، يقول: "الأفعال على ضربين: متعدّ وغير متعدّ، فالمتعدّي على ضربين: ضربٌ يتعدَّى إلى شيءٍ هو مفعول به، كقولك: (ضربتُ زيدًا)، (زيدًا) مفعولٌ به؛ لأنك فعلت به الضرب ولم يفعله بنفسه. وضربٌ يتعدَّى إلى شيءٍ هو مفعول على الإطلاق، وهو في الحقيقة كفَعَلَ وكلِّ ما كان مِثْلَه في كونه عامّاً غيرَ مشتقّ من معنًى خاصّ كصَنَعَ، وعَمِلَ، وأَوْجَدَ، وأَنْشَأَ. ومعنى قولي: (من معنًى خاصّ) أنه ليس كضَرَبَ الذي هو مشتقّ من الضرب... فهذا الضَّربُ إذا أُسند إلى شيءٍ كان المنصوبُ له مفعولاً لذلك الشيء على الإطلاق، كقولك: فعل زيدٌ القيامَ، فالقيام مفعولٌ في نفسه وليس بمفعول به. وأحقُّ من ذلك أن تقول خَلق الله الأنَاسِيَّ، وأنشأ العالم، وخلق الموتَ والحياة، والمنصوب في هذا كله مفعول مطلق لا تقييد فيه، إذ من المحال أن يكون معنى خلق العالم فَعَلَ الخلق به، كما تقول في: (ضربت زيدًا) فعلتُ الضرب بزيد"[1] وقد فرَّق ابن قتيبة ـ في نصه السابق ـ بين فعل "كان" وفعل "كوِّن".

٤-٦-٦ تقسيمات ووظائف أخرى

هناك قسم آخر من العمليات المادية تمثله أفعال "أعطى وأخواتها"، وهي تكون عمليات فعل كثيرا. تقترح الدراسة تقسيم هذه الأفعال إلى ثلاث مجموعات[2]: المجموعة الأولى تضم أفعالا ثلاثية مجردة تنصب مفعولين، ولا يدخل حرف الجر على أحد مفعوليها، مثل: كسا، منح، سأل (بمعنى طلب)، سقى، كفى، رزق، جزى. وهذه

[1] أسرار البلاغة، ص٣٦٨- ٣٦٩.

[2] راجع شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١٦٦. أنطوان الدحداح، معجم قواعد اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٤، ١٩٨٩م، ص ١٧٦.

المجموعة محدودة العدد جدا. المجموعة الثانية: تضم أفعالا تنصب مفعولين وقد يدخل حرف الجر على أحد مفعوليها مثل: منع، هدى، أهدى، وهب. وهي تسلك المسلك النحوي لأفعال مثل: "أمر، استغفر، اختار، كنّى، سمّى، دعا، صَدَق، زوّج، كال" وإن خالفتها في الدلالة. المجموعة الثالثة تضم الأفعال التي تتعدى لمفعولين عادةً بزيادة الهمزة أو التضعيف أو نحوهما، مثل: أعطى، ألبس، أسكن، أنسى، أذاق، أطعم، فهّم، عرّف، بدّل، أنشد...إلخ. وهذه المجموعة كثيرة العدد جدا.

يقدم هاليداي مع أفعال الإعطاء وظيفةَ "المستفيد" beneficiary ويُعرِّفه بأنه من يُقال إن العملية تحدث له أو من أجله. وقد يظهر مسبوقا بحرف الجر أو بدونه، والأكثر اطرادا أن يكون المستفيد إنسانا، ولكنه قد يأتي غير ذلك، كما في: سقت سارة الورود ماء.[1] وترى الدراسة أنه ليس هناك ما يدعو إلى تخصيص مصطلح له، وتعده مفعولا به.

تضم عمليات الحدث "أفعال الصيرورة" مثل: (افتقر الرجل) أي: صار فقيرا، و(تبخّر الماء) أي: صار بخارا. ومن أفعال الصيرورة قسم قياسي، على وزن (أفعل) غالبا، مشتق من الكلمات الدالة على الزمن[٢]؛ للدلالة على الصيرورة في هذا الزمن، وقد يدل على السير فيه. من هذه الأفعال: (أصبح، أضحى، وأمسى، وبات) و(أسحر، أفجر، أظهر، أبكر، أنهر، أليل، أغلس، أغسق، أسفر، أعتم، أصاف، وأشتى، غدا) وهي جميعا تدل على الصيرورة في زمن معين، وقد جعل الفراء (أفجر، وأظهر، وأسحر)

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 144-5. (Bloor, T. and Bloor, M. (2004). P. 113)

[٢] راجع: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (-٧٤٥هـ) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت. ج١، ص١٧٣. وأحمد محمد أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، قدم له وعلق عليه: محمد عبد المعطي، دار الكيان، القاهرة، د.ت. ص٨٠. والرضي، (رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي) (-٦٨٦هـ) شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م. ج١، ص٩٠.

من أخوات كان[1]. وقد تدل (أصبح، وأضحى، وأمسى، بات) على الصيرورة فقط دون الزمن المخصوص، أي أنها ـ على أية حالٍ ـ لا تفارق الدلالة على الصيرورة. وقد اختلف النحاة في إعراب الاسم المنصوب بعد هذه الأفعال، فهو خبر لها عند الجمهور، ونُصِب تشبيها بالمفعول عند سيبويه، ولشبهه الحال عند الفراء، وهو حال عند الكوفيين[2].

تدل أفعال الصيرورة على حدث هو تغيُّر صفة الشخص أو الشيء، كما في: (صاروا منافقين) ـ تعد الدراسة (منافقين) مشبها بالحال[3] ـ أو تغيُّر في ذاته، كما في: (صار الماء بخارا) و(جعل الصانع الطين خزفا)، وتعد (بخارا) و(خزفا) "مفعول": أي مفعول أوجده فعلُ الصيرورة. لا توافق الدراسة إذن النحاة القدماء ولا هاليداي[4] على أن هذه الأفعال داخلة على الجملة؛ إذ ترى أن وظيفة الجملة في وجود هذه الأفعال هي الدلالة على الحدث أو الفعل، لا التعيين أو الوصف، ففي التعيين جوابا لـ: من هو؟ يقال: رئيس الحزب. ولا يقال: *صار رئيس الحزب. وفي الوصف جوابا لـ: كيف هو؟ أو أي الرجال هو؟ يقال: نشيط. ولا يقال: أصبح نشيطا. (إلا إن كان في السؤال أو السياق ما يشير إلى معنى التغيُّر).

٤-٦-٧ غياب الفاعل المنطقي

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م. ج١، ص٣٥٢.

[2] همع الهوامع، ج١، ص٣٥٣. شرح التصريح، ج١، ص٢٣٣.

[3] يُشبه الحال في المعنى، وفي كونه يصلح جوابا لـ: (كيف صار؟) ويخالفه في مجيئه معرفة، كما في: (أصبح اللاعب مدرب الفريق) ووقوعه عُمدةً باطراد.

[4] يعد هاليداي أفعالا مثل ((become, turn (into)) ـ أصبح، صار ـ ممثلة للعلاقة بين الصفة والموصوف (ويعد ما بعدها صفة) وهو تفسير مشابه لتفسير النحاة العرب الذي يجعلها داخلة على المبتدأ والخبر.
(Halliday, M. A. K. (1994). P. 120.)

ترتبط فكرة الفاعل المنطقي بالمسئولية الاجتماعية، مسئولية الفاعلين الاجتماعيين عن أفعالهم. إن اهتمام الاتجاه الوظيفي بمسألة الفاعل المنطقي نابع من منطلقه الاجتماعي الذي يرى اللغة ظاهرة وسلوكا اجتماعيا، والبشرَ فاعلين مسئولين أمام المجتمع والقانون؛ بناء على هذا يعد من الأهمية بمكان تتبع الطرائق التي قد تُسبب غياب الفاعل المنطقي عن النص، ومما رصدته الدراسة ما يلي:

١- تحويل العملية من عملية فعل، مثل: **(رفعت الحكومةُ الأسعارَ)** إلى عملية حدث:

أ- ببناء الفعل للمجهول، مثل: **(رُفعت الأسعارُ)**، (أُغلقت المعابر الحدودية)

ب- باستخدام أوزان المطاوعة، مثل: **(ارتفعت الأسعارُ)**، (تقرر فرضُ ضريبة على المنتجات البترولية)

جـ- باستخدام "المجاز العقلي" (بإسناد الفعل إلى زمانه أو مكانه أو سببه، أو أداته أو آلته...إلخ)، مثل: **(رفعت أزمةُ الاستيراد الأسعار)**، (أنتجت مطاحنُ القمح هذا العام مليوني طن.)، (صقلت المحاجرُ ألواح الرخام.)[١]

٢- التعبير عن عملية الفعل كما لو كانت عملية حدث: **(زادت الأسعار)** (قل الدعم المستحق لغير القادرين)

٣-استخدام أفعال دالة على الوجود المجرد، مثل: كان، ووقع، وجرى، وحدث، ...إلخ. ويكثر في العربية المعاصرة استخدام الفعل (تم) في هذا المعنى. يقول الخطيب القزويني: "أما إذا أريد الإخبار بوقوعه [أي: الفعل] في نفسه من غير إرادة أن يُعلم ممن وقع في نفسه أو على من وقع، فالعبارة عنه أن يقال: كان ضربٌ، أو وقع، أو وُجد، أو نحو

[١] ربما تخلو تقارير الأحوال أو الأوضاع الاقتصادية من العنصر البشري حيث تكون مناجم الفحم، وآبار البترول، والعيون الجوفية، ومزارع الأسماك، وحقول الذرة، والمخابز، والمزارع، وأفران الطوب...إلخ هي المحتلة لوظيفة المسند إليه.

ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد"[١]. وعلى هذا يقال: **(وقع ارتفاع في الأسعار)** (جرت اشتباكاتٌ) (حدثت مشاجراتٌ)

٤- استخدام المصدر، بتحويل الجملة إلى مركب اسمي مكون من المصدر المشتق من فعل الجملة مضافا إلى المفعول، أو بتحويلها إلى المصدر وحده، وهذا يُعرف في النحو الوظيفي باسم التحويل الاسمي nominalization[٢]، فتتحول جملة: (رفعت الحكومة الأسعار) إلى المركب الاسمي (رفْع الأسعارِ) الذي يصبح جاهزا للدخول في جملة جديدة: **(رفعُ الأسعار من أول الشهر الجاري)** (شهد اليومُ ارتفاعا في الأسعار) (شهدت الأسواقُ ارتفاعا في الأسعار) (الأخطاء المتكررة التي مرت بها البلاد في الفترة الأخيرة هي دروس يجب الاستفادة منها.)[٣]

٥- استخدام اسم المفعول، يقوم اسم المفعول هنا بالدور نفسه الذي يقوم به الفعل المبني للمجهول، مع إدراكنا بطبيعة الحال للفرق بين التعبير بالاسم والتعبير بالفعل، مثل: (هذه الآراء مشكوك فيها) (العقوبات المفروضة على الدولة مرهون وجودُها بتعديل السياسات الداخلية والخارجية).

٤-٦-٧-١ إبهام الفاعل المنطقي

---

[١] بغية الإيضاح، ج١، ص١٦٥.

[٢] يقترن التحويل الاسمي بفقد بعض العناصر في كثير من الأحيان، كالفاعل المنطقي، ودلالة الفعل على الزمن، كما تُفقَد الأدوات الدالة على الجهة والموقفية. بالتحويل الاسمي تصبح الجملة اسما أو مركبا اسميا مُحتضَنًا داخل جملة أخرى، فتتراجع إلى خلفية الصورة إذا جاز التعبير.

[٣] لا يفصح المثال عن مرتكب الأخطاء (الفاعل المنطقي)، ولنا أن نقارن هذا التركيب بالتراكيب الأخرى التي تصرح بالفاعل مثل: أخطأ فلانٌ، أو ارتكب فلانٌ خطأ في حق البلاد. والتي سيصعب معها النظر إلى أخطاء فرد أو مؤسسة بوصفها دروسا يجب الاستفادة منها. وهذه الجملة تُقدم مثالا على الاستعارة النحوية حيث تتحول العملية المادية (أخطأ) إلى عملية علاقية وصفية (الأخطاء دروس).

لا ينحصر حضور الفاعل المنطقي في النص بين قطبي الوجود والغياب؛ فبينهما درجات من التعيين والإبهام، تتوزع من أقصى درجات التعيين (التي يمثلها ضمير المتكلم المفرد) إلى أقصى درجات الإبهام، (عند إسناد الفعل إلى اسم الفاعل المشتق من جذر الفعل نفسه، نحو: (قال قائل إن ...) مقارنة بـ (قيل إن ...))، حيث يستوي الذكر والحذف، وقد يكون هذا الإبهام مقصودا لغرض بلاغي كالتهويل والتفخيم ونحوهما[١]، أو لغرض آخر من أغراض بناء الفعل للمجهول. وما بين التعيين والإبهام تقع تعبيرات وجمل، مثل: (صرّح مصدر مسئول، ذَكَرَ شاهد عيان، أثبت الباحثون أن ....، يُؤكد الخبراء أن ....، ينصح أطباء الأسنان بـ ....، قام مجهولون بنهب مقتنيات المتحف) ... إلخ.

اتضح من العرض السابق الاختلاف بين هاليداي وبيري في معيار التمييز بين عملية الفعل وعملية الحدث. المعيار الذي تتبناه الدراسة هو أن عمليات الفعل يكون الفاعل فيها كائنا حيًّا يفعل فعله عن قصد واضح[٢]، وستسميه الدراسة "الفاعل المنطقي"، كما في: (سَبَح الجنود لعبور النهر) و(عدا الفرسُ مسرعًا) وقد يكون الفعل النحوي المعبر عن العملية لازما أو متعديا، والاستفهام عن العملية يكون بـ: ماذا فَعَل (أو يفعل)؟، فإن لم يكن الفاعل قاصدا لفعله، أو لم يكن كائنا حيا، أو كان الفعلُ مبنيا للمجهول، فالعملية عملية حدث، وتطلق الدراسة على المسند إليه في عملية الحدث اسم "**المتأثر**"، إن كان الفعل مبنيا للمجهول، كما في: (عوقب المجرمون) أو كان مبنيا

[١] راجع: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (- ١٣٩٣هـ) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م. ج٢٧، ص١٥٨، تفسير قوله تعالى: ﴿**أزفت الآزفة**﴾ [النجم: ٥٧].

[٢] ليس المقصود هنا بالقصد النيّة، وإنما المقصود القصد كما يُعبِّر عنه النحو، ففي جملة: (سقط السائح) لا فرق بين أن يكون سقط عن غير قصد وأن يكون تعمد السقوط؛ لأن الجملة تُعبر عن عدم القصدية. تُميّز اللغة العربية بين بعض الأزواج من الأفعال تبعا للقصد، من ذلك التمييز بين (خَطِئ) الذي يدل على العمد، و(أخطأ) الذي قد يكون عمدا أو سهوا. وهناك بعض الصيغ الصرفية التي قد تدل على القصدية، مثل: تفاعل (تجاهل) وتفعَّل (تصبَّر).

للمعلوم والفاعل عاقل غير قاصد للفعل، كما في: (غَرِقَ الجنودُ) و(كبا الفرسُ) أو غير عاقل وغير دال على السببية، كما في: (تعطلت السيارة) فإن دل عليها، سُميَ "**المُسبِّب**"[١]، مثل: (المسمار) في: (مزَّق المسمارُ الثوب).

قال الخليل: "إنما قالوا: مرضى وهلكى وموتى وجربى وأشباه ذلك؛ لأن ذلك أمر يُبتلون به، وأُدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلما كان المعنى معنى المفعول، كسّروه على هذا المعنى"[٢] وقال المبرد: "قالوا: مريض ومرضى؛ لأنه شيء أصابه، وأنت لا تقول: (مُرِضَ) ولا (ممروض)"[٣]. وقال أيضًا عن الأقسام الدلالية للفعل إن منها ما: "لا يتعدى الفعلُ فيه الفاعل، وهو للفاعل على وجه الاستعارة، ويقع على ضربين: أحدهما: سقط الحائط، وطال عبد الله، وأنت تعلم أنهما لم يفعلا على الحقيقة شيئا، فهذا ضرب، والضرب الثاني الذى يسميه النحويون فعل المطاوعة وذلك قولك: (كسرته فانكسر، وشويته فانشوى، وقطعته فانقطع)، وإنما هذا وما أشبهه على أنك بلغت فيه ما أردت، وانتهيت منه إلى ما أحببت؛ لا أن له فعلا "[٤]. يُلخص الشكل (٤-٢) التصور الذي تقترحه الدراسة لتناوُل العمليات المادية.

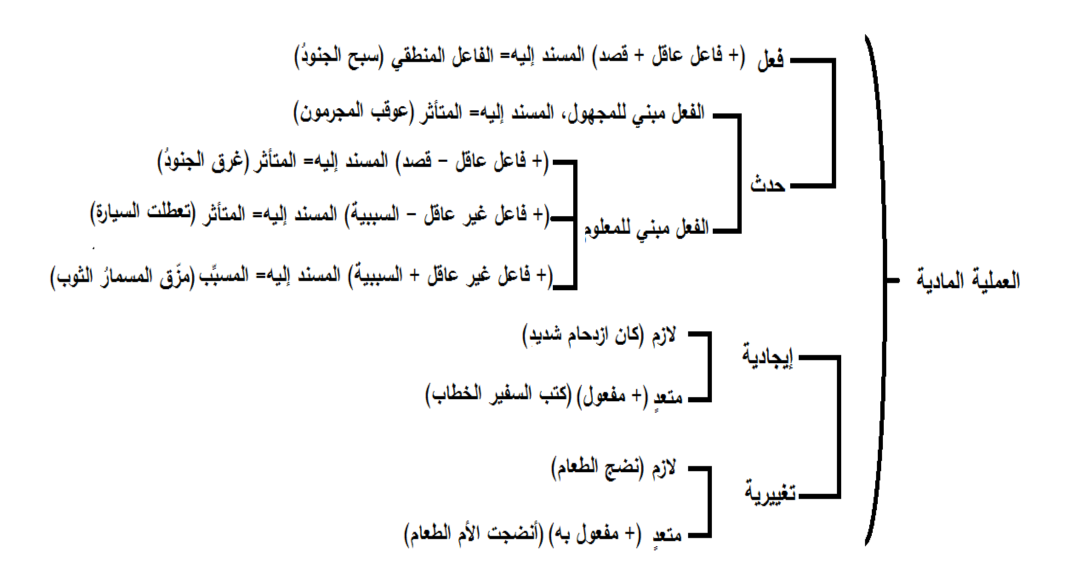
---

[١] لبيان قيمة وظيفة "المسبب" انظر (المحدد السببي).

[٢] الكتاب، ج٣، ص٦٤٨.

[٣] المقتضب، ج٢، ص٢١٧.

[٤] المقتضب، ج٣، ص١٨٨.



الشكل (٤– ٢) تصوُّر مقترح لدراسة العمليات المادية

٤–٧ العمليات العقلية

تقصد الدراسة بالعمليات العقلية تلك العمليات التي تقع في النفس من إدراك عقلي أو حسي أو شعور. تتميَّز العمليات العقلية بثلاث سمات عامة، الأولى هي وقوعها في داخل النفس، وإن كان لها أثر ظاهر خارجها. والسمة الثانية هي أنها تُسند دائما إلى إنسان؛ ومن ثم يفضي إسنادها إلى غير العاقل إلى المجاز، حيث يكتسب المسند إليه سمة الوعي، كما في: يشتاق الملعب الخاوي إلى الأطفال. ويرى هاليداي أن التمييز بين الموجودات الواعية وغير الواعية لا يلعب دورا في العمليات المادية[١].

وقد ذكر ابن جني ـ في معرض حديثه عن الدلالة المعنوية للأفعال ـ أن بعض الأفعال تتعلق بفاعلين مخصوصين، فالفعل (ضرب) ـ مثلا ـ "يصلح أن يكون فاعله

[١] تخالفه الدراسة في هذا؛ لأنها تستخدم هذا التمييز في تقسيم العمليات المادية إلى أفعال، وأحداث.
(Halliday, M. A. K. (1994). P. 114-5)

كل مذكر يصح منه الفعل"[١]. وربط المبرد ما بين الصحة النحوية وإسناد بعض الأفعال إلى الإنسان، من حيث كونها لا تصح إلا منه، يقول: " لو قلت: (أعجب قيامُك قعودَك.) كان خطأ. ولو قلت: (وافق قيامُك قعودَ زيد.) لصلح، ومعناه أنهما قد اتفقا في وقت واحد. فلو أردت معنى الموافقة التي هي إعجاب لم يصلح إلا في الآدميين[٢]"

ستستخدم الدراسة مصطلحي "المدرِك" و"الظاهرة المدركَة" للإشارة إلى المشاركَينِ في العملية العقلية، والمدرِك هو الكائن الواعي (conscious being) الذي يعلم أو يظن أو يشعر أو يدرك. والظاهرة هي ما يُعلم أو يظن أو يشعر به أو يُدرك[٣]. وقد تكون الظاهرة المدركة "شيئا"Thing مُفردا أو "حقيقة" Fact. يقصد هاليداي بمصطلح شيء كل كائن حي أو كيان مادي أو معنوي، وهو يضعه في مقابل مصطلح "الحقيقة" الذي يقصد به العملية أو الظاهرة المحكية، لنقُلْ بمصطلحات النحو إن السمة الثالثة لهذه الأفعال في العربية هي أن مفعولها قد يكون مصدرا مؤولا، بكل صوره المعروفة، خاصة الجمل التي تتصدرها أنْ وأنَّ، (أو"that" في الإنجليزية) فنقول على سبيل المثال: خاف الرجل الفقر، وخاف الرجل أن يموت فقيرا، عرف الناس الحق، وعرف الناس أن الحق غالب. "الحقيقة" - بهذا المعنى - لا تقع مشارِكا أبدا في العمليات المادية؛ فهي لا تفعل شيئا ولا يُفعل بها شيء، وهذه سمة من السمات الفارقة بين العمليات المادية والعقلية[٤]. تُقسم الدراسة العمليات العقلية إلى ثلاثة أقسام: (أ) عمليات اليقين والظن (ب) عمليات الشعور (جـ) عمليات الإدراك

---

[١] الخصائص، ج٣، ص١٠١.

[٢] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٥هـ) المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م. ج١، ص١٥٩.

[3] Halliday, M. A. K. (1994). P.117.

[4] Ibid. P.115. (Eggins, S. (2011). P.228.)

٤-٧-١ عمليات اليقين والظن[١]

تتميز عمليات اليقين والظن بالسمات الدلالية الآتية:

١- تُمثِّل ما يقع في النفس من يقين وظن. (تتميز بهذا عن أفعال التحويل، مثل: صيَّر)

٢- تُسنَد إلى مُدرِك واعٍ. (شأنها في ذلك شأن العمليات العقلية جميعها)

٣- مفعولها من جهة المعنى ـ لا الإسناد ـ لا يكون إلا جملة (تعيينية أو وصفية أو وجودية، مادية...إلخ)، وتوجد دائما علاقة دلالية بين الاسمين المنصوبين، بخلاف الحال في العمليات المادية (مثل: الإعطاء والتحويل). ففي جملة: (حسب الضيفُ الخادمَ صاحبَ الدار)، تكون العلاقة بين المفعولين هي علاقة التعيين، وإذا تقدم أحدهما على الآخر يتغير المعنى، ويكون الحسبان واقعًا على علاقة التعيين، وليس على ركنيها. "ألا ترى أنك إذا قلت: (ظننت زيدا أخاك)، فإنما يقع الشك في الأخوة، فإن قلت: (ظننت أخاك زيدا) أوقعت الشك في التسمية، وإنما يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحا عن المعنى، نحو: (ضرب زيدًا عمرو)"[٢] (انظر الجدول ٤(٢))؛ لهذا لا يصح الاقتصار على أحدهما، فلا يقال: (*حسب الضيفُ الخادم) ولا (*حسب الضيفُ صاحب الدار)، " وذلك لأنك تقول: (أعطيت زيدا)، ولا تذكر المفعول الثاني، فيجوز ولا يجوز: (ظننت زيدا)؛ لأن الشك إنما هو في المفعول الثاني؛ لأن الثانى خبر الأول، ولا يكون أبدا إلا بخبر."[٣] وبهذا تتميز عن أفعال "أعطى وأخواتها" التي يصح فيها أن يقال: (أعطينا الوفود وكسوناهم).

---

[١] لا يخصص هاليداي قسما لأفعال اليقين والظن فليس لها خصوصية نحوية في الإنجليزية؛ لذا تقع ضمن عمليات الإدراك العقلي.

[٢] المقتضب، ج٣، ص٩٥.

[٣] المقتضب، ج٣، ص١٢١.

الجدول ٤(٢) تحليل إسنادي وتمثيلي لعملية عقلية

	حسب	**الضيفُ**	**الخادمَ**	**صاحب الدار**
التحليل الإسنادي	مسند	مسند إليه	متمم	متمم
التحليل التمثيلي	عملية عقلية: ظن	مُدرِك	الظاهرة المدرَكة: عملية علاقية: تعيينية	
			مُعيِّن	مُعيَّن

٤- تكشف صراحةً عن موقفية المتكلم. (لا تشاركها في هذا إلى عمليات الشعور)

ويتميز بعضها[١] بالسمات النحوية الآتية[٢]:

١- على مستوى الإسناد يتعلق بهذه الأفعال إما متممان منصوبان، تشاركها في هذا أفعال أعطى وأخواتها وأفعال الصيرورة المتعدية/ أفعال التحويل، ومن ناحية أخرى تتميز بهذا عن سائر العمليات العقلية، أو الأول منهما منصوب والثاني جملة أو شبه جملة، أو مصدر مؤول من أن ومعموليها أو أن والفعل[٣]، تشاركها في هذا سائر العمليات العقلية، ومن ناحية أخرى تتميز بهذا عن سائر العمليات المادية، أو جملة، تشاركها في هذا، بشرط أن تكون الجملة استفهامية، أفعالُ الإدراك العقلي وأفعال الإدراك الحسي إن كانت بمعنى العلم أو المعرفة، مثل: تفكّر، أبصر، نظر، عرف، نسي، فكّر، وبعضُ أفعال القول، مثل: سأل واستنبأ[٤]، قال. يتميز الفعل (قال) بعدم

[١] أي: (علِمَ، رأى، وجد، درى، ألفى، جعل، تعلَّمْ. ظن، خال، حسب، زعم، عدَّ، حجا، هَبْ)

[٢] تبقى أفعال الشك والتردد ونحوهما جزءا من عمليات اليقين والظن تتصف بسماتها الدلالية كلها وببعض سماتها النحوية.

[٣] النحو الوافي، ج٢، ص١١، ٤٣.

[٤] راجع: همع الهوامع، ج١، ص٤٩٦. النحو الوافي، ج٢، ص٣٦.

اشتراط أن تكون الجملة استفهامية، وبوقوع (إنَّ) بعده، فيقال: (ظنوا إنَّ الشائعات صحيحة) و(قلتم إن الشائعات صحيحة). يتناول النحاة هذا في مبحث تعليق أفعال غير أفعال القلوب بالاستفهام، ويذكر جمهور النحاة أفعالا بعينها، ومنهم من يجيز تعليق كل فعل، وهو يونس بن حبيب[1]، ويرى عباس حسن أن ما ليس قلبيا منها "لا يكاد يدخل تحت حصر"[2]. تذهب الدراسة إلى أن هذه الأفعال وإن كانت لا تكاد تدخل تحت حصر، فهي تخضع لنمط مطرد، إما أن تكون أفعال إدراك عقلي أو حسي أو أفعال قول، معنى هذا أن هذه الأفعال ليست مجموعة محددة، هي بضعة أفعال، كما ذكر جمهور النحاة، فإن صح ـ وفاقًا لهم ـ أن يقال: (**نسيتُ** أين وضعتُ مفاتيحي) فينبغي أن يصح ـ خلافًا لهم ـ أن يقال: (**تذكرتُ** أين وضعتُ مفاتيحي)؛ إذ لا فرقَ نحويًا بين الفعلين. ومعنى هذا أيضا أنه لا يصح أن يكون مفعول العمليات المادية (التي منها أفعال أعطى وأخواتها، وأفعال التحويل) جملة، خلافا لما يذهب إليه يونس.

٢- يجوز إلغاؤها إن توسطت مفعوليها أو تأخرت عنهما فلا تؤثر نحويا[3].(وبهذا تتميز عن جميع الأفعال الأخرى المتعدية لمفعولين)

٣- جواز وقوع فاعلها ومفعولها الأول ضميرين متصلين متحدين في المعنى[4]، كما في: (علمتُني راغبا في مودتك، وحسبتَك عازما على إرضائي)

٤-٧-٢ عمليات الشعور

---

[1] همع الهوامع، ج١، ص٤٩٧.

[2] النحو الوافي، ج٢، ص٣٦.

[3] المرجع السابق، ج٢، ص٣٨.

[4] المرجع السابق، ج٢، ص٤٤.

تُعبر عما يصيب النفس من انفعال كالخوف والفرح والحزن والغضب ...إلخ، وتتميز عمليات هذا القسم بعدد من السمات الدلالية والنحوية: **فعلى المستوى الدلالي نجدها تتميز** (أ) بأنها تُمثِل عمليات تقع في النفس البشرية لا خارجها، سواء أكان الباعث عليها داخليا أو خارجيا (وهي تختلف من هذه الناحية عن العمليات المادية) (ب) وبأن فاعلها يكون مدركا واعيا دائما. **أما على المستوى النحوي، فتتميز:**

١- بأنها تكون أفعالا لازمة عادةً، وقد تتعدى لمفعول واحد فحسب. يقول ابن جني: "فأما قولهم: فرقته وفرِقت منه، وجزِعته وجزعت منه، فأصلهما أن يتعديا بحرف الجر، وإنما يحذف تخفيفا، يدل على ذلك أن فرقت وجزعت أفعال غير واصلة، بمنزلة بطِرت وأشِرت...فهذه كلها أفعال النفس التي تحدث لها ولا تتجاوزها، وإنما هي بمنزلة كرُمت وحسُنت وظرُفت وشرُفت.[١]"

٢- بأن كثيرا من أفعالها يكون على صيغة (فَعِل)، مثل: فرح، حزن، خاف، غضب، عجب، سخط، ضجر، طرب، قلق، خجل، حار، غار، رهب، يئس، خشي.

٣- بأن لكثير من أفعالها طبيعة انعكاسية reflexive، أي يجوز فيها تمثيل العملية بطريقتين[٢]، إمّا بإسنادها إلى الذات المدرِكة وإما إلى الظاهرة المدرَكة (الباعثة على الشعور نفسه) كما في الأمثلة التالية: سُررت بقدومك (أو لقدومك)، سرني قدومُك. حزنت لفراقهم، أحزنني فراقُهم. همّني (أو أهمني) الأمرُ، اهتممت بالأمر. وهذه السمة تميّزها عن جميع الأفعال في اللغة العربية؛ فهي لا تقع إلا في فعل من أفعال الشعور

---

[١] ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (-٣٩٢هـ) سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م. ص١٣٧.

[٢] هذه السمة هي سمة عامة لكل العمليات العقلية في اللغة الإنجليزية حسب ما يراه هاليداي، لكنها ليست كذلك في العربية. (Halliday, M. A. K. (1994). P.117.) (Eggins, S. (2011). P.229.)

الدالة على انفعال. وليس معنى هذا أن كل أفعال الشعور الدالة على انفعال لها طبيعة انعكاسية؛ فالفعل (خشي) ليست له طبيعة انعكاسية[١]، مقارنةً بمرادفه (خاف).

وقد يقال إن هذه الأزواج يقع مثلها في العمليات المادية أيضا، فيُقال مثلا: خرج النبيُ، وأخرج النبيَ قومُه، فما الفارق بينهما؟ وتُجيب الدراسة عن هذا بأن أزواج الأفعال في حالة العمليات المادية يكون فيها الاسم مع الفعل اللازم فاعلا ومع الفعل المتعدي مفعولا، ففي المثال السابق: خرج النبي (فهو خارجٌ)، وأخرج النبيَ قومُه (فهو مُخرَج). أما في أزواج عمليات الشعور فيقال: عجب من الأمر وأعجبه الأمرُ (فهو معجَب في الحالين) سُررت بقدومك (أو لقدومك)، سرني قدومُك (فأنا مسرور في الحالين، والقدوم سارٌّ) حزنت لفراقهم، أحزنني فراقُهم (فأنا محزون أو حزين في الحالين، والفراق محزِن). خِفتُ الأمرَ، وأخافني الأمرُ (فأنا خائف في الحالين، والأمر مخوف).

أضاف هاليداي في الطبعة الثالثة من كتابه (مقدمة للنحو الوظيفي) قسما جديدا إلى العملية العقلية، جعله لما يدل على الرغبة أو الإرادة desiderative مثل: أراد، شاء، رغب، أمل، قصد، نوى، عزم على.[2] ويمكن أن تضم إليها الدراسة أفعالا أخرى، مثل: حرص، طمع، رجا، تمنّى، أحب، كره، حسد؛ لتكوين قسم تدل أفعاله على حركة النفس تجاه أمر أو شيء ما، وتتميز هذه الأفعال بأنها متعدية لمفعول واحد مباشرة أو بحرف الجر، وليست لها طبيعة انعكاسية. وتشارك سائر العمليات العقلية في السمات الدلالية العامة.

٤-٧-٣ عمليات الإدراك

---

[١] هناك أفعال شعور أخرى ليست لها طبيعة انعكاسية، مثل: ندم، هدأ، اطمأن، أمن.

[2] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2004). P. 210. (Thompson, G. (2004). P. 94.)

تنقسم عمليات الإدراك إلى قسمين: القسم الأول هو عمليات الإدراك الحسي، مثل: رأى، أبصر، سمع، ذاق، مس، لمس، شاهد، عاين، شهد، لاحظ، استمع...وقد أطلق النحاة العرب على أفعاله اسم "أفعال الحواس"، قال ابن هشام في تقسيمه للأفعال من حيث التعدي واللزوم: "الثالث: ما يتعدى لواحد بنفسه دائما، كأفعال الحواس، نحو "رأيت الهلال" و"شمِمت الطيب" و"ذُقت الطعام" و"سمعت الأذان" و"لمست المرأة".[1] وقال ابن يعيش: " من المتعدي إلى مفعول واحد أفعال الحواس، كلها يتعدى إلى مفعول واحد، نحو: "أبصرته"، و"شممته"، و"ذقته"، و"لمسته"، و"سمعته". وكل واحد من أفعال الحواس يقتضي مفعولا مما تقتضيه تلك الحاسة، فالبصر يقتضي مبصرا، والشم يقتضي مشموما، والسمع يقتضي مسموعا، فكل واحد من أفعال هذه الحواس يتعدى إلى مفعول مما تقتضيه تلك الحاسة، تقول: "أبصرت زيدا"؛ لأنه مما يبصر، ولو قلت: "أبصرت الحديث أو القيام"، لم يجز؛ لأن ذلك مما ليس يدرك بحاسة، وكذلك سائرها.[2]"

والقسم الآخر هو عمليات الإدراك العقلي مثل: فهِم، عرف، فكر، تفكر، تخيل، توهم، تصور، نسي، أدرك، تذكر. وهي تتميز على المستوى النحوي بأن أفعالها متعدية لمفعول واحد. وقد تعلق بعض أفعال الإدراك بالاستفهام خاصة، ومن هذه الأفعال: أبصر، وتفكّر، ونظر، ونسي[3].

٤-٨ العمليات القولية

تدل كما يُوحي اسمها على عمليات "القول" كما في: ماذا قلتَ؟ - قلتُ تعم الضوضاء هنا، لكن هاليداي يرى أن القول ينبغي أن يُفسر بمعنى أعم، ليشمل أي نوع

---

[1] ابن هشام، جمال الدين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (-٧٦١هـ) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكوخ، إيران، ١٩٦٢م. ص ٣٦٩. وراجع أيضا: همع الهوامع، جـ ١، ص٤٨٤. اللباب في علل البناء والإعراب، ج١، ٢٦٨.

[2] شرح المفصل لابن يعيش، ج٤، ص٢٩٥-٢٩٦.

[3] همع الهوامع، جـ ا، ص ٤٩٧

من التبادل الرمزي للمعنى، مثل: اللافتة تقول: الزم الصمت، الساعة تُشير إلى العاشرة. ويُطلق على الوظيفة النحوية لـ "الساعة، واللافتة" اسم "القائل". يترتب على ذلك أنه يرى أن العمليات القولية لا يشترط فيها أن يكون القائل كائنا واعيا، بل قد يكون أي شيء يُصدر إشارة أو علامة، مثل الضوء الأحمر يقول لك: قف. قد تكون جملة مقول القول واردة بنصها، مثل: قال الرجل إني غريب. وقد تكون منقولة نقلا غير مباشر، مثل: قال الرجل إنه غريب،[1] ستطلق الدراسة على الأولى اسم "المُقتبَسة" وعلى الثانية اسم "المروية". بناء على ذلك سيكون من أمثلة المقتبسة: قال محمد لأخيه "أغلق الباب"، ومن أمثلة المروية: أمره أن يغلق الباب.

لا يُحلل هاليداي جملة مقول القول على أنها جملة واقعة نحويا في موقع الاسم، بل يحللها على أنها جملة فرعية محتضَنة في داخل جملة مركبة[2]، وقد تكون هذه الجملة الفرعية خبرية، (مثل: أخبرني أنه مسافر)، أو إنشائية (مثل: هتف الشعب في وجه الحاكم المستبد: ارحل. هي سألتني: هل قبلت الدعوة؟). وقد تتحقق وظيفة القائل نحويا في شكل الاسم أو الضمير، كما في الأمثلة السابقة، كما تتحقق أيضا في شكل مركب اسمي أو شبه جملة، وهذا شائع في لغة الصحافة العربية المعاصرة، فيقال: وفقا لفلان، وتبعا له، وحسب فلان، (نقلا) عنه. كما في قولك: وفقا للمتحدث الرسمي للحكومة قد أُستعيد النظام.

تتسع العملية القولية لوظيفتين أخريين إلى جانب وظيفة "القائل" هما: (أ) وظيفة المتسلم أو المتلقي receiver وهو الشخص الموجه إليه القول مثل: ياء المتكلم في: (أخبرني الحقيقة كاملة.) و"ابنه" في: (قال الأب لابنه لا تهمل عملك.) وتُفضل الدراسة أن تُطلق عليه اسم "المقول له"؛ لأنه أدل على المراد. ومما تلاحظه أن "المقول

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P.140.

[2] Ibid. P. 158.

له" إن وقع مجرورا في العربية، فالمعتاد أن يكون الجار هو (اللام) كما في المثال السابق، وقد يكون (على) مع أفعال مثل: قصّ، وتلا[١].(ب) ووظيفة المقول verbiage: وهي تُناظر ما قيل، وقد تعني أحد شيئين: محتوى ما قيل، كما في: (لا تقل إنك لم تكن تعلم.) أو اسم القول، كما في: (لا تقل كلمة أخرى.) و(احكِ لي قصة.)[٢]

وترصد الدراسة هنا أن ما قدمه هاليداي عن العملية القولية يتفق إلى حد بعيد وما قدمه النحاة العرب، وإن اختلفت المصطلحات، وقد عقد السيوطي بابا في كتابه همع الهوامع بعنوان: "استعمالات القول وما تصرف منه" ذكر فيه بحث النحاة في هذه المسألة وآراءهم، فقال من جملة ما قال: "في القول وما تصرف منه استعمالات: **أحدها:** أن يُحكى به الجمل، نحو: ﴿قال إني عبد الله﴾ [مريم: ٣٠] ... والأصل أن يُحكى لفظ الجمل كما سُمع، ويجوز أن يُحكى على المعنى بإجماع... وإذا حكيت كلام متكلم عن نفسه، نحو: انطلقتُ. فلك أن تحكيه بلفظه، فتقول: قال فلان: انطلقتُ. ولك أن تقول: قال فلان: انطلقَ، أو إنه انطلقَ... وهل يلحق بالقول في ذلك معناه: كناديت، ودعوت، وقرأت، ووصيت، وأوحى؟ قولان، أحدهما: نعم، وعليه الكوفيون، نحو: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف: ٧٧] ... واختاره ابن عصفور وابن الصائغ وأبو حيان لسلامته من الإضمار. والثاني: لا، وعليه البصريون. وقالوا الجمل بعد ما ذكر محكية بقول مضمر للتصريح به في نحو: ﴿نادى ربه نداء خفيا قال ربِ﴾ [مريم: ٣-٤] ... واختاره ابن مالك. **والثاني:** أن ينصب المفرد، وهو نوعان: **أحدهما** المؤدي معنى الجملة كالحديث والشعر والخطبة، كقلت: (حديثا وشعرا وخطبة) ... **الثاني:** المراد به مجرد

---

[١] كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: من الآية ٢] وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: من الآية ٢٧]

[2] Halliday, M. A. K. (1994). P. 141.

اللفظ، وهو الذي لا يكون اسما للجملة نحو: (قلت كلمة.) هذا ما ذهب إليه الزجّاجيّ والزمخشري وابن خروف وابن مالك، وجعلوا منه: ﴿يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠][١]

ستأخذ الدراسة برأي الكوفيين في إلحاق ما كان بمعنى القول بالقول، لاتفاقه مع ما يذهب إليه هاليداي من النظر إلى القول بمعناه العام. وبناء على ذلك ستضم الدراسة الأفعالَ التي ذكر النحاة العرب أنها تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، ولها معنى القول - إلى العملية القولية. وهذه الأفعال هي: أخبر، خبّر، أنبأ، نبَّأ، حدَّث[٢]. كما في الجدول ٤(٣):

الجدول ٤(٣) تحليل لعمليات قولية

عملية قولية	**قائل**	**مقول له**	**المقول: عملية وصفية**	
			موصوف	**صفة إسنادية**
أخبرت	وسائلُ الإعلام	الشعبَ	(أن) الشائعات	غير صحيحة
أُخبر		الشعبُ	الشائعات	غير صحيحة
قالت	وسائلُ الإعلام		(إن) الشائعات	غير صحيحة
قيل		للشعبِ	(إن) الشائعات	غير صحيحة
ذكرت	وسائلُ الإعلام		(أن) الشائعات	غير صحيحة

[١] الهمع: ص٥٠١ -٥٠٢.

[٢] لا تنظر الدراسة إلى هذه الأفعال بوصفها قسيمة لأفعال باب ظن وأخواتها، وإن شاركتها بعض السلوك النحوي؛ فهذه الأفعال تمثل عمليات قولية، وأفعال باب ظن وأخواتها تمثل عمليات عقلية تدل دلالة صريحة على الموقفية.

ويقدم الجدول ٤(٤) ملخصا للسمات الدلالية والنحوية للعمليات المادية والعقلية والقولية، وهذا الجدول مستوحى من نظيره الذي قدمه هاليداي عن الإنجليزية، وهو بطبيعة الحال مُعدَّل وفقًا لخصائص العمليات في اللغة العربية حسب ما رصدتها الدراسة، وقد أُضيف إلى الجدول (أفعال السجايا) التي تعدها الدراسة نمطا ملحقًا بالعمليات الوصفية؛ لأن أفعالها تدل على الوصف لا الحدث. وستناقش الدراسة سماتها النحوية والدلالية عقب العملية الوصفية.

الجدول ٤(٤) ملخص السمات النحوية والدلالية للعمليات المادية والعقلية والقولية

السمات / العملية	المادية		العقلية					القولية	أفعال السجايا
معنى القِسم	**الفعل**	**الحدث**	**اليقين والرجحان**	**انفعال**	**الإرادة أو الرغبة**	**الإدراك الحسي**	**الإدراك العقلي**	**القول**	**الوصف**
المسند إليه عاقل	+	+/−	+	+	+	+	+	+/−	+/−
التعدي:	+/−	+/−	+	+/−	+	+	+	+	− (لازمة دائما)
لمفعول واحد	+/−	+/−	−	+/−	+/−	+ (يناسب الحاسّة)	+	+/−	؟
لمفعولين:	+/−	+/−	+	−	−	−	−	−	؟
ثانيهما جملة أو شبه جملة	−	−	+	؟	؟	؟	؟	؟	؟
التعدي إلى مصدر مؤول	−	−	+	+	+	+	+	+	؟
التعدي إلى جملة	−	−	+	−	−	+	+	+	؟
الإلغاء	−	−	+	−	−	−	−	−	؟
وقوع فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين متَّحدي المعنى	−	−	+	؟	؟	؟	؟	؟	؟
البناء للمجهول	+	+	+	+	+	+	+	+	−

صوغ فعل أمر، ودخول "لا" الناهية	+	+	+	+	+	+	+	+	−
الاعتماد على صيغة صرفية معينة	−	−	−	+ (فَعِل) غالبا	−	−	−	−	+ (فعُل) عادة، (فعِل) أحيانا ٠
صوغ صيغة فاعل من الثلاثي	+	−/+	−/+	−/+	−/+	+	+	+	− (عادة)
صوغ صيغة مفعول من الثلاثي	+	−/+	−/+	−/+	−/+	+	+	+	− (عادة)
التعبير عن موقفية صريحة	−/+	−/+	+	+	+	−/+	−/+	−/+	+
الوقوع في النفس	−	−	+	+	+	+	+	−	؟
الانعكاسية	−	−	−	+	−	−	−	−	؟

مفتاح الجدول: (+) وجود السمة، (−) غياب السمة، (−/+) وجود السمة في بعض أفعال القسم وغيابها في بعض، أو وجودها في الفعل الواحد أحيانا وغيابها أحيانا أخرى، (؟) غياب السمة لاعتمادها على سمة أخرى غائبة أيضًا.

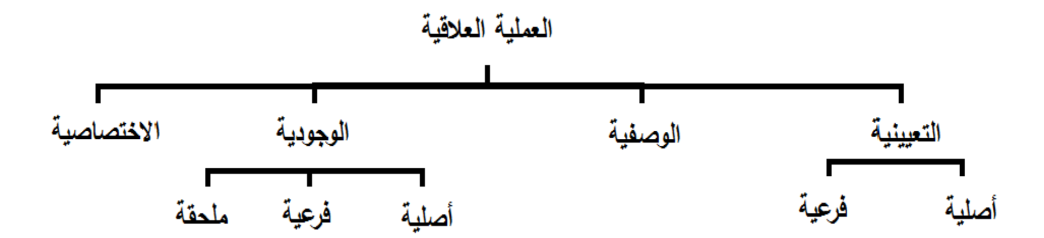
٤–٩ العمليات العلاقية

تُمثل العمليات العلاقية العلاقات بين الموجودات، ولا تُقدم عادةً أفعالا ولا أحداثا. وفي تسميتها بـ "العمليات" شيء من التجوز كما قلنا سابقا؛ لأن الجمل المعبرة عنها نحويا تخلو عادةً من الفعل النحوي. وهذه تعد السمة النحوية الرئيسة المميزة للعمليات العلاقية عن نظيرتيها المادية والعقلية؛ وهي التي تضفي عليها طابع الثبات. تُمثل العمليات العلاقية عمليات التعيين والوصف والاختصاص والوجود، إننا نستخدمها لربط جزء من تجربتنا الإنسانية بجزء آخر: هذا هو ذاك، هذا نوع من ذاك، هذا لذاك، هذا هنا، وذاك هناك، بعبارة أخرى تُنشئ العملية علاقة بين كيانين.[1] ولأن هذه العمليات تخلو من الفعل النحوي يتصل بها أحيانًا ما يدل على الزمان، نحو: (كان، سيكون) والجهة، نحو: (ظل) والموقفية، نحو: (لعل، قد). ويمكن القول إن مفهوم العملية في قسم العمليات العلاقية يشير إلى وظيفة الجملة أيضا، فهناك جملة وظيفتها التعيين وأخرى وظيفتها الوصف، وهكذا.

يقسم هاليداي هذه العمليات إلى ثلاثة أنماط: مركزة intensive وظرفية circumstantial وملكية possessive ويقسم كل نمط إلى صيغتين: هوية identity ووصف attribute، فتنتج ستة أقسام. أما الدراسة فتقسمها إلى أربعة أقسام رئيسة لكلٍ منها وظيفته الخاصة، كما في الشكل (٤–٣). وقد عدلت الدراسة عن استخدام مصطلحي "المبتدأ والخبر" هنا لأنهما لا يدلان على المراد لعمومهما، وينبغي هنا ملاحظة أن التحليل النحوي التقليدي الذي يحشد هذه الأقسام جميعا تحت تحليل واحد: (مبتدأ+ خبر) دون تمييزٍ للفروق الدلالية بينها، لم يعد كافيا عند تحليل النصوص.

---

[1] Halliday, M. A. K. (1994). P. 119.



الشكل (٤- ٣) أقسام العملية العلاقية

٤-٩-١ تقسيم النحاة العرب

رصد النحاة العرب ثلاث علاقات فقط بين المبتدأ والخبر، يقول سيبويه: "اعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنيُّ عليه شيئا هو هو، أو يكون في مكان أو زمان. وهذه الثلاثة يذكر كل واحد منها بعد ما يُبتدأُ"[١] ويقول المبرد: "اعلم أن خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئا هو الابتداء في المعنى نحو زيد أخوك وزيد قائم، فالخبر هو الابتداء في المعنى أو يكون الخبر غير الأول فيكون له فيه ذكر فإن لم يكن على أحد هذين الوجهين فهو محال، ونظير ذلك زيد يذهب غلامه وزيد أبوه قائم وزيد قام عمرو إليه"[٢]

وتذهب الدراسة إلى أن النحاة العرب لم يفرّقوا بين علاقتي التعيين والوصف، على الرغم من أن بينهما كثيرا من الفروق النحوية والدلالية والبلاغية، يقول ابن يعيش: "فإذا كان الخبر مفردا، كان هو المبتدأ في المعنى، أو منزلا منزلته. فالأول نحو قولك: "زيد منطلق"، و"محمد نبينا"؛ فالمنطلق هو(زيد)، و(محمد) هو النبي - صلي الله عليه وسلم -. ويؤيد عندك ههنا أن الخبر هو المبتدأ، أنه يجوز أن تفسر كل واحد منهما بصاحبه؛ ألا تراك لو سئلت عن زيد من قولك: **(زيد منطلق)**، فقيل: (من زيد هذا الذي

---

[١] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر (-١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م. ج٢، ص١٢٧.

[٢] المقتضب، ج٤، ص١٢٧-١٢٨.

ذكرته؟) لقلت: **(هو المنطلق)**، ولو قيل: (من **المنطلق؟**) لقلت: (هو زيد). فلما جاز تفسير كل واحد منهما بالآخر، دل على أنه هو."[1] ستوضح الدراسة فيما يلي ما رصدته من فروق بين العلاقات كلها، ولكن ينبغي هنا التنبيه إلى المغالطة اللغوية التي وقع فيها ابن يعيش بإضافة (ال) التعريف إلى الخبر، فصار جملة (زيد منطلق) (زيد المنطلق) فأصبحت صالحة لتعيين زيد، أما جملة (زيد منطلق) ـ التي يدَّعي النحاة أن المبتدأ عين الخبر فيها ـ فلا تصلح جوابا للسؤال: (من زيد؟).

لم يلتفت النحاة كذلك إلى علاقات التخصيص والملك والاستحقاق بين المبتدأ وخبره، فلا موقع لجملة: (لزيد دار) في تقسيمهم. ولو احتج لهم محتج بأن الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: (كائن أو مستقر)، فمعنى هذا أن العلاقة في هذه الجملة كالعلاقة في حالة وقوع المبتدأ في زمان أو مكان؛ لأنهم يقدرون لها التقدير نفسه، وتؤول القضية مع هذه التقديرات إلى أن المبتدأ عين الخبر في كل جملة خالية من الفعل، وهو كلام فاسد دلاليا ووظيفيا.

كان النحاة العرب على وعي إذًا بالعلاقة الدلالية بين المبتدأ وخبره، يشهد لذلك أيضا قولهم: "المبتدأ عين الخبر في المعنى"[2]. وتتفق الدراسة وهذه المقولة في العملية التعيينية فقط لا غير؛ لأن النحاة قد عمموا هذه المقولة على كل مبتدأ وخبره، ولما لم يستقم لهم الأمر في حال وقوع الخبر صفة للمبتدأ(أي فيما تسميه الدراسة العملية الوصفية) أو شبه جملة جرية أو ظرفية (أي فيما تسميه الدراسة العملية الوجودية والاختصاصية)، زعموا أن الصفة عين الموصوف، في نحو: (زيد منطلق)، واضطروا

---

[1] شرح المفصل لابن يعيش، ج١، ص٢٢٨.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام المصري، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٤٩٧، ٥٤٧. وحاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، جـ ١، ص٢٨٣، جـ ٢، ص٧١.

مع شبه الجملة إلى أن يقدروا كلمات، مثل: كائن أو مستقر أو موجود؛ لا حاجة إليها نحويا أو دلاليا أو وظيفيا، حتى تطرد المقولة، فيتحقق الرابط المتخيّل بين المبتدأ والخبر، وكأن علاقات الوجود والاختصاص التي يجسدها نحويا الإسناد ليست رابطا كافيا. الغريب أن النحاة في هذه المسألة قد انطلقوا من ملاحظة العلاقة الدلالية بين المبتدأ وخبره ثم انتهوا إلى تقدير كلمات لا تضيف شيئا على المستوى الدلالي.

٤-٩-٢ الاستفهام وسبر وظيفة الجملة

استعان النحاة بالاستفهام في بيان وظيفة الخبر في الجملة، يشهد لهذا قول ابن السراج: "خبر المبتدأ يكون جواب (ما) و(أي)، و(كيف)، و(كم)، و(أين)، و(متى)، يقول القائل: (الدينار ما هو؟) فتقول: (حجر)، فتجيبه بالجنس، ويقول: (الدينار أي الحجارة هو؟) فتقول: (ذهب)، فتجيبه بنوع من ذلك الجنس، وهذا إنما يسأل عنه من سمع بالدينار ولم يعرفه. ويقول: (الدينار كيف هو؟) فتقول: (مدور أصفر حسن منقوش)، ويقول: (الدينار كم قيراطًا هو؟) فتقول: (الدينار عشرون قيراطًا)، فيقول: (أين هو؟) فتقول: (في بيت المال) والكيس ونحو ذلك، ولا يجوز أن تقول: (الدينار متى هو؟)، وقد بينا أن ظروف الزمان لا تتضمن الجثث إلا على شرط الفائدة، والتأول، ولكن تقول: (القتال متى هو؟) فتقول: (يوم كذا وكذا)"[١]

٤-٩-٣ العملية التعيينية

في العملية التعيينية يُستخدم شيء ليُعيِّن هُوية أو ماهية شيء آخر، وتُطلق الدراسة على الأول مصطلح "المعيِّن" وعلى الثاني مصطلح "المعيَّن"[٢]، من أمثلة العملية التعيينية: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾[٣]، وقولنا: الذي

---

[١] الأصول، ج١، ص٦٩، ٧٠.

[2] Halliday, M. A. K. (1994). P. 122.

[٣] يوسف: ٩٠

قابلك أمس صديقي. التِرْسَة السُّلَحْفاة البحرية. اللِّثَة اللحم النابت حول الأسنان. كمال رئيس اللجنة. وهذه الجملة الأخيرة تحتمل تحليلين دلاليين، إن عريت من السياق؛ فقد تكون جوابا للسؤال: من كمال؟ أو للسؤال من رئيس اللجنة؟، أي يكون (كمال) تارة (معيِّنا) وتارة أخرى (معيَّنا).

السمات الدلالية والنحوية المميزة للعمليات التعيينية:

١- الوظيفة الدلالية لهذه العمليات هي تعيين الهوية أو الماهية.

٢- يُشترط في الاسمين اللذين هما ركنا الجملة أن يكونا معرفتين. معنى هذا أنه من الممكن أن يتبادلا الوظيفة النحوية والدلالية، يترتب على هذا:

أ- أن التقديم يُغيِّر الوظيفة النحوية، فيصير المسند إليه مسندا. "وقد يقع المبتدأ والخبر معرفتين معا كقولك: "زيد المنطلق"، و"الله إلهنا"، و"محمد نبينا"... ولا يجوز تقديم الخبر هنا، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ"[1]

ب- أن التقديم يُغيِّر الوظيفة الدلالية، فيصير المُعيِّن مُعيَّنا.

ج- أن الخبر ليس "الجزء المتم الفائدة"[2]؛ فالمبتدأ والخبر كلاهما معلوم للمخاطب، والجديد هو الإسناد أو علاقة التعيين. يقول ابن يعيش: "فمتى كان الخبر عن المعرفة معرفة، كانت الفائدة في مجموعهما".[3]

٣- قد يقع ضمير الفصل بين ركني الجملة، للتوكيد أو دفع احتمال اللبس أو المجاز.

---

[1] شرح المفصل لابن يعيش، ج١، ص٢٤٦-٢٤٧.

[2] ابن عقيل، قاضي القضاة عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله القرشي العقيلي الهمداني المصري (-٧٦٩هـ) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١٩٩٨م، المجلد١، ج١، ص٢٠١.

[3] شرح المفصل لابن يعيش، ج١، ص٢٤٧.

٤- الاستفهام المناظر للجملة تكون أداته: من، وما، وأي. "إذا كان الخبر معرفة أو معهودًا فإنما يقع في جواب (من) و(أي) نحو قوله: (زيد من هو؟) والمعنى: (أي الناس هو؟) و(أي القوم هو؟) فتقول: (أخوك المعروف) أو (أبو عمرو)"[١]

٥- يرى هاليداي أن بعض الجمل التعيينية لو اقتُطعت من سياقها وقدمت مكتوبة تصبح غامضة،[٢] وهذا اللبس موجود في أقوال مثل: (البيت هو المكان الذي فيه قلبك) التي قد تعني: لأنك تعيش في مكان تحبه، أو: لأنك تحب مكانا تشعر وأنت فيه أنه بيتك، ومثل: بيت الإنجليزي قلعته، وأشباه ذلك من الحكم القديمة.[٣] يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أنه ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ وخبرا، ثم يقدم الذي هو الخبر، إلا أشكل الأمر عليك فيه، فلم تعلم أن المقدم خبر، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر." [٤]

٤-٩-٣-١ من التعيين إلى الوصف: العملية التعيينية الفرعية

العملية التعيينية يكون ركناها معرفة، والمعنى: "هذا هو ذاك" فإن كان الأول هو الثاني حقيقةً، كانت وظيفة الجملة هي التعيين، وإلا كان الأول هو الثاني ادعاءً من المتكلم، وخرجت الجملة عن معنى التعيين - وإن ظلت في قالبه - إلى معنى المبالغة، فمن المبالغة مع التشبيه، قوله صلى الله عليه وسلم: "الحمو الموت"[٥] ومن

---

[١] الأصول، ج١، ص٦٩، ٧٠.

[2] Halliday, M. A. K. (1994). P.127.

[٣] انظر تحليل هاليداي لجملتي (الموت نهاية الحياة، ونهاية الحياة الموت) (Halliday, M.A.K. (1994). P.138.) وتحليل عبد القاهر لجملتي (عتابك السيف والسيف عتابك). أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (~٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م. ص٣٧٢.

[٤] الدلائل، ص٣٧١-٣٧٤.

[٥] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (- ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٥٤/١٤.

المبالغة دون التشبيه قوله صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفة"[1] و"الدين النصيحة"[2] تستند الدراسة في تقسيم العملية التعيينية إلى أصلية وفرعية إلى عبد القاهر الجرجاني، حيث يقول:

"قولنا: (هو هو) على معنيين أحدهما أن يكون للشيء اسمان يعرفه المخاطَبُ بأحدهما دون الآخر، فإذا ذُكر باسمه الآخر توهَّم أن معك شيئين، فإذا قلت: زيد هو أبو عبد الله، عرّفته أن هذا الذي تذكر الآن بزيد هو الذي عَرَفه بأبي عبد اللَّه، والثاني أن يراد تحقيقُ التشابُه بين الشيئين، وتكميله لهما، ونَفْيُ الاختلاف والتفاوت عنهما، فيقال: (هو هو)، أي لا يمكن الفرقُ بينهما؛ لأن الفرق يقع إذا اخْتُصَّ أحدهما بصفةٍ لا تكون في الآخر، هذا المعنى الثاني فرعٌ على الأوّل، وذلك أن المتشابهين التشابُهَ التامَّ، لمَّا كان يُحسَبُ أحدهما الآخر، ويَتوهَم الرائي لهما في حالين أنه رأى شيئا واحدا، صاروا إذا حققوا التشابُه بين الشيئين يقولون: (هو هو)[3]".

ويقول ابن جني: "وسبب تمكّن هذه الفروع عندي أنها في حال استعمالها على فرعيتها تأتي مأتى الأصل الحقيقي لا الفرع التشبيهي، وذلك قولهم: أنت الأسد، وكفُّك البحر، فهذا لفظه لفظ الحقيقة، ومعناه: المجاز والاتساع، ألا ترى أنه إنما يريد: أنت كالأسد، وكفُّك مثل البحر"[4] ويقول ابن يعيش: "فإذا كان الخبر مفردا، كان هو المبتدأ

[1] المرجع السابق: ١١٦/٩.

[2] المرجع السابق: ٣٧/٢.

[3] أسرار البلاغة، ص٢٥١-٢٥٢. راجع كذلك: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (-٧٤٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تقديم: إبراهيم الخولي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م. ج٢، ص٢١-٢٤.

[4] الخصائص، ج٢، ص١٧٩.

في المعنى، أو منزلا منزلته. ... وأما المنزل منزلة ما هو هو، فنحو قولهم: "أبو يوسف أبو حنيفة"؛ فأبو يوسف ليس أبا حنيفة، إنما سد مسده في العلم، وأغنى غناءه."[1]

٤-٩-٤ العملية الوصفية

تُستخدم العملية الوصفية لوصف اسم ذات أو معنى بصفة ما، وتتكون من موصوف وصفة، ولا حاجة ـ على المستوى الدلالي ـ إلى التمييز بين الخبر والنعت، فكلاهما وظيفته الدلالية الأساسية هي الوصف، ويشتركان أيضا في كثير من الوظائف الفرعية التي من أجلها يجيء الوصف، كالمدح والذم والتعريض والترحم...إلخ. أما التمييز بينهما على مستوى الإسناد، فليس هذا الفصل موضع الكلام عنه. من أمثلة العملية الوصفية: باريس مدينة جميلة. بولت عدَّاء كينيّ. قارن الجملتين السابقتين بالجملتين: باريس عاصمة فرنسا. بولت أسرع رجل في العالم. (حيث العملية تعيينية؛ الجملة الأولى تصلح جوابا للسؤال: (ما باريس؟) أو (ما عاصمة فرنسا؟) والثانية تصلح جوابا للسؤال: (من بولت؟) أو (من أسرع رجل في العالم؟)).

ذكرت الدراسة سابقا أن وظيفة العملية التعيينية هي تعيين ذات؛ لذا يكون طرفاها المعيِّن والمعيَّن معرفتين، وبطبيعة الحال يكون المعيِّن أعرف نحويا من المعيَّن. فعلى سبيل المثال عند تحليل جملة: (أنا سعيد) على افتراض أنها جواب للسؤال: (من أنت؟) أو (من سعيد؟) ـ وعلى ذلك يكون (سعيد) هنا اسم علم، والجملة عملية تعيينية ـ نجد من غير المستساغ أن يتقدم (سعيد) فيقال في جواب أي من السؤالين السابقين: (سعيد أنا)؛ لأن الضمير (أنا) أعرف من العلم (سعيد). أما إن حللناها على افتراض

---

[1] شرح المفصل لابن يعيش، ج١، ص٢٢٨.

أن "سعيد" صفة، نجد من المستساغ أن يقال: (سعيد أنا) كما يقال: (كريم أنتَ) و(رقيقة أنتِ).

السمات الدلالية والنحوية المميزة للعمليات الوصفية:

١- الوظيفة الدلالية لهذه العملية هي وصف اسم ذات أو اسم معنى بصفة معينة.

٢- الوحدة النحوية الموظَّفة (صفة) تكون مشتقا غير متصل بـ "ال"، أو اسم ذات، أو شبه جملة جار ومجرور، وحرف الجر هو كاف التشبيه، وقد تكون مصدرا، لكنها لا تكون ضميرا، ولا علما، يعد هاليداي جملة: (He is another Charles Darwin.) وصفية،[1] لكن الدراسة تعد المقابل التركيبي العربي، كما في: (هو حاتم كرمًا)، تعيينية فرعية، تقع في منطقة وسطي بين التعيينية، (هو حاتم) والوصفية (هو كريم)؛ لأنها ليست عملية تعيينية حقيقية، وفي الوقت نفسه تستمد من قالب العملية التعيينية معنى المبالغة غير الموجود في الوصفية. (وكذلك جملة: أبو يوسف أبو حنيفة)

٣- التقديم لا يؤثر على الوظيفة النحوية لركني الجملة، بل يظل المسند إليه والمسند، سواء تقدَّم أحدهما أم تأخَّر.

٤- التقديم لا يؤثر على الوظيفة الدلالية لركني العملية، بل يظل الموصوف والصفة على حالهما سواء تقدَّم أحدهما أم تأخَّر.

٥- الفائدة في الإسناد والخبر معًا.

٦- لا يقع ضمير الفصل بين ركني الجملة.

[1] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). P. 219.

٧- الاستفهام المناظر للجملة تكون أداته: (كيف)، و(ما) و(أي) و(كم).[١]

٨- إن اقتُطعت الجملة من سياقها لا تكون مُلبسة عادة.

٤-٩-٤-١ من الوصف إلى التعيين

تتحول العملية الوصفية إلى تعيينية بإحدى طريقتين: الأولى هي استخدام (أفعل) التفضيل، يقول هاليداي: لو قيل: مصطفى طويل، فهذا لا ينفي وجود أشخاص آخرين طوال غيره، هذا لا يعطيه هوية شخصية مُميّزة. أحد طرق النظر إلى العملية التعيينية هي أن نُضيِّق القسم في العملية الوصفية حتى يُصبح قسما فيه فرد واحد فقط، فلو قلنا: مصطفى الأطول، فهذا سوف يُعيّنه؛ لأننا قد ذكرنا أن هناك فردا واحدا فقط في القسم، حالة فريدة أو وحيدة (هذا لا يعني بطبيعة الحال أنْ ليس هناك أشخاص أطول منه في العالم، وإنما يعني فقط أنه كذلك في السياق المقصود أو الحالي، فعلى سبيل المثال لو أن هناك خمسة أولاد في العائلة، وسأل سائل من مصطفى؟ أو أيهم مصطفى؟ فقيل مصطفى الأطول، لعيَّنته هذه الجملة)[٢].

وترى الدراسة أن ثمة طريقة أخرى تتحول بها العملية الوصفية إلى عملية تعيينية، وهي إحدى الطرق التي تعتمد عليها المعاجم في تعريف الأسماء، وهي تعداد أوصاف الشيء حتى يتعيَّن، فعلى سبيل المثال، تعد جملة: (الحديد عنصر فلزي) عملية وصفية، لا تُعيِّن الحديد؛ إذ يشترك معه في هذا الوصف عشرات الفلزات حتى الزئبق، فلو قيل: (الحديد عنصر فلزي يجذبه المغناطيس.) بإضافة وصف آخر ضاقت

---

[١] تعد الدراسة تعيين المقادير والأوزان والمساحات ونحوها من الوصف، كما في نحو: (المسافة من القاهرة إلى الإسكندرية مائتا كيلو متر) (السرعة المسموح بها ستون كيلو مترا في الساعة.) (الديّة ألف ناقة.) (الأجرة جنيهان.) (الساعة الآن السادسة تماما.) (التفاح الكيلو بخمسة جنيهات).

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 122.

الدائرة فأصبحت تضم الحديد، والنيكل فقط، فلو قيل: "الحديد عنصر فلزي يجذبه المغناطيس يصدأ"[١] تعيَّن الحديد؛ إذ النيكل لا يصدأ. وصارت العملية تعيينية.

٤-٩-٤-٢ العلاقة بين العمليات الوصفية والعقلية

تشارك العملياتُ الوصفية العملياتِ المادية في التعبير عن التجربة الخارجية، كما في:(الحجرة فارغة.) وتشارك العملياتِ العقلية في التعبير عن التجربة الداخلية[٢]، فقد تُستخدم العملية العقلية فيقال مثلا: "يحزنني فراقك" أو تستخدم العملية الوصفية فيقال: " أنا حزين لفراقك"، وتمثيل الجملتين يكون كما في الجدول ٤(٥) التالي:

الجدول ٤(٥) العلاقة بين عمليتين وصفية وعقلية

يحزنـــــــــــــــ	ي	فراقك		أنا	حزين	لفراقك
عملية عقلية: شعور	مدرِك	الظاهرة المدركة		موصوف	صفة	محدِّد سببي

قد يختار المتكلم التعبير عن إدراكه أو شعوره أو غيرهما على نحو شخصي subjective فيقول مثلا: أنا لا أقبل هذا الأمر. وقد يعبر عنها كما لو أنها خصائص موضوعيةobjective properties فيقول مثلا: هذا الأمر غير مقبول. وهذه استراتيجية نحوية مهمة في سياقات التقييم والتقدير.[٣]

[١] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م. ص١٦١.

[2] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). P. 212.

[3] Ibid. P. 223-4.

٤-٩-٤-٣ نمط ملحق بالعملية الوصفية

تلحِق الدراسة بالعملية الوصفية أفعال السجايا، وتطلق عليها اسم "الصفة الفعلية"؛ إذ ترى أنها ليست أفعالا حقيقةً؛ وذلك لأسباب من أهمها: (أ) أن هذه الأفعال لا تدل حقيقة على فعل أو حدث ولا على زمن بعينه، وإنما تدل على وصف ملازم لصاحبه. قال الأشموني: " والمراد بأفعال السجايا ما دل على معنى قائم بالفاعل لازم لهِ كـ "نَهِم" ـ بكسر الهاء ـ الرجل إذا كثر أكله، وشجع، وجبن، وحسن، وقبح، وطال، وقصر، وما أشبه ذلك[١]" وقال الأزهري: "السجية "ما ليس حركة جسم، من وصف ملازم" للذات غير منفك عنها[٢]". وقال عباس حسن: "الأفعال الدالة على صفة تلازم صاحبها، ولا تكاد تفارقه إلا لسبب قاهر، وهي الأفعال الدالة على السجايا، والأوصاف الفطرية، مثل: شرف فلان، نبل – ظرف – قصر – طال – سمن – نحف" [٣]، وقال أحمد الحملاوي عن باب (فَعُل– يفعُل): "وهذا الباب للأوصاف الخِلْقية، وهي التى لها مُكْث. ولك أن تحوِّل كل فعل ثلاثيّ إلى هذا الباب؛ للدلالة على أن معناه صار كالغريزة فى صاحبه. وربما استعملت أفعال هذا الباب للتعجُّب، فتنسلخ عن الحدَث."[٤]

(ب) ولأنها صفة لازمة لصاحبها ـ على مستوى الدلالة ـ تكون لازمة على مستوى النحو أيضًا، يقول الرضي: "اعلم أن فَعُلَ في الأغلب للغرائز، أي: الأوصاف المخلوقة

---

[١] حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج٢، ص١٢٧.

[٢] شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص٤٦٤.

[٣] النحو الوافي، ج٢، ص١٥٤.

[٤] شذا العرف، ص٦٦. وراجع أيضًا: أبا حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (–٧٤٥هـ) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت. ج١، ص١٥٣. وابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد (–٧٦٩هـ) المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م. ٢/٥٨٥.

كالحسن وَالقُبْحِ وَالوَسَامَةِ وَالْقَسَامَة وَالكِبَرِ والصغر وَالطُّول وَالقِصَرِ وَالغِلَظِ وَالسُّهُولَةِ وَالصُّعُوبَةِ والشرعة والبطء والثِّقَلِ والحلم والرِّفق، ونحو ذلك وقد يُجْرَى غير الغريزة مجراها، إذا كان له لُبْث وَمُكْث نحو حَلُمَ وَبَرُع وَكَرُمَ وفَحُشَ، وقوله "ومن ثمة كان لازما" لأن الغريزة لازمة لصاحبها، ولا تتعدى إلى غيره هكذا قيل."[1] (جـ) ولأنها لا تدل على حدث حقيقةً؛ لا يصاغ منها اسم فاعل ـ باستثناء طهُر فهو طاهر ـ أو اسم مفعول أو اسم زمان أو اسم مكان أو اسم آلة. (د) وأنها لا تُبنى للمجهول (هـ) ولا تأتي منها صيغة (افعلْ) للأمر (و) ولا تدخل عليها "لا" الناهية. (ز) وتأتي غالبا من باب "فَعُل – يفعُل" الذي يعد أكثر الأبواب الصرفية التي تأتي منها الصفة المشبهة، ويختص بأن الصفة المشبهة على وزني "فَعَال" (مثل: جبان) و"فُعال" (مثل: شجاع) لا تأتي إلا منه[2]؛ وهذا ما تفسره الدراسة باتفاق "الصفة الفعلية" والصفة المشبهة في المعنى.

لا يبقى لأفعال السجايا إذًا حظٌ من الفعلية إلا أنها تجيء على صيغة (فعُل) و(يفعل). نعم، إن استُخدمت بعض هذه الأفعال في معنى الصيرورة، فستعدها الدراسة أفعالا حقيقية دالة على حدث الصيرورة، كأن يُستخدم (شرُف الرجل) لا بمعنى: هو شريف، والشرف سجية لازمة له كل وقت، وإنما بمعنى: صار شريفا، وكذلك (نحُفت الماشية) بمعنى: صارت نحيفة بعد أن كانت سمينة.

٤-١٠ العمليات الوجودية

تُقسم الدراسة العمليات الوجودية إلى قسمين: **القسم الأول أصلي**، يضم عمليات تُمثِّل أن شيئا موجود في موضع ما، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾[3] وقولنا: (القلم فوق الكتاب)، (الكرسيّ أمام

---

[1] شرح شافية ابن الحاجب للرضي، ٧٤/١.

[2] راجع: سعد عبد الرحيم، مقدمة في علم الصرف، مكتبة الآداب، القاهرة. د.ت. ص٨٧.

[3] الأنفال: من الآية ٤٢.

المكتب)، (المكتب في الحجرة). وهذا القسم لا يُقدم فعلا ولا حدثا مطلقا، وإنما يُقدم حالة وجودية ثابتة أو علاقة بين موجود ومكان. يُطلق على اسم الذات واسم المعنى اللذين تُمثِّل العملية وجودهما مصطلح "الموجود"[1] ويُطلق على الوحدة النحوية الدالة على مكان وجودهما مصطلح "المحدِّد المكاني" وهي تكون شبه جملة جريًّا أو ظرفيًّا أو ظرفًا.

يشيع في الاستخدام المعاصر استخدام "هناك" و"ثمة" للدلالة على الوجود، فيقال مثلا: (هناك مشكلة)، و(ثمة حلٌّ). وتجدر الإشارة هنا إلى أن "هناك أو ثمة" في هاتين الجملتين وما يشبههما لا تُشير حقيقةً إلى موضع بعينه، بخلاف الحال في قولنا مثلا: (قِفْ هناك). ولعل شيوع هذا الاستخدام نتيجة للترجمة عن الإنجليزية؛ "ففي الإنجليزية قد تُستخدم "there" ولا يكون لها وظيفة تمثيلية، على الرغم من الحاجة إليها نحويا بوصفها مسندا إليه [كما في قولنا مثلا: (There are signs) وفي هذه الحالة يسميها بعض النحاة (dummy element) أو (empty unit)[2]] ، وهذا الاستخدام يختلف عن استخدامها ظرفا". وفي هذا القسم يُعبَّر عن الوجود نحويا (والموجود يكون اسم ذات). وقد تقترن عمليات هذا القسم التي تخلو بطبيعتها من الفعل بما يدل على الزمن، فيقال مثلا: (كان الكتاب على المنضدة)، (سيكون التقرير أمامك غدا). وقد تُستخدم في الوصف؛ للدلالة على تمكُّن الصفة من الموصوف أو تمكن الموصوف من الصفة، كما في: (هم في ضلال) و(هو على خُلُق) و(أنت على حقٍ). يقول المبرد: "ومن هذه الحروف (في) ومعناها: ما استوعاه الوعاء، نحو قولك: (الناس في مكان كذا) و(فلان في الدار) فأما قولهم: (فيه عيبان) فمشتق من ذا؛ لأنه جعله كالوعاء للعيبين، والكلام

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 143.

[2] "عنصر غير ذي معنى ولكنه يُسهم في التركيب؛ إذ إن الجملة تفقد نحويتها بإسقاطه" رمزي منير البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٦٢، ١٧٠

يكون له أصل ثم يتسع فيه فيما شاكل أصله، فمن ذلك قولهم: (زيد على الجبل) وتقول: (عليه دين) فإنما أرادوا أن الدين قد ركبه وقد قهره."[1]

أما القسم الثاني فهو قسم فرعي، لا يُعبِّر عن الوجود بقدر ما يعبر عن الحدوث، وهو (أ) إما أن يستخدم قالب العملية الوجودية، كما في: (اعتداءات عنيفة في الميدان) (ب) أو أن يستخدم مجموعة محدودة من الأفعال اللازمة الدالة على الوجود المجرد، مثل: كان، وُجد، وقع، حدث، جرى، ... إلخ، كما في: (وقعت اعتداءات عنيفة في الميدان). في الحالة (ب) يُعبَّر عن الوجود معجميا. (والموجود يكون عادةً اسم معنى/عملية أخرى). تذهب الدراسة إلى أن عمليات هذا القسم تقع في منطقة وسطى بين عمليات القسم الأول الأصلي والعمليات المادية، فثمة علاقة بين العملية الوجودية الفرعية والعملية المادية، يقول سيبويه: "ألا ترى أنَّ قولك: (قد ذَهَبَ) بمنزلة قولك: (قد كان منه ذَهَابٌ)[2]".

تنبع قيمة التمييز بين هذه العمليات من أن بعض العمليات المادية قد تُمثَّل كما لو كانت عمليات وجودية، تبعا لأغراض المتحدثين وانتماءاتهم، فعلى سبيل المثال قد تنشر بعض الصحف خبر واقعة معينة فتقول: (اعتداءات عنيفة في الميدان)، وقد تنشره صحيفة أخرى فتقول: (اعتدت قوات الأمن على المتظاهرين في الميدان). الواقعة واحدة في الحالين تمثلها الصحيفة الأولى على أنها عملية وجودية، وهذا التمثيل يتجاهل أن العملية هي عملية فعل، فيقدم الفعل في صورة المصدر كما لو كان اسم ذات، وهذا الإجراء يختزل عنصر الزمن والمشاركين في عملية الفعل والجهة والموقفية، فيضفي على العملية طابع الثبات الذي تمتاز به العملية الوجودية الأصلية ـ مثل: التمثال في الميدان ـ فلا يدري المتلقي متى كانت الاعتداءات، ولا من أوقعها ولا من وقعت عليه،

---

[1] المقتضب، ج١، ص١٨٤.

[2] الكتاب، ١/٣٤.

أما الصحيفة الثانية فتقدم الواقعة على أنها عملية مادية، فتذكر الفعل وزمنه وفاعله ومن وقع عليه الفعل. يوضِّح التحليل في الجدول ٤(٦) الفرق بين هذه العمليات.

الجدول ٤(٦) الفرق بين عملية وجودية أصلية وأخرى فرعية وعملية مادية

عملية وجودية أصلية	التمثال			في الميدان
	الموجود: اسم ذات			**محدد مكاني**
عملية وجودية فرعية	اعتداءات عنيفة			في الميدان
	الموجود: اسم معنى (عملية مادية: فعل)			**محدد مكاني**
عملية مادية	اعتدت	قوات الأمن	(على) المتظاهرين	في الميدان
	فعل	**فاعل**	**مفعول به**	**محدد مكاني**[1]

ترى الدراسة أن العملية الوجودية قد تتكون من موجود فقط، كما في: (– هل من ماء؟) في الاستفهام، و(– لا ماء.)[2] في جوابه، و(ألا ماء.) في التمني. يقدِّر النحاة العرب خبرا في الجملتين الأوليين (هو موجود أو كائن أو مستقر)؛ لتحقيق مقتضيات الصنعة النحوية. إن تغاضى التحليلُ عن أن الخبر المقدَّر لا حاجة إليه من جهة

[1] لاحظ أن شبه الجملة (في الميدان) هي محدد مكاني في الجمل الثالثة، سواء أوقعت مسندًا أم مقيِّدًا؛ لأن وظيفتها الدلالية لم تتغير.

[2] قال السيوطي: "حذف خبر هذا الباب [باب لا النافية للجنس] - إن عُلم - غالب في لغة الحجاز، ملتزَم في لغة تميم وطيئ، فلم يلفظوا به أصلا نحو ﴿لا ضير﴾ [الشعراء: ٥٠] ﴿فلا فوت﴾ [سبأ: ٥١] (ولا ضرر ولا ضرار) و(لا عدوى ولا طِيَرة) و(لا بأس)" الهمع ٤٦٩/٢. وراجع أيضًا شرح ابن عقيل، ج٢، ص٢٥.

المعنى، فلا يمكنه التغاضي عن غياب الاتساق المنهجي، فجمهور النحاة لا يقدرون خبرا في الجملة الثالثة[١]، ويعدونها كلاما تاما.! وقليل منهم يُقدِّره.[٢]

٤-١٠-١ نمط ملحق بالعملية الوجودية

أشارت الدراسة في الفصل السابق إلى أن الجمل التي ترد على الصورة التركيبية: (اسم معنى + محدد زماني)، كما في قولنا: (الامتحان الأسبوع القادم) ـ تمثِّل مشكلةً في التصنيف؛ لأنها تخلو من الفعل النحوي مثل العمليات العلاقية، ومع ذلك لا تدل على علاقة، وإنما تدل على الحدوث مثل العمليات المادية. وتفسِّر الدراسة هذه المشكلة بأن للمصدر طبيعة هجينة ـ إذا جاز التعبير ـ فهو يسلك نحويا سلوك الأسماء فيُجر، ويُعرف، ويُنون، ويُسند، ويُسند إليه، ويشترك مع فعله في بعض سلوكه النحوي وفي الدلالة على الحدث؛ ومن ثم يصلح للإخبار عنه بالزمان. فإن لم يدل المصدر على الحدوث لم يصلح للإخبار عنه بالزمان؛ لهذا لا تميِّز الدراسة هنا بين اسم الذات واسم المعنى فقط، بل تقسِّم اسم المعنى إلى قسمين ـ كما صنع النحاة في باب المفعول المطلق ـ (أ) مشعر بالحدث (ب) غير مشعر بالحدث؛ لأن هذا التقسيم له أهمية كبيرة عند النظر إلى الجملة في علاقتها بالواقع الخارجي (فكما أن بعض الأفعال لا تدل على حدث وإنما تدل على وصف كأفعال السجايا، فكذلك بعض المصادر)؛ وترجع أهميته إلى أنه ينعكس مباشرة على صحة الاستعمال النحوي. فلا يقال:(*الذكاء غدا)، و(* الجمال اليوم). تكون (أين) هي أداة الاستفهام المناظرة للجملة في هذا النمط.

٤-١١ العمليات الاختصاصية

---

[١] قال سيبويه: "صار مستغنيا عن الخبر كاستغناء (اللهم غلاما)، ومعناه: اللهم هب لي غلاما." الكتاب ٣٠٩/٢،

[٢] في التمني "مذهب سيبويه والخليل والجرمي أنها [أي: لا النافية للجنس] لا تعمل إلا عمل إن في الاسم خاصة، ولا يكون لها خبر لا في اللفظ ولا في التقدير... وذهب المبرد والمازني إلى جعلها كالمجردة فيكون لها خبر في اللفظ أو في التقدير." الهمع ٤٧٢/١.

تمثل العملية الاختصاصية علاقة عامة هي الاختصاص: اختصاص اسم ذات أو اسم معنى بشيء أو أمر. وتكون الصورة عامة لها هي (س لـ ص)، كما في: (لمحمد خمسة إخوة) وتُدخل الدراسة تحت علاقة الاختصاص علاقة الملك، كما في: (البيت لمحمد) وعلاقة الاستحقاق، كما في: (لكل مجتهد نصيب) و(الجائزة للفائز). وتكون (اللام) حرف الجر المعتمد في معاني الاختصاص والملك والاستحقاق[1] في حالة الإيجاب، كما في الأمثلة السابقة، وتقابلها (على) في حالة السلب، كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2] وقولنا: (لنا أموال عند التجار، وعلينا ديون واجبة الدفع)، (للملتزمين مكافأة، وعلى المخالفين غرامة)، وقد تجتمع اللام وعلى في الجملة الواحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْب﴾[3]و﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾[4]. يكون الاستفهام المناظر للعملية الاختصاصية بالهمزة، و(هل) و(لِمَنْ) و(كم). قد تخرج العملية الاختصاصية عن معاني الاختصاص والملك والاستحقاق إلى معانٍ أُخر، كما في: (ألك حاجة؟) (لهم شكوى) (لي سؤال أو استفسار أو طلب).

٤-١٢ وقوع الفعل في العمليات العلاقية

قد يقع في العمليات العلاقية بعض الأفعال التي تدل على علاقات التعيين والوصف والوجود والاختصاص والملك والاستحقاق، ولا تدل على حدث على الحقيقة،

---

[1] راجع: الزجاجي، أبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (-٣٤٠هـ) حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحمد، دار الأمل، الأردن، ط٢، ١٩٨٦م. ص٤٤. والمالقي، أحمد بن عبد النور (-٧٠٢هـ) رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت. ص٢١٨. والمُرادي، الحسن بن قاسم (-٧٤٩هـ) الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م. ص٩٦. قال ابن هشام لام الاستحقاق هي "الواقعة بين معنى وذات، نحو: الحمد لله والعزة لله...ونحو: ﴿ويل للمطففين﴾ [المطففين: ١]" انظر: ابن هشام، أبا محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد (-٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م. ج١، ص٢٣٣.

[2] (البقرة: من الآية ٢٨٦)

[3] (الشعراء: من الآية ١٤)

[4] (إبراهيم: من الآية ٢٢)

يعرض الجدول ٤(٧) أمثلة لذلك. ويُقدِّم الجدول ٤(٨) التالي له ملخصًا للفروق الدلالية والنحوية بين العمليات العلاقية: التعيينية الأصلية والوصفية والوجودية الأصلية والاختصاصية.

الجدول ٤(٧) وقوع الفعل النحوي في العمليات العلاقية

العدل (يعني) إعطاء كل ذي حق حقه.	عملية علاقية: تعيينية
غياب الأمن (يمثل) عقبة في طريق الاقتصاد.	عملية علاقية: وصفية
الولد (يشبه) أباه. (الولد مثل أبيه.)	عملية علاقية: وصفية
كانت المفاوضات (تتسم/تتصف) بالجدية. كانت المفاوضات جادة.	عملية علاقية: وصفية
(يملك) عليٌّ دارا. (لعلي دار.)	عملية علاقية: اختصاصية: مُلك
(يحوي/يضم) المتحف مقتنيات قيمة. في المتحف مقتنيات قيمة.	عملية علاقية: وجودية
الأعمدةُ الرخامية (تعلوها) قبةٌ مزخرفة. الأعمدةُ الرخامية عليها قبةٌ مزخرفة.[1]	عملية علاقية: وجودية

[1] يقول المبرد: "وقد يكون اللفظ واحدا ويدل على اسم وفعل، نحو قولك: (زيد على الجبلِ يا فتى) و(زيد علا الجبلَ) فيكون (علا) فعلا، ويكون حرفا خافضا، والمعنى قريب". المقتضب، ج١، ص١٨٤.

الجدول ٤(٨) ملخص للفروق الدلالية والنحوية بين العمليات العلاقية

العملية / السمات	التعيينية	الوصفية	الوجودية	الاختصاصية
الوظيفة	التعيين	الوصف	الوجود	الاختصاص
الصيغة العامة	س هو ص	س هو ص	س في ص	لـ (س) ص
ركنا العملية	المعيِّن والمعيَّن	الموصوف والصفة	الموجود والمحدد المكاني	المختص به والمختص
تمام المعنى بركن واحد	–	–	+	–
الاستفهام المناظر	من؟ ما؟ أي؟	كيف؟ ما؟ كم؟	أين؟	لمن؟ هل؟ كم؟
تعريف الركنين	+	+/–	؟	؟
وقوع ضمير الفصل بينهما	+/–	–	–	–
التقديم يُغيِّر الوظيفة النحوية	+	–	–	–
التقديم يُغيِّر الوظيفة الدلالية	+	–	–	–
الفائدة	في الإسناد وحده	في الخبر والإسناد	في الخبر والإسناد	في الخبر والإسناد
احتمال اللبس	+	–	–	–

٤-١٠ المُحدِّدات Circumstantial elements

قبل أن تشرع الدراسة في بيان المقصود بالمحددات تجدر الإشارة إلى أن الدراسة رأت أن ترجمة (circumstance) أو (adverb) إلى: ظرف أو حال غير دقيقة وقد تُحدث لبسا؛ لأن مفهوم المصطلحين في الإنجليزية أوسع معنى من مفهوم الحال أو الظرف في العربية. وقد ترجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة (adverb) إلى "مخصِّص الحدث"[١]وهي ترجمة أدق، لكنها تواجه إشكالا هو أنه قد يقع في الجملة الخالية من الحدث تماما في العربية والإنجليزية كلتيهما، في العربية كما في: الكتاب فوق المنضدة. وفي الإنجليزية كما في: .Tom is there ؛ لذا آثرت الدراسة استخدام مصطلح المحدد.

يقصد بالمحددات العناصر النحوية غير العملية والمشاركين، إن نُظر إلى الجملة بوصفها تمثيلا للواقع، أو العناصر النحوية غير المسند والمسند إليه والمتمم، إن نُظر إلى الجملة بوصفها تبادلا.[٢] ويصدق هذا المفهوم في العربية على: المفعول المطلق والمفعول لأجله والمفعول معه وظرفي الزمان والمكان والحال وتمييز النسبة والمستثنى. ويمكن ملاحظة أن المحددات في العربية تقع في الأشكال النحوية التالية: الاسم المنصوب، والمركب الاسمي المنصوب أوله، وشبه الجملة الجريّ والظرفيّ والظرف. وتتصل المحددات بكل أنواع العمليات، لكن العمليات المادية هي أكثر العمليات قابلية للاتصال بأكبر عدد من المحددات، والعمليات العلاقية هي أقلها. [٣]

يربط هاليداي بين هذه المفاهيم وأدوات الاستفهام (WH- forms) أين ومتى وكيف ولمَ...إلخ.[٤] ويمكن ملاحظة أن استخدام لأدوات الاستفهام لسبر (probe) أو

---

[١] رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م. ص ٣٣.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 150.

[٣] نورمان فيركلوف، تحليل الخطاب: البحث النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٢٦٨.

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 150.

فحص وظيفة العنصر النحوي في التركيب الواقع فيه ـ هو إجراء نحوي مستخدم في التقعيد لنحو العربية، وموجود في أقدم مصدر للنحو العربي كتاب سيبويه. يقول سيبويه عن الحال: "واعلمْ أنَّ هذا البابَ [باب الحال] أتاه النصبُ كما أتَى البابَ الأوّلَ، ولكنَّ هذا جوابٌ لقوله: كيف لقيتَه؟ كما كان الأوّلُ [يقصد المفعول له] جوابا لقوله: لمه؟"[١]

يذهب هاليداي إلى أن العلاقة بين الجار ومجروره ربما تشبه علاقة التعدي بين الفعل ومفعوله؛ مستدلا بأن بعض حروف جر معينة في الإنجليزية قد اشتُقت من أفعال، مثل: (concerning، according to، excepting). [٢] وكلام هاليداي في هذه النقطة ـ خاصة (excepting) بمعنى: إلا، عدا ـ يستدعي إلى الذهن حديث بعض النحاة عن أن أداة الاستثناء تشابه الفعل في العمل، وأن قولك: جاء الطلاب إلا زيدا. يكافئ من حيث المعنى قولك: جاء الطلاب أستثني منهم زيدا[٣]. يرى هاليداي أيضًا أن حرف الجر يرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل، حينما يكون متعديا به إلى مفعوله، لذا يعده جزءا منه، فيحلل مثلا جملة: نظر الرجل إلى السماء. كالتالي: نظر...إلى (عملية)+ الرجل (مدرِك)+ السماء (ظاهرة). [٤] وهذا التفسير يطابق أحد تفسيري ابن جني لجملة: (مررت بزيد)، حيث يقول: "فمن وجه يعتقد في الباء أنها بعض الفعل من حيث كانت معدية وموصلة له...[وتكون] جزءًا من الفعل أو كالجزء منه"[٥]

ارتكز النحاة العرب في دراستهم لمقيدات الإسناد على الشكل النحوي لا الدلالة، بحيث غدا النصبُ والاسمية والمصدرية والاشتقاق... الشروطَ الضرورية للوقوع في

---

[١] سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٧٢. وانظر كذلك حسام قاسم، المحتوى الدلالي للوظائف النحوية: مدخل ميسر إلى قواعد اللغة العربية، نادي القضاة، القاهرة، ط٣، ٢٠١٣م. ص٣٠، ٣١، ٤٥-٥٧.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 158.

[٣] سر صناعة الإعراب، ص١٢٩. المقتضب ٣٩٦/٤. الأصول لابن السراج ٢٨١/١. جاءت معالجة هاليداي للاستثناء مقتضبة للغاية، لا تصلح لمقابلتها بما قدمه النحاة العرب؛ لذا رأت الدراسة ألا تفرد لها مبحثًا.

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 159.

[٥] الخصائص، ج١، ص٣٤٢-٣٤٣.

بعض الأبواب النحوية أو الإقصاء منها، وهذه النقطة هي المدخل إلى تقديم مفهوم "المُحدِّدات" بأنواعها المختلفة، حيث تجعل الدراسة المعنى ـ لا الشكل ـ الشرطَ الضروري للوقوع في الباب النحوي أو الخروج منه. وتتحرك منه إلى التحققات النحوية، أيًّا كانت. وبهذا تتسع الأبواب النحوية لما لم تكن تتسع له. فالمُحدِّد السببي . على سبيل المثال . يضم كل ما يصدق عليه مفهوم المفعول لأجله بالإضافة إلى تحققات نحوية أخرى كثيرة لا تُعد في اصطلاح النحاة منه. ومن ثم لا تطرح الدراسة أسئلة مثل: لمَ نُصب هذا الاسم؟ أو ما ناصبه؟ بل تطرح أسئلة أخرى، مثل: كيف تعبِّر العربية عن دلالة الزمان أو المكان أو السبب ...؟ وما التحققات النحوية لهذه الدلالات؟ أو ما الإمكانات التي يقدمها النظام النحوي للمتحدث للتعبير عن معنى من هذه المعاني بطرائق مختلفة؟

٤-١٠-١ المُحدِّد السببي

يُعرِّف عباس حسن المفعول لأجله بأنه "المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي: على بيان علته) ويشارك عامله في وقته وفاعله"[١] ثم يقول في شرح أحكامه إنه: "إذا استوفى شروطه جاز نصبه مباشرة، وجاز جره بحرف من حروف الجر التي تفيد التعليل... لكنه في جميع حالات جره، لا يُعرب . اصطلاحا . مفعولا لأجله، وإنما يعرب جارا ومجرورا متعلقا بعامله. وهذا برغم استيفائه الشروط، وبرغم أن معناه في حالتي نصبه وجره لا يختلف"[٢].

بناء على ما سبق يقال عن الجار والمجرور: (لطلب العلم) في جملة: (يذهب الطلاب إلى الجامعة لطلب العلم): إنه متعلق بالفعل، ولا يُعد مفعولا لأجله؛ لأنه ليس منصوبًا، ويبقى دون بيان وظيفته. وتناول النحاة هنا يكشف عن غياب الاتساق المنهجي؛ لأنهم يرتضون أن يتحقق الخبر والنعت والحال في أشكال نحوية مختلفة:

---

[١] النحو الوافي، ج ٢، ص٢٣٧.

[٢] المرجع السابق: ص ٢٣٨

مفرد، وجملة وشبه جملة، لا سيما الحال؛ لأنه منصوب دائما باتفاق. ولا يرتضون ذلك في المفعول لأجله؛ وماذا عليهم لو قالوا: "جار ومجرور في محل نصب مفعول لأجله"؟.

ويُفسِّر عباس حسن المقصود من اتحاد المصدر مع عامله في الوقت بقوله: "المراد من اتحاد المصدر مع عامله في الوقت أن يقع ويتحقق حدث العامل في أثناء زمن تحقق معنى المصدر فيتحقق المعنيان معا في وقت واحد، مثل: هرب اللص جبنا، أو يقع أول زمن العامل في آخر زمن تحقيق المصدر: نحو: حبست المتهم خوفا من فراره، أو العكس نحو: جئتك حرصا على إفادتك."[1]

وقد أوضح السيوطي في الهمع أن المتأخرين هم من اشترط شرط الاتحاد في الوقت والفاعل، "فلم يشترط ذلك سيبويه ولا أحد من المتقدمين، فيجوز عندهم: (أكرمتك أمس طمعا غدا في معروفك). و(جئت حذرَ زيد.) ومنه: ﴿يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ [الرعد: ١٢] ففاعل الإراءة هو الله والخوف والطمع من الخلق"[2] وقد اشترط بعض المتأخرين أن يكون قلبيا أي: من أفعال النفس الباطنة "كالرغبة" "فلا يجوز: جئتك قراءة للعلم"...وهذا الشرط قاله ابن الخباز وغيره كالرندي، ...وأجاز الفارسي (جئتك ضرب زيد) أي: لتضرب زيدًا"[3] وتردّ الدراسة هذا الشرط على من اشترطه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[5]

وبناء على ما ذهب إليه سيبويه والمتقدمون لا تعتد الدراسة بشرط الاتحاد في الوقت والفاعل، بل ترى أن الفعل وعلته لا يتحدان في الوقت مطلقا، فالسبب إما أن

---

[1] المرجع السابق: ص ٢٣٩

[2] همع الهوامع، جـ ٢، ص٩٨-٩٩.

[3] شرح التصريح ١/٥٠٩-٥١٠. الهمع ٢/٩٨.

[4] البقرة: من الآية ٢٣١.

[5] التوبة: من الآية ١٠٧.

يكون علة دافعة تسبق الفعل وتكون سببا في وقوعه، (وهو ما يُطلق عليه هاليداي مصطلح "السبب" reason) وإما أن تكون علة غائية لا تقع إلا بوقوع الفعل؛ فهي تالية له في الوجود (أي: يقع الفعل لتحقيقها (وهو ما يُطلق عليه هاليداي مصطلح " الغاية" purpose)[1*]. فمن أمثلة النوع الأول "السبب": قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ (الأنعام: ١٥١). وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ (الإسراء: ٣١). وقوله تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم﴾ (النساء: ١٦٠) وقولنا: (أخطأ الرجل من شدة فرحه.) و(مات المسافر من الجوع.) و(بعض الطلاب يُذاكر حبا للعلم وبعضهم يُذاكر خوفا من الرسوب.). وضابط هذا النوع هو صحة وقوع الفاء[2] بين الفعل المأخوذ من المصدر والفعل الأصلي، فيقال: افتقروا أو خشوا الفقر فقتلوا أولادهم، ظلموا فحرَّم الله، فرح فرحا شديدا فأخطأ، جاع فمات، أحبّ العلم فذاكر، وخاف الرسوب فذاكر. دون فساد المعنى، فالفاء هنا دالة على السببية والترتيب، والفقر والخشية والظلم والفرح والجوع والحب والخوف كلها أسباب دافعة لا غايات مرجوة. وهذه العلامة لا تصح مع النوع الثاني، ومن أمثلة النوع الثاني "الغاية": (شاركت الأمم المتحدة في المفاوضات إقرارا للسلام.) و(قاتل الجندي لاسترداد أرضه.)

فرَّق حسام قاسم بين هذين النوعين من المفعول لأجله، وذكر أن النحاة لم يميزوا بينهما، وضابط التفرقة عنده أن الأحداث في نحو (قال غضبا، وحبا ورغبة في كذا، وخوفا من كذا) تقع قبل الكلام، تبين الحالة النفسية للمتكلم أثناء كلامه، فالأحداث

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 155.

Matthiessen, Christian. M. I. M., Teruya, Kazuhiro. & Lam, Marvin. (2010). *Key Terms in Systemic Functional Linguistics.* London and New York: Continuum. P. 68.

[*] إن كان المحدد السببي دالا على عملية شعور كالخوف والرغبة ونحوهما فالغالب أن يكون نوعه سببيا، وإن كان دالا على عملية مادية فالغالب أن يكون نوعه غائيا.

[2] حسام قاسم، المحتوى الدلالي للوظائف النحوية: مدخل ميسر إلى قواعد اللغة العربية، نادي القضاة، القاهرة، ط٣، ٢٠١٣م. ص ٢٧٥.

سبب للفعل، والمصدر مفعول بسببه الفعل، أما في (فعلَ كذا تأديبا، وتعليما، وتهديدا...) فالأحداث تقع بعد الكلام، وهي مُسبَّبَة عنه، والفعل مفعول من أجلها.[١]

وتُعرِّف الدراسة المُحدِّد السببي بأنه "كل وحدة نحوية دالة على السبب أو الغاية من وقوع حدث أو فعل". ويكون الاستفهام المناظر له بـ: لِمَ أو لماذا أو ما السبب أو الداعي... أو نحو ذلك. وقولنا: "كل وحدة نحوية" يشمل المفعول لأجله حسب اصطلاح النحاة بكل صوره (النكرة المنصوبة، والمضاف، والمعرف بـ "ال")، ويشمل كذلك شبه جملة الجار والمجرور المكونة من حرف جر دال على التعليل ومصدر مجرور، أو اسم مجرور، وكذلك حرف التعليل المتصل بالفعل المضارع. أما قولنا: "دالة على السبب أو الغاية" فهذا هو الشرط الضروري للمحدد السببي.

يقدم هاليداي إلى جانب وظيفتي "السبب" و"الغاية" وظيفة أخرى يرى أنها تندرج تحت مفهوم المحدد السببي، وهذه الوظيفة هي "المنفعة" behalf وهي تشير إلى الكيان أو الكائن (فى الغالب الشخص) الذي من أجله أو لمصلحته شرع الفاعل في الفعل.[٢] وتتحقق هذه الوظيفة نحويا في اللغة العربية في شكل شبه الجملة الجريّ، مثل: لفلان، ومن أجله، ولأجله، ونحو ذلك. من الأمثلة قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ <u>لَكُمُ</u> الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا <u>لَكُمْ</u> فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣] وقولك: (نحمل الخير <u>لمصر</u>.) و(هذا اللبن معبأ بأحدث الطرق <u>لصحتك ولصحة أطفالك</u>.) و(صوَّتْ بـ "نعم" <u>من أجل بلدك</u>.)

يقوم التحليل النحوي العربي لمقيدات الإسناد عامة للمفعول لأجله خاصة على مركزية ركني الإسناد وهامشية المُقيِّد؛ إذ يُنظر إلى المفعول لأجله على أنه مقيِّد أو

---

[١] المرجع السابق، ص٣٠١.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 155.

[٣] (البقرة: ٢٢)

مخصِّص أو مكمل أو متعلق...إلخ؛ ومن ثم لا يستطيع التحليلُ الكشفَ عن أي دلالة على السببية في نحو: (أوجبت الظروفُ الأمنيةُ القائمة على الدولة فرضَ قانون الطوارئ.)[1]؛ لأنه ليس هناك وحدة نحوية مُقيِّدة مستقلة بالتعبير عنها، وإنما يُعبِّر الفعل نفسه عنها ضمنيًّا؛ من أجل هذا قدمت الدراسة مصطلح "المُسبِّب" في العملية المادية؛ لتفسير هذا وما كان نحو: (الواجب يملي علينا، والوضع الحالي يقتضي منا، والواقع يلزمُنا...إلخ) ولتفسير اختيار المتكلم أفعالا، مثل: اضطر، دفع، ألجأ، استلزم، اقتضى، حتّم، أوجب، أجبر...إلخ).

٤-١٠-٢ المحدد الزماني والمحدد المكاني

يُعرِّف عباس حسن الظرف بأنه: "اسم منصوب يدل على زمان أو مكان، ويتضمن معنى: "في" باطراد..." ثم يقول في بيان أحكامه: "أشهرها سبعة: ١- أنه منصوب على الظرفية، فلو كان مرفوعا أو كان منصوبا لداعٍ آخر غير الظرفية أو كان مجرورا، ولو كان الجار هو "في" الدالة على الظرفية . فإنه لا يسمَّى ظرفا، ولا يعرب ظرفا، ولو دل على زمان أو مكان". [2] معنى هذا أن "الاسم لو دل على الظرفية، ولم يكن منصوبا، لم يفسر في النحو على أنه ظرف."[3]

ومعنى هذا أيضا أن الجار والمجرور (في الصباح) في جملة: (جاء محمد في الصباح) سيقال فيه: "جار ومجرور متعلق بالفعل" فقط دون بيان وظيفته، ولن يعرب ظرفا؛ لاشتراطهم النصب. ويمكن أن يُقال الكلام نفسه عن ظرف المكان، وعن كلمة (مصبحين) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ، وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4]

---

[1] يكون التحليل كالتالي: (فعل، فاعل، نعت، نعت، جار ومجرور متعلق بالفعل، مفعول به، مضاف إليه، مضاف إليه.)

[2] النحو الوافي، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤.

[3] محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص١٥٠.

[4] الصافات: ١٣٧-١٣٨.

التي يعربها معربو القرآن ومفسروه حالا[1] لا ظرفا، على الرغم من أنها قد عُطف عليها قوله (بالليل)، وأنها دالة على الزمان، وأنها ليست لبيان الهيئة، وليست جوابَ (كيف)، وإنما هي جواب (متى). يقول ابن هشام: "ومما يُشكل قولهم في نحو: (جاء زيد والشمس طالعة): إن الجملة الاسمية حال، مع أنها لا تنحل إلى مفرد ولا تبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي حال مؤكدة...[قال الزمخشري:].... من الأحوال التي حكمها حكم الظروف"[2] ولكنهم لا يعربونها ظرف زمان، وإن دلت على الزمان؛ لأنها جملة وهم يشترطون فيه الاسمية.

تقدم الدراسة مفهومي المحدد الزماني أو المكاني ليشملا كل ما عده النحاة ظرفا للزمان أو المكان، وما خرج حسب اصطلاحهم وإعرابهم عن الظرفية على الرغم من دلالته على الزمان أو المكان؛ لأنه مجرور بـ "في" أو غيرها؛ أو لأنه ليس اسمًا. فالشرط الضروري الذي تنشده الدراسة هو الدلالة على الزمان أو المكان؛ ولهذا تتعدد التحققات النحوية لمحددي الزمان والمكان فلا تنحصر في الاسم المنصوب، فقد يكون محدد الزمان أو المكان اسما منصوبا، أو شبه جملة جريًّا الجار فيه في أو الباء أو اللام، أو غيرها، وقد يكون مركبا من اسم مضاف إلى جملة.

لا تفرِّق الدراسة بين أن يكون المحدد الزماني أو المكاني واقعا ركن إسناد، (كما في قولك: الأوراق بين يدي القاضي، والمحاكمة غدا) وأن يكون غير واقع ركن إسناد (كما في قولك: وضع المحامي الأوراق بين يدي القاضي، ويحاكم القاضي المتهمين غدا)؛ لأنهما في الحالين يؤديان الوظيفة الدلالية نفسها.

---

[1] النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (– ٣٣٨هـ) إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م. ج٣، ص٤٣٨. السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (– ٧٥٦هـ) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج٩، ص٣٢٩.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٢، ٥٣٧.

يقدم هاليداي تقسيمات دلالية عديدة لظرفي الزمان والمكان بحسب اعتبارات مختلفة، من ذلك التقسيم بحسب اعتبار الامتداد والموقع، كما هو معروض في الجدول ٤(٩) التالي، يكون الاستفهام عن الامتداد بالأداة: "كم" فيقال: كم ميلا سرت؟ كم لبثت؟ كم مرة فعلت كذا؟ ويكون الاستفهام عن المكان بـ " أين" وعن الزمان بـ "متى".

الجدول ٤(٩) تقسيم الظرف حسب الامتداد والموقع

	حيزي	**زماني**
الامتداد	"**مسافة**" سار (لـ) خمسة أميال قفْ كل عشرة أمتار	"**مدة**" بقي (لـ) ساعتين قفْ كل عشر دقائق "**تكرار**" طرق الباب ثلاث مرات
الموقع	"**مكان**" يعمل في المطبخ	"**زمان**" يستيقظ في السادسة

ويرى هاليداي أن هناك تناظرات كثيرة بين المحددات الزمانية والمكانية، منها (أ) أن كليهما ينطوي على مفهومي الامتداد والموقع المشار إليهما آنفا. (ب) أن الامتداد فيهما يمكن قياسه بوحدات معيارية: كالساعات والأيام والسنوات ونحوها من جهة، وكالأميال والأمتار ونحوها من جهة أخرى. (جـ) أن الامتداد والموقع فيهما قد يكون محددا أو غير محدد، كما في الجدول ٤(١٠) التالي[١]:

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 153. (Eggins, S. (2011). P.222.)

الجدول ٤(١٠) تقسيم الظرف حسب الامتداد والموقع تقسيما فرعيا

		حيزي	**زماني**
الامتداد	**محدد**	خمسة أميال	خمسة أعوام
	غير محدد	مسافة (أو طريقا)	حينا (أو زمنا)
الموقع	**محدد**	في البيت	في الظهيرة (ظهرا)
	غير محدد	قريبا	قريبا

وفي كل من الموقع الزماني والمكاني قد يكون الموقع مطلقا أو نسبيا، أي: بالنسبة إلى "هنا" و"الآن"، وإن كان نسبيا فقد يكون قريبا أو بعيدا، كما في الجدول ٤(١١) التالي. وقد قسَّم النحاة العرب أيضا الظرف تقسيمات دلالية مشابهة، فتحدثوا عن: الظرف المبهم والمختص والمحدد وغير المحدد والمعدود وغير المعدود.[1]

الجدول ٤(١١) تقسيم الظرف إلى مطلق ونسبي قريب وبعيد

			حيزي	**زماني**
الموقع	**مطلق**		في أستراليا	سنة ١٩٨٥
	نسبي	**قريب**	هنا، أمامي	الآن، حديثا
		بعيد	هناك، بعيدا	بعدُ، منذ زمن بعيد

يرى هاليداي مع ذلك أن ثمة اختلافات بين الزمان والمكان؛ منها أن قسم الامتداد الزماني يتضمن "التكرار" الذي ليس له نظير في قسم الامتداد الحيزي. وأن هناك اتصالا دلاليا قويا بين الزمن بوصفه عنصرا ظرفيا والزمن الذي يجسده الفعل

[1] انظر النحو الوافي، ج٢، ص: ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٩.

نحويا، وهذا ليس له نظير في وظيفة المحدد المكاني.[1] يعقد سيبويه مقارنة مشابهة بين الأزمنة والأمكنة، فيقول: "لأنك قد تفعل بالأماكن ما تفعل بالأزمنة وإن كان الأزمنة أقوى في ذلك... وإنما جُعِل [أي الفعل] في الزمان أقوى؛ لأن الفعل بنى لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع، كما أن فيه بيان أنه قد وقع المصدر وهو الحدث. والأماكن لم يُبنَ لها فعل، وليست بمصادر أُخِذ منها الأمثلة، والأماكن إلى الأناسى ونحوهم أقرب. ألا ترى أنهم يخصونها بأسماء كزيد وعمرو، وفي قولهم مكة وعمان ونحوهما. ويكون منها خِلَقٌ لا تكون لكل مكان ولا فيه، كالجبل والوادي، والبحر. والدهر ليس كذلك. والأماكن لها جثة، وإنما الدهر مضى الليل والنهار، فهو إلى الفعل أقرب"[2]

٤-١٠-٣ المفعول المطلق والمدى Range

يعرِّف هاليداي المدى بأنه العنصر الذي يعين مجال العملية أو العملية نفسها، مثل (أغنية) في: (غنِّ أغنية البنسات الستة.) و(كروكيه) في: (هل لعبت كروكيه مع الملكة اليوم؟) ويذهب إلى أن هذا المعنى وراء القسم الكلاسيكي للمفعول المطلق Cognate object الذي سمي بهذا الاسم لأن الحالات التي درسها النحاة أولا كانت متحدة في أصل الاشتقاق مع الفعل (cognate to the verb) مثل: song بالنسبة إلى sing. ويرى أن الاتحاد في أصل الاشتقاق ليس سمة ضرورية، فمعظم العناصر التي تكون "مدى" في الإنجليزية ليست مشتقة من الفعل. ويطرح السؤال التالي: لماذا يقال (غن أغنية) بدلا من (غنِ) فقط؟ ويجيب بأن هذا التركيب يمكننا من أن نخصص عدد العمليات ونوعها. ثم يحدد أنماط المدى كالتالي[3]:

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P. 153.

[2] الكتاب ٣٦/١.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P.146-7.

العام:	لعبوا لعبات.	They played games
الخاص: الكمية	لعبوا خمس لعبات.	They played five games.
الخاص: القسم	لعبوا التنس.	They played tennis.
الخاص: النوع	لعبوا لعبة جيدة.	They played a good game.

تتفق دراسة هاليداي للمدى ودراسة النحاة العرب للمفعول المطلق من حيث المفهوم والوظيفة إلى حد بعيد، غير أن النحاة العرب قد درسوا أيضا ما ينوب عن المفعول المطلق والحالات التي يقوم فيها مقام فعله في الأمر والنهي والاستفهام التوبيخي والدعاء...إلخ؛ لذا ستُبقي الدراسة مصطلح المفعول المطلق لشمول مفهومه، وتعدد وظائفه؛ إذ تضم إلى جانب التوكيد وبيان النوع والعدد بيانَ الأداة والهيئة والتشبيه.

٤-١٠-٤ الحال ومحدد الكيفية Circumstantial element of manner

يقسم هاليداي محدد الكيفية إلى ثلاثة أقسام فرعية: الوسيلة Means والوصف Quality والمقارنة Comparison. (أ) الوسيلة تشير إلى الوسيلة التي تحدث بها العملية، ويُعبر عنها نمطيا بشبه جملة جرية، بحرف الجر"by" أو "with" في الإنجليزية. وتكون أداة الاستفهام "how"، أو "what with" في الإنجليزية. ويندرج تحت هذا القسم ما يدل على **الوسيلة**، نحو: سافر أخي بالقطار. و**الأداة**: ضُرب الخنزير بالعصا. و**الواسطة** Agency أي ما يقع بعد by عند بناء الفعل للمجهول في الإنجليزية. (ب) يُعبر نمطيا عن محدد الوصف في الإنجليزية بظرف منتهٍ بـ "ly" كما في: It was snowing heavily كانت تمطر ثلوجا بغزارة. (ج) ويعبر عن محدد المقارنة نمطيا بـ "like"

و"unlike" كما في "It went through my head like earthquake" اخترقت رأسي كالزلزال.[1]

ستضم الدراسة مفهوم محدد الوسيلة أو الأداة إلى مفهوم ما يعده النحاة نائبا عن المفعول المطلق، مثل: (سقيت العاطش كوبا)، (ضرب اللاعب الكرة رأسا). سواء أكان منصوبا أم مجرورا بالباء[2]. وترى الدراسة أن ما يسميه هاليداي محدد الواسطة Agency متعلق باللغة الإنجليزية التي يميز نحوُها بين حرفي الجر "by" و"with" هذا من ناحية، والتراكيب المقابلة له في العربية من الأفضل ألا توضع في قسم الحال، لأنها تصلح إجابة عن السؤال بـ "من" أو "ما" أكثر مما تصلح إجابة عن السؤال بـ "كيف"، لا سيما أنها تقع "مشاركا" في الجملة عند بنائها للمعلوم، هذا من ناحية أخرى.

تُخطِّئ كثير من الكتب المعنية بالصحة اللغوية التراكيب العربية التي يقع فيها تعبيرات مثل (من قِبل، وبواسطة، ومن طرف، ومن جهة...) بتأثير ترجمة "by" في الإنجليزية، على سبيل المثال كما في: قُبض على المتظاهرين من قِبل الشرطة. لكن هذه الدراسة ليست معنية بقضية الصحة اللغوية بقدر عنايتها بالدلالة، فهذه التراكيب ـ وإن كانت ناتجة عن تأثر بترجمة ركيكة ـ تختلف عن نظائرها المبنية للمعلوم في أن الفاعل يأتي متأخرا في الجملة، وهذا له دلالته، كما أن هناك تراكيب مماثلة لها ليس هناك وجه لوصمها بالخطأ، مثلا كما في: قوله تعالى: ﴿وما أوتي النبيون من ربهم﴾[3] وقولنا: (تعلّم ابنُ حزم القرآنَ <u>على أيدي النساء</u>.) و(لاقى الاقتراحُ قبولا <u>من جميع</u>

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P.154.

[2] في نحو: (سقيت العاطش بالكوب) و(ضرب اللاعب الكرة بالرأس) تدل شبها الجملة "بالكوب" و"بالرأس" على الهيئة، ولكنها ليست هيئة الفاعل ولا المفعول، وإنما هيئة الفعل نفسه؛ لذا هي أقرب إلى المفعول المطلق منها إلى الحال. وقد أوضح النحاة الفرق بين استخدام الباء والنصب على المفعولية، فالأول مطلق والثاني مقيد بأن يكون استخدام الأداة معهودا. راجع: النحو الوافي ٢/٢١٧.

[3] من الآية ١٣٦ من سورة البقرة

الحاضرين.) و(فُتحت أذربيجان على يد المغيرة بن شعبة)[١] و(درس علي بن عيسى الربعي الأدب ببغداد على أبي سعيد السيرافي.)[٢] في هذه الأمثلة ستعد الدراسة أشباه الجمل "محدد الواسطة"؛ كيلا تبقى دون بيان وظيفتها.

٤-١٠-٥ الحال ومحدد الدورRole

يقسم هاليداي هذا المحدد إلى قسمين: الهيئة Guise والناتج product. الاستفهام المناظر للهيئة هو (what as?) بأي صفة؟ ، ويمثل هذا المحدد معنى الوصف والتعيين في شكل شبه الجملة، وحرف الجر المعتاد هو (as) مثل: (She was installed as chancellor، chancellor (i.e. she is chancellor، I came as a friend (I am friendly)) (عُيِّنتْ مستشارة، جئت كصديق (أي: هي مستشارة، أنا ودود.)) أما الناتج فالاستفهام المناظر له هو (what into?) كيف أصبح؟ إلامَ صار؟ بمعنى الوصف والتعيين، مثل: (aren't you growing into a big girl?) ألم تصبحي فتاة ناضجة؟ (he moulded the army into a disciplined fighting force.) شكَّل الجيش قوات مقاتلة مدرَّبة.[٣]

من العرض السابق يمكن ملاحظة الآتي: أن هاليداي يضم هذا القسم إلى المحدد لوجود حرف الجر (as). وأن (as) في الإنجليزية لا تكون دائما بمعنى (مثل أو كاف التشبيه) فلا يصح ترجمة (She was installed as chancellor) إلى: عُيِّنتْ كمستشارة؛ إذ المعنى في الإنجليزية نفسها ـ اللغة المصدر ـ أنها مستشارة بالفعل، كما شرحه هاليداي، ووظيفة (as) بيان الدور لا التشبيه. ومن ثم لا ترى الدراسة مسوغا لتوجيه هذه الترجمة غير الصحيحة، وأن هاليداي يفسر العلاقة بين محدد الهيئة

[١] سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ٤٣٩.

[٢] القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢، ص٢٩٧.

[3] Halliday, M.A.K. (1994). P. 157.

وصاحبه بالعملية الوصفية والتعيينية، مثلما يفسر النحاة العرب العلاقة بين الحال وصاحبها بأنها مشابهة للعلاقة بين المبتدأ وخبره. من الملاحظات العامة المتكررة استخدام الاستفهام للتحقق من الوظيفة. تقابِل بعض صور محدد الدور في الإنجليزية "المنصوب على الاختصاص" في العربية، ويلتزم بعض من يترجمون عن الإنجليزية ترجمتها حرفيا، فتظهر جمل مثل: أنا كرئيس للجنة ملتزم بسماع آراء كل الأعضاء[١].

من الواضح أن مفاهيم الوصف والمقارنة والهيئة والناتج عند هاليداي يعدها النحاة العرب واقعة جميعا تحت مفهوم الحال، دون تشقيق الباب النحوي، فيشيرون إلى وظيفتي بيان الهيئة والتوكيد، والأولى منهما تضم الوصف والتشبيه والمقارنة وبيان أن الحال نوع لصاحبها أو العكس والدلالة على السعر والترتيب وغيرها من الوظائف[٢]؛ ومن ثم لا ترى الدراسة ما يدعو إلى العدول عن مصطلح الحال، مع شموله ودقته.

٤-١٠-٥-١ الحال بين الثبوت والتغير

ذكر النحاة العرب أن الأصل في الحال هو أن تكون منتقلة، وأنها قد تأتي لازمة، إن كانت مؤكدة، أو كان "عاملها دالا على تجدد صاحبها، بأن يكون صاحبها فردا من نوع يستمر فيه خلق الأفراد وإيجادها على مر الأيام... نحو: خلق الله جلد النمر منقطًا"[٣] وقد تكون لازمة سماعا. وذكروا عددا من الأمثلة القليلة ـ المكررة بنصها في كثير من كتب النحو ـ على الحال اللازمة دون تحديد لأنماط بعينها ترد فيها، ودون تفسير لورودها لازمة. قال ابن مالك:

وكونه منتقلا مشتقا   يغلب، لكن ليس مستحقا

---

١ تأخذ الدراسة برأي شوقي ضيف في عد المنصوب على الاختصاص نوعا من تمييز الذات. (تجديد النحو، ص١٩٣.)

٢ النحو الوافي ٢/٣٦٣-٣٧٢.

٣ النحو الوافي ٢/٣٦٦-٣٦٨. (لاحظ أن تفسيرهم لن يصلح لجملة مثل: (ولد الطفل أعمى) التي ليس فيها تجدد)

وذكر ابن عقيل أمثلة للحال غير المنتقلة، هي: (دعوت الله سميعا)، (خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها) وقول الشاعر:

فجاءت به سبطَ العظام، كأنما عمامته بين الرجال لواء[1]

وقال السيوطي: "الغالب في الحال المبينة أن تكون منتقلة أي وصفا غير لازم وقد تكون ثابتة نحو: ﴿أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾ [الأنعام: ١١٤] ﴿قائما بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] (خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها) ولد زيدٌ قصيرا، خلق أشهل"[2] وقال ابن يعيش: "...الحال لا تبقى، بل تنتقل إلى حال أخرى، كما أن الزمن منقضٍ لا يبقى، ويخلفه غيره؛ ولذلك لا يجوز أن تكون الحال خلقة، فلا يجوز جاءني زيدٌ أحمرَ، ولا أحول، ولا طويلا"[3]

٤-١٠-٥-٢ نمطان وتفسيران

ترى الدراسة أن وقوع الحال لازمة يتبع نمطين معينين، وليس سماعيا أو عشوائيا. النمط الأول: يكون الفعل فيه إيجاديا، والنمط الثاني: يكون الفعل فيه تغييريا وبينه وبين الحال مناسبة دلالية.

النمط الأول: ذكرت الدراسة سابقا أن الفعل إما أن يكون إيجاديا أو يكون تغييريا، وأن الأفعال الإيجادية محدودة العدد مقارنة بقسيمتها التغييرية. ومتى كان الفعل إيجاديا، فهو يُدخِل فاعله أو مفعوله إلى حيز الوجود على صور ثابتة. معنى هذا أن الحال ستكون لازمة، إن كان الفعل إيجاديا، مثل: خلق، وولد في الأمثلة التي أوردها النحاة. ومعنى هذا أيضا أن قول ابن يعيش: "لا يجوز أن تكون الحال خلقة" يفتقر إلى الدقة،

[1] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المجلد١، ج ٢، ص٢٤٤.

[2] همع الهوامع، ج٢، ص٢٢٤.

[3] شرح المفصل، ج٢، ص٥.

صحيح أنه "لا يجوز جاءني زيدٌ أحمرَ، ولا أحول، ولا طويلا" لكنه غير جائز؛ لأن الحال خلقة والفعل "جاء" فعلا "تغييريا" وليس "إيجاديا". ولو استُخدم فعلٌ إيجادي كما في مثالي السيوطي: "ولد زيدٌ قصيرا، خُلق أشهل" أو كما في تعريف معجم لسان العرب للأكمه بأنه: "الذي يُولد أعمًى"[1] لجاز وقوع الحال خلقة ولازمة. وهذا ينطبق على أمثلة غير ما ذكره النحاة، ففي نحو: (بني المهندسون السد مرتفعًا) و(صنع النجار الأريكة واسعة) نجد الارتفاع صفة لازمة للسد، وكذلك السعة صفة لازمة للأريكة.

النمط الآخر: ذكرت الدراسة أنها تعد الحال نوعا من العملية المصاحبة للعملية الرئيسة للجملة. ويمكن هنا أن يُضاف إلى ذلك أنه يُشترط أن تكون هناك مناسبة معنوية بين العمليتين يصح معها عطف الحال ـ إن حُوّلت إلى شكل الجملة ـ على الجملة التي قبلها، سواء أكانت الحال لازمة أم منتقلة.

تقيس الدراسة المسألة على عطف الجمل، حيث يصح أن يُقال: (جاء زيد ورحل عمرو) لوقوع المناسبة بين مجيء الأول ورحيل الثاني، ولا يصح أن يُقال: (*جاء زيد وعمرو شاعر) لعدم المناسبة بين مجيء الأول وشاعرية الثاني.[2] تنظر الدراسة إلى الحال اللازمة من هذه الزاوية، وعلى هذا ففي المثال: (دعوت الله سميعا) يصح أن تقول: (دعوت الله وهو سميع)؛ إذ هناك مناسبة معنوية بين الدعاء، وأن يكون المدعوّ ـ عز وجل ـ سميعًا، وكذلك في الآية الكريمة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] نجد المناسبة بين الشهادة وكون

---

[1] ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد المصري (-٧١١هـ) لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص ٣٩٣٣.

[2] بغية الإيضاح، ج٢، ص٧٦، ٨٠.

[3] (آل عمران: ١٨)

الشاهد ـ عز وجل ـ عادلا وقائما على أمر العدل بين خلقه. أما في المثال: *جاء زيد طويلا. فليس هناك مناسبة معنوية بين مجيء زيد وكونه طويلا.

٤-١٠-٦ محدد الشرط ومحدد التسليم

يقسّم هاليداي محدد احتمال الوقوع Contingency إلى ثلاثة أقسام: (أ) الشرط Condition كما في: في حالة حدوث إعصار لا تفتح النوافذ. (ب) والتسليم Concession (باستخدام despite،in spite of) كما في: كانت الرحلة ممتعة رغم هطول المطر. (ج) والغياب Default كما في: في حالة عدم وجود أدلة أخرى سوف نطلق سراحه.[1] وترى الدراسة أن من الأفضل أن ندمج القسمين الأول والثالث معا؛ لأنهما يدلان على المعنى نفسه أي معنى الشرط، مرة في الإثبات ومرة في النفي، وأن نسميهما بمحدد الشرط؛ لأن شبه الجملة تقابل أداة الشرط وجملته، وتقوم بوظيفتهما، قارنْ بين: (في حال تسرُّب غاز لا تضئ المصابيح.) و(إن تسرَّب غازٌ، فلا تضئ المصابيح.).

أما القسم الثاني الدال على التسليم فمن الملاحظ أن حرفي الجر الخاصين به في الإنجليزية عادة ما يترجمان إلى تعبيرات (على الرغم من، ورغم، وبالرغم). وتأتي أهمية الالتفات إلى هذه التعبيرات من أنها ـ ربما بتأثير الترجمة عن الإنجليزية ـ لم تعد مرتبطة بمعاني الإكراه، والكره والذل مثلما كانت الحال في الاستعمال القديم، إذ يقال: (فعلت ذلك على الرغم من أنفه.)[2] بل صارت تسلك مسلكا نحويا تشبه فيه "لولا" فيقال مثلا: (انتصر الجيش رغم قلة العدة والعتاد.) كما يقال: (لولا قلة العدة والعتاد، لانتصر الجيش.) وهذا يعني أن هذه التعبيرات قد صارت أشبه بالأدوات النحوية منها بالمفردات المعجمية، أي صارت أكثر ورودا في النصوص على المستوى الإحصائي. ومن الواضح أن استعمال هذه التعبيرات يختلف عن استعمال جملة الحال، كأن يقال: (انتصر الجيش

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P.155-6.

[2] لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٦٨٢.

وهو قليل العدة والعتاد.) ووجه الاختلاف هو أن "رغم" تتضمن معنى أن "قلة العدة والعتاد" من المعتاد أو المتوقع أن تكون عائقا أو عقبة في طريق الانتصار، وهذا المعنى ليس لازما إن استُخدم الحال. وقد تستخدم (مع، ومع أن) في أداء هذا المعنى، كما تستخدم (على) إن كانت بمعنى (مع) في أدائه أيضا، من الشواهد القرآنية قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[١] وستضم الدراسة الأسماء المنصوبة وأشباه الجمل الدالة على هذا المعنى تحت مصطلح "محدد التسليم".

٤-١٠-٧ محدد المصاحبة Accompaniment والمفعول معه

يقسِّم هاليداي محدد المصاحبة إلى قسمين فرعيين: المعية النحوية comitative والإضافة الدلالية additive ويجعل لكل منهما صورة مثبتة وأخرى منفية. أما المعية النحوية فيراها تمثِّل العملية كحالة مفردة، وإن كان فيها مشاركان، أحدهما مقدم في صورة المحدد. وتتراوح ما بين الحالات التي يمكن أن يتحد فيها المشاركان كعنصر واحد، كما في: (Fred came with Tom) والحالات التي لا يمكن فيها أن يتحدا، كما في: (Jane set out with her umbrella.) أما الإضافة الدلالية فيرى أنها تكون لإظهار **التقابل** contrast. ومن ثم هناك فرق بين: (Fred and Tom both came.) جاء فرد وتوم كلاهما. و(Fred came as well as Tom.) جاء فرد وكذلك جاء توم. من حيث القيمة الإعلامية news value (ليس فرد من جاء فقط، وإنما جاء توم أيضا).[٢]

يتفق هاليداي إذًا وجمهور النحاة العرب في التنظير للمعية في أمور، منها: أن العنصر الدال على المعية النحوية قد يصلح أن يتحد والمشارك الآخر، كما في: (جاء محمدٌ وزيدًا). أو لا يصلح كما في: (جرى العداء وسورَ المضمار.) وأن العنصر الدال عليها ـ إن كان يصلح أن يتحد والمشارك الآخر ـ فقد يقع مشاركا كما في: (جاء محمد

[١] من الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

[2] Halliday, M.A.K. (1994). P. 156-7.

وزيدٌ.) أو محددا، كما في: (جاء محمد وزيدًا.) ويمكن أيضًا ملاحظة أن هاليداي لم يوضِّح في المعية النحوية: هل ثمة فرق بين (Fred and Tom came.) و(Fred came with Tom.). وإن كان فرق، فما هو؟ على الرغم من أنه قد أوضح الفرق في حالة الإضافة الدلالية. في حين نجد النحاة العرب يفرقون بين: (حضر الوفد الرئاسي وحشد من المراسلين والصحفيين.) و(حضر الوفد الرئاسي وحشدًا (أو مع حشدٍ) من المراسلين والصحفيين.)؛ فواو العطف تقتضي الاشتراك في الحكم (الحضور) فحسب، ولا تقتضي المعية؛ لذا يصح أن يقال: (حضر الوفد الرئاسي وحشد من المراسلين والصحفيين قبلهم أو بعدهم أو معهم.) أما الجملة الثانية فتقتضي المعية التي عُبِّر عنها نحويا بواو المعية والنصب، ونحويا ومعجميا بـ "مع".

على الرغم من أن النحاة يعرِّفون المفعول معه[١] ويشرحون مفهومه باستخدام (مع)، ويسمّون واوه "واو المعية" فإنهم لا يعدون شبه الجملة المكونة من (مع) والاسم المجرور بعدها، من المفعول معه!؛ لاشتراطهم الاسمية والنصب فيه. (قارن هذا بما سبق ذكره عن الظرف واستعمال (في) صراحةً). تضم الدراسة واو المعية ومنصوبها ومع ومجرورها تحت مفهوم محدد المعية.

٤-١٠-٨ محدد الموضوع Matter

يرتبط هذا المحدد بالعمليات القولية، وهو يمثل شبه الجملة التي تشير لما يقال أو يروى، والاستفهام المناظر له (what about?) عمَ...؟ وحروف الجر في الإنجليزية هي:(of، with reference to، concerning،about) كما في: ظلت الشركة صامتة بشأن التعويضات. تحدثوا عن أمور كثيرة. ويرد هذا المحدد غالبا مع العمليات العقلية

---

[١] "اسم مفرد فضلة، قبله واو بمعنى "مع"، مسبوقة بجملة فيها فعل أو ما يشبهه في العمل، وتلك الواو تدل نصًا على اقتران الاسم الذي بعدها باسم آخر قبلها في زمن حصول الحدث، مع مشاركة الثاني للأول في الحدث، أو عدم مشاركته" النحو الوافي ٣٠٥/٢.

الإدراكية والقولية. إحدى الطرق لإعطاء بروز أو أهمية للمحدث عنه هي أن نمثله بوصفه محددا للموضوع، كما في: (as for the ghost، it hasn't been seen since.) أما الشبح فلم يُر منذ ذلك.[1] ذكرت الدراسة في الفصل الثاني أن اللغة العربية قديما كانت تستخدم وسائل مختلفة لإبراز إحدى عناصر الجملة والتركيز عليه بوصفه موضوعا لها، من ذلك استخدام أمّا والفاء، كما في قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾[2] أو الفاء فقط، كما في قوله تعالى: ﴿وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾[3] أو "أرأيت..." ومما تستخدمه اللغة المعاصرة: (أمَّا) وحدها أو متبوعة بـ (عن) أو (عن) وحدها و(فيما يخص) و(فيما يتعلق بـ) و(بالنسبة إلى) و(بشأن) و(حول). كما في: (بالنسبة إلى قانون الضرائب، فقد وافق المجلس على تعديله.) و(فيما يخص المباراة، فقد اعتمد اتحاد الكرة نتيجتها.) ولا تعد الدراسة من هذه الوسائل محددا للموضوع إلا ما كان منها شبه جملة فقط.

٤-١٠-٩ محدد الوجهة Angle

يرتبط هذا المحدد بالعمليات القولية، وهو يمثل شبه الجملة التي تشير للقائل، والتي تكافئ قال فلان، حروف الجر في الإنجليزية هي: (to،according to ، in the view /opinion of، from the standpoint of).[4] ويقسِّم هاليداي هذا المحدد إلى قسمين[5]، هما: مصدر القول source، كما في: (وفقا لمصدر مسئول قد أعيد فتح ملف القضية.) ووجهة النظر viewpoint كما في: (هذا لا يعد اعتداء، في رأيهم). التعبيرات

---

[1] Halliday, M.A.K. (1994). P.158.

[2] الآية ٩ من سورة الضحى

[3] الآيات ٣-٥ من سورة المدثر

[4] Halliday, M.A.K. (1994). P. 158.

[5] Halliday, M. A. K. and Matthiessen, C. M. I. M. (2006). P. 276.

المقابلة في العربية تكون مثل: (وفقا لـ، طبقا لـ، تبعا لـ، فيما يقول فلان، حسب ما يقول، (نقلا) عن، من وجهة نظر، في رأي، أو تصور أو تخيل فلان...إلخ).

٤-١١ خلاصة دراسة المحددات

أبقت الدراسة على مصطلحات المفعول المطلق والحال والمستثنى وتمييز النسبة؛ لشمول مفاهيمها ولاتساقها المنهجي، واقترحت الدراسة مصطلحات المحدد الزماني والمكاني والسببي ومحدد المعية؛ للتغلب على الشروط الشكلية التي ألزم النحاة أنفسهم بها في دراستهم لظرفي الزمان والمكان وللمفعول لأجله والمفعول معه؛ فوقعوا في عدم الاتساق المنهجي. وأفادت من هاليداي في تقديم مصطلحات: محددات الواسطة والأداة والشرط والتسليم والموضوع والوجهة؛ لتكون وسيلة لعزو وظيفة إلى أشباه الجمل التي يُهمل التحليلُ النحوي العربي إسناد وظيفة لها، ويكتفي بمقولة: "متعلقة بالفعل"، تلك المقولة التي تصدق عند التحقيق على كل ما سوى الفعل في جملته حتى الفاعل، بل هو أشدها تعلقًا بالفعل عندهم.

خاتمة

تناولت الدراسة الجملة بوصفها وحدة نحوية تجتمع فيها ثلاث جدائل مختلفة من المعنى، وحدة تتألف من ثلاثة تراكيب متمايزة ـ يُعبّر كل تركيب منها عن نوع من التنظيم الدلالي ـ تتلاحم جميعا لتنتج صياغة واحدة. تناول الفصل الثاني تركيب الجملة بوصفها رسالة، أي قدرًا من المعلومات، وهذا التركيب يرتبط بالوظيفة النصية للغة، أما الفصل الثالث فتناول تركيب الجملة بوصفها تبادلا، أي حدثا تواصليًّا، وهذا التركيب يرتبط بالوظيفة التواصلية للغة، وأما الفصل الرابع فتناول تركيب الجملة بوصفها تمثيلا للواقع، وهذا التركيب يرتبط بالوظيفة الفكرية للغة. وكان الفصل الأول تمهيدا نظريا عرَضَ مفهوم النحو وموضوعه وهدفه عند النحاة العرب القدماء والمتأخرين وعند الاتجاهين الشكلي والوظيفي في علم اللغة الحديث، ثم قدَّم عرضا مستفيضا لنظرية النحو النظامي الوظيفي عند هاليداي. وهذا يعني أن الدراسة لم تقتصر على دراسة الجملة من الزاوية الوحيدة المعهودة زاوية الإسناد، وأنها حاولت أن تربط بين نحو اللغة العربية ووظائفها العليا.

ناقشت الدراسة خلال هذا آراء كثير من النحاة العرب القدماء والمحدثين وبعض من المستشرقين وآراء هاليداي وبعض شراحه ونقاده، وانتقدت بعض المقولات والتفسيرات الشكلية عند النحاة العرب وهاليداي وأتباعه، وقدمت مفاهيم وتفسيرات بديلة ترتكز على المعنى والوظيفة. ورصدت كثيرا من أوجه الاتفاق والاختلاف بين النحو العربي ونحو هاليداي، وحاولت الإفادة منهما في استخلاص أطر نظرية لدراسة الجملة في العربية، وهذا ما اقتضى تعديل بعض المفاهيم وسك مصطلحات واستنباط بعض الأنماط الخاصة بالعربية وعمل تقسيمات جديدة. وكان أهم ما أنجزته الدراسة وتوصلت إليه من نتائج ما يلي:

• حدَّدت الدراسة أوجه الاختلاف بين النحو العربي ونحو هاليداي في الهدف والمنهج والسياق الثقافي الذي نشأ فيه كل منهما، وأجابت عن السؤال عن مدى وظيفية النحو العربي، وكشفت عن قصور الإطار النظري الذي يتبناه جمهور النحاة العرب في دراسة الأبواب النحوية عن إنتاج "نحو" يدرك خصوصية النصوص، فإن كان النص صحيحا من الجهة النحوية، أي خاليا من اللحن، وكان مفهوما معناه، فليس هناك ما يمكن أن يقدمه لنا النحو العربي في تحليل النص، فضلا عن تفسيره وتقييمه. ومن ثم دمجت الدراسة مفهوم الاختيار في الأطر النظرية التي اقترحتها لدراسة الجملة البسيطة؛ لاستكشاف الطرائق النحوية المختلفة للتعبير عن المعاني؛ حتى يصبح النحو العربي أكثر كفاءة في تحليل النصوص وتفسيرها.

• رصدت الدراسة أوجه التشابه والاختلاف بين النحاة العرب وهاليداي وأتباعه في دراسة تركيبي الحديث والمعلومات، وقدّمت إطارا نظريا لدراستهما يشتمل على تعريف المحدث عنه والحديث، وبيان كيفية تعيين المحدث عنه، ووسائل إبرازه، وأغراض "تصديره" في العربية.

• ناقشت الدراسة آراء محمد عناني الذي يرى عدم صلاحية الإطار النظري الذي قدمه هاليداي للتطبيق على العربية، وبرهنت نظريا وعمليا على صلاحيته بعد تعديل بعض المفاهيم والتصنيفات.

• أثبتت الدراسة أنه لا انفصال بين تركيب الحديث وتركيب المعلومات في نحو العربية، وأنه على الرغم من عدم تمييز جمهور النحاة بين المحدث عنه والمسند إليه، فإن بعض النحاة والبلاغيين قد رصدوا بوضوح جزءا كبيرا من البُعدين الدلالي والنصيّ لمفهوم المحدث عنه.

• انتقدت الدراسة بعض ما رأته من مشكلات نظرية ومنهجية في تناول هاليداي لتركيبي الحديث والمعلومات، منها التعارض بين مفاهيم المحدث عنه في الطبعات الثلاثة لكتابه مقدمة للنحو الوظيفي، ومفهوم "المحدث عنه النصي" الذي برز نتيجةً لتعسفه في تطبيق المعيار الشكلي في تحديد المحدث عنه، ولانتهاكه مبدأ الحرية في اختيار المحدث عنه.

• برهنت الدراسة على وقوع تعدُّد وتداخل واضطراب في ترجمة مصطلحي "Theme and Rheme" بالرجوع إلى ثمانية معاجم لغوية متخصصة مترجمة إلى العربية، وفسّرت ذلك، واقترحت مصطلحي "المحدث عنه والحديث" ترجمة لهما.

• كشفت عن الدور الذي يلعبه المحدث عنه في تنظيم النص، وحدَّدت أنماط تتابعه الرئيسة، وقدمت أمثلة وشواهد عليها.

• رصدت اتفاق عبد القاهر الجرجاني وهاليداي في إدراك الطبيعة السياقية لأسلوب الحصر، كما كشفت عن وعي عبد القاهر الجرجاني العلاقةَ بين التقديم وتركيبي الحديث والمعلومات، وإن افتقرت دراسته إلى البنية الاصطلاحية اللازمة كما أشارت سلوى كامل.

• قدمت الدراسة مفهوما جديدا للمقابلة يختلف عن مفهومها عن هاليداي ودِك والبلاغيين العرب، وهو مفهوم استعانت به الدراسة في الكشف عن بعض وسائل العربية لإبراز مكوِّن معين في الجملة أو النص.

• اقترحت إطارا نظريا لدراسة الجملة بوصفها تبادلا، يتضمن تعريفها ومكوناتها ونوعيها، وتعريف وحدات التحليل النحوي وبيان مكوناتها، وبيّنت بعض التحققات النحوية والصرفية والمعجمية لـ "موقفية المتكلم". وأعدت الدراسة مخططا لأقسام الكلام يربط بين وحدات التحليل النحوي والإسناد والوظائف التواصلية.

- برهنت على أن في العربية أفعالا مساعدة، حددتها وبينت خصائصها وعقدت مقارنة بينها وبين الأفعال المعجمية.

- ذهبت الدراسة إلى أن النحاة العرب لم يميزوا بين نحو الحوار ونحو السرد، ولم يلتفتوا إلى أن معظم تقديراتهم تنتمي لنحو الحوار، وأن النحو العربي لا يعكس التمييز الذي تقيمه اللغة العربية بين الحضور والغياب، ومن ثم اقترحت مفهوم "العبارة" بوصفها وحدة نحوية؛ ليعالج مشكلة التقديرات الافتراضية التي لا ترد في الاستعمال الفعلي للغة. مع اقتراح تفسيرات بديلة لبعض الأعاريب كإعراب النعت المقطوع.

- انتقدت الدراسة إفراط النحاة العرب في الاحتكام إلى المعايير الشكلية كالمطابقة والاسمية والمصدرية والحالة الإعرابية، حيث أفضى ذلك إلى وقوع التعارض أحيانا بين الإعراب والمعنى أو إلى إغفال أمر المعنى والوظيفة تماما أو إلى غياب الاتساق المنهجي عن تنظيرهم للعلاقة بين المعاني وتحقُّقاتها النحوية، ومن ثم اقترحت مفهوم "المحدِّد" ليتسع لما لا تتسع له بعض مقيِّدات الإسناد، ولعزو وظائف لأشباه الجمل التي يهمل التحليل النحوي العربي بيان وظيفتها.

- أعدت مخططا دلاليا للواقع مؤسسا على أبعاد نحوية ميَّزت من خلاله بين أنماط مختلفة للجملة البسيطة في العربية، وحددَّت سماتها النحوية والدلالية.

- قسّمت الجملة ومكوناتها تقسيمات دلالية جديدة، ولم تقتصر على التقسيمات النحوية كما فعل جمهور النحاة، من ذلك التمييز بين الأفعال الإيجادية والتغييرية في اللغة العربية، وربطه بالتفرقة بين نوعين من المفعول به، والاستعانة به في تفسير وقوع الحال لازمة وتنميطه.

- أثبتت الدراسة أن النحاة العرب لا يفرقون بين علاقتي التعيين والوصف بين المبتدأ وخبره؛ فحددت الفروق النحوية والدلالية بينهما، واستقصت العلاقات بين المبتدأ وخبره، وحددت أنواعها وسماتها.

- انتقدت الدراسة تناوُل هاليداي للعمليات المادية، حيث رأت أنه قد خلط بين المفاهيم الدلالية والنحوية لمصطلحي الفاعل والمفعول، واقترحت تقسيما بديلا. وحددت كثيرا من الطرائق النحوية التي قد تُستخدم في إخفاء الفاعل المنطقي عن النص.

وفي نهاية المطاف يرى الباحث أن هذه الدراسة ـ على ما بُذل فيها من جهد في الترجمة والمقارنة والتأصيل ـ لا تعدو كونها خطوة أولى نحو تأسيس نحو عربي وظيفي يضطلع بتحليل النصوص تحليلا علميا دقيقا ومفيدا، ومن المفترض أن تتبعها خطوات أخرى تستكمل الجانب النظري بدمج الإعاريب البديلة أو المقترحة في بنية الإطار النحوي التحليلي، وبدراسة الجملة المركبة والعلاقة بين النص وسياقاته، وخطوات تختبر مدى صلاحيته منهجًا لتحليل النصوص وتفسيرها بتطبيقه على نصوص من أنواع مختلفة.

مسرد المصطلحات

يضم هذا المسرد أهم المصطلحات الوظيفية التي وردت في الدراسة:

Acceptability	مقبولية
Accompaniment	مصاحبة
Actor	فاعل دلالي، فاعل في المعنى
Addition	إضافة (دلالية)
Adjunct	مُقيِّد (إسنادي)
Adverbial Group	مركب ظرفي
Adverbial Phrase	شبه جملة ظرفي
Agent	المُسبِّب
Angle	الوجهة
Antithesis	مقابلة (في البلاغة)
Antonym	تضاد، طباق
Aspect	جهة
Assigner	المُخصِّص
Attribute	النعت
Attributor	الواصف
Behalf	المنفعة
Beneficiary	المستفيد
Binary oppositions	تعارضات ثنائية
Bracketing	تقويس، استخدام الأقواس
Carrier	الموصوف

Causative	سببيّ
Certainty	يقين
Circumstantial Elements	المُحدِّدات
Class، Grammatical	قِسْم، نحوي
Classifier	مُصنِّف
Clause	جملة
Cline	مقياس متدرج
Cognate Object	مفعول مطلق (يشارك فعله اشتقاقيا)
Cognition	إدراك
Cohesion	سبك
Collocation	تصاحب لفظي
Colligation	تضام نحوي
Comitative	معية نحوية
Command	طلب
Communicative Dynamism	دينامية الاتصال- حركيّة التواصل
Comparison	مقارنة
Complement	متمِّم
Complexes	وحدات مركبة
Concession	تسليم (بأمر في مقابل آخر)
Condition	شرط
Context of Situation	سياق الموقف
Contingency	احتمال الوقوع

Continuum	سلسلة متدرجة
Constituency	التكوين
Constituent	مُكوِّن
Constituent Structure	التركيب المُكوِّن
Constituent Structure analysis	تحليل التركيب المُكوِّن
Contrast	تقابل، مقابلة
Contrastive Linguistics	اللسانيات التقابلية
Copular verb	فعل رابط
Creative Verb	فعل إيجادي
Default	الغياب
Deictic	إحاليّ، إشاري
Embedding	محتَضن، متضمن
Epithet	واصف (في المركب الاسمي)
Ergativity	مطاوعة
Exclamation	تعجب
Existent	موجود
Existential process	عملية وجودية
Experiential Metafunction	الوظيفة العليا التجريبية
Expletives	عبارات حشوية
Fact Clause	جملة تتصدرها "أنْ"
Finite verbal operator	العامل الفعلي المتصرف
Frequency	التكرار، الورود
Focus	بؤرة

Fronting	تصدير (تقديم إلى صدر الجملة)
Function	وظيفة
Functional Grammar	النحو الوظيفي
Functional Sentence perspective	المنظور الوظيفي للجملة
Given	معلوم
Goal	هدف، مفعول به في المعنى
Grammar	قواعد، نحو
Grammatical Subject	فاعل نحويّ
Grammaticality	الصحة النحوية
Group	مركب
Guise	هيئة
Head	رأس (نحوي أو دلالي)
Hierarchy	ترتيب هرمي، تراتبية
Ideational Metafunction	الوظيفة العليا الفكرية
Identified/Identifier	مُعيَّن/ مُعيِّن
Identifying Clause	جملة تعيينية
Immediate Constituent Analysis	تحليل المكونات المباشرة
Imperative	أمريّ، أمر
Information Unit	وحدة المعلومات
Initiator	المبتدئ
Instrument	أداة
Intensive	مُركَّز
Interpersonal Metafunction	الوظيفة العليا التواصلية (التبادلية)

Interrogative	استفهامي، أداة استفهام
Intonation	تنغيم
Labelling	التمييز ببطاقات
Lexicogrammar	النحو المعجمي
Lexical verb	فعل معجمي
Logical metafunction	الوظيفة العليا المنطقية
Logical Subject	فاعل منطقي، فاعل في المعنى
Major Clause	جملة كبرى
Manner	كيفية
Marked	موسوم (فرع)
Markedness	وسْم
Material Process	عملية مادية
Matter	(محدِّد) الموضوع
Meaning Potential	إمكان المعنى
Means	الوسيلة
Medium	الوسيط
Mental Process	عملية عقلية
Metafunctions	الوظائف العليا
Metalanguage	اللغة الشارحة
Minor clause	جملة صغرى
Modality	الموقفية
Mood	صيغة الجملة
Network of Systems	شبكة أنظمة

New	جديد
Nominal Group	مركب اسمي
Nominalization	تحويل اسمي
Paradigmatic Relations	علاقات استبدال
Participant	مشارِك
Patient	متأثِر، مفعول به في المعنى
Phenomenon	ظاهرة
Polarity	قطبية (الإثبات والنفي)
Possessive	للملكية
Prague School	حلقة براغ
Predicate	المسند
Predicated Theme	محدث عنه واقع مسندا
Preposing	تقديم
Prepositional phrase	شبه جملة جريّ
Probability	الاحتمال
Process	عملية: ١- المقابل الدلالي للفعل النحوي ٢- أو المقابل الدلالي للجملة كلها.
Product	ناتج
Proposition	الحكم
Purpose	غاية، غرض
Qualifier	مقيِّد لاحق (في المركب الاسمي)
Quality	وصف

Range	المدى
Rank	الرتبة
Rank Scale	مقياس الرتبة
Ranked Constituent Analysis	تحليل المكونات الرُّتْبيّة
Realizations (manifestations)	تحقُّقات، تجليات
Reason	سبب
Receiver	متسلم، متلقٍ
Register	نطاق الاستخدام اللغوي
Relational Process	عملية علاقية
Residue	البقية، الفضلة
Rheme	الحديث
Role	الدور
Sayer	القائل
Scale and Category Grammar	نحو المقياس والفصيلة
Scope	١- حيز، ٢- مجال
Senser	مُدرِك
Source	مصدر القول
Structure	تركيب
Subject	فاعل
Subject -prominent Language	لغة يتصدر جُملها الاسم عادةً
Syntagmatic Relations	علاقات التتابع التركيبي
Syntax	تركيب الجملة، بناء الجملة
System	نظام

Systemic Functional linguistics	علم اللغة النظامي الوظيفي
Systemic Grammar	النحو النظامي
Textual Metafunction	الوظيفة العليا النصية
Thematic Development	الإنماء الحديثي
Thematic Equative	المعادل الحديثي
Theme	محدث عنه
Thing	شيء
Topic-Comment	الموضوع- التعليق
Topical Theme	محدث عنه موضوعي
Transformative Verb	فعل تغييري
Transitivity	١- التعدية ٢- التمثيل
Unmarked	غير موسوم (أصل)
Verbal Group	مركب فعلي
Verbiage	المقول
Viewpoint	وجهة نظر
Vocative	منادى
Wording	صياغة

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية

أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي)

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٨م.

الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (~٤٧١هـ))

- الجمل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ١٩٧٢م.
- دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م.

ابن جني (أبو الفتح عثمان الموصلي (–٣٢٩هـ))

- الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
- اللمع في العربية، تحقيق سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي، عمان، ١٩٨٨م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- المنصف شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني البصري النحوي، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين. وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، ١٩٥٤م.

الرضي (رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (–٦٨٨هـ))

- شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.

- شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (–٣٤٠هـ))

- حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحمد، دار الأمل، الأردن، ط٢، ١٩٨٦م.

الأزهري (خالد بن عبد الله (–٩٠٥هـ))

- شرح التصريح على التوضيح، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن السرَّاج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي البغدادي (–٣١٦هـ))

- الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (–٦٢٦هـ))

- مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

السمين الحلبي (أحمد بن يوسف (– ٧٥٦هـ))

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.

السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (– ٥٨١هـ))

- نتائج الفكر في النَّحو، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر (–١٨٠هـ))

- الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (–٩١١هـ))

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

الشاطبي (إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (-٧٩٠هـ))

- الموافقات في أصول الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م. ج٤.

الصبان (أبو العرفان محمد بن علي)

- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة. د.ت.) و(دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.)

ابن عقيل (عبد الله بهاء الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (-٧٦٩هـ))

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، د.ت.
- المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م.

العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي (- ٦١٦هـ))

- اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥.

القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (-٧٣٩هـ))

- الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف)

- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢.

المالقي (أحمد بن عبد النور (-٧٠٢هـ))

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت.

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد (-٢٨٥هـ))

- المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م.

المُرادي (الحسن بن قاسم (-٧٤٩هـ))

- الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ)

- الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، د.ت.

ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد الأنصاري المصري(-٧٦١هـ))

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكوخ، إيران، ١٩٦٢م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م.

يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم **العلوي** (-٧٤٩هـ)

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تقديم: إبراهيم الخولي، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (-٦٤٣هـ))

- شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

ثانيا: المراجع العربية

إبراهيم أنيس

- من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٨، د. ت.

إبراهيم مصطفى

- إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (– ٦٠٦هـ))

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت،١٩٧٩م.

أحمد رشدي صالح

- الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

أحمد سعد محمد

- نظرية البلاغة العربية: دراسة في الأصول المعرفية، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

أحمد سليمان ياقوت

- في علم اللغة التقابلي: دراسة تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

أحمد المتوكل

- التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٠م.
- دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م.

- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠١م.
- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، دار الأمان، الرباط، ١٩٩٦ م.
- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٦م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.

أحمد محمد أحمد الحملاوي

- شذا العرف في فن الصرف، قدم له وعلق عليه: محمد عبد المعطي، دار الكيان، القاهرة، د.ت.

أحمد مختار عمر

- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٦م.

أنطوان الدحداح

- معجم قواعد اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٤، ١٩٨٩م

برجشتراسر

- التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

تمام حسان

- الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- الفكر اللغوي الجديد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط ١٩٩٤م.
- مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي (~٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ))

- أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط١، ١٩٩١م.

جميل عبد المجيد

- البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.

حسام قاسم

- تحويلات الطلب ومحددات الدلالة: مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- المحتوى الدلالي للوظائف النحوية: مدخل ميسر إلى قواعد اللغة العربية، نادي القضاة، القاهرة، ط٣، ٢٠١٣م.

حسن سعيد الكرمي

- المغني الأكبر الجديد، مكتبة لبنان، بيروت. ط ٢٠٠٧.

الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة (–٢١٥هـ))

- معاني القرآن، تحقيق: هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٠م.

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان)

- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ط ٢٠٠٦م، ج ٢.

رمزي منير البعلبكي

- معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن الرومي (أبو الحسن على بن العباس بن جريج)

- ديوان ابن الرومي، تحقيق: د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٣م.

الزَّبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق (– ١٢٠٥هـ))

- تاج العروس من جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، ٢٠٠١م.

الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله)

- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د.ت.

سعد عبد الرحيم

- مقدمة في علم الصرف، مكتبة الآداب، القاهرة. د.ت.

السيد أحمد الهاشمي

- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، حققه حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م.

شوقي ضيف

- تجديد النحو، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م

صبري إبراهيم السيد

- معجم مصطلحات العلوم اللغوية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (- ١٣٩٣هـ))

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

عاطف فاضل محمد

- النحو الوظيفي، دار المسيرة، الأردن، ط٢، ٢٠١٣م.

عباس حسن

- النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة. ط١٥، ٢٠٠٨م.

عبد الحكيم راضي

- نصوص بلاغية من مباحث المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- نظرية اللغة في النقد العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

عبد الرحمن محمد أيوب

- دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت.

عبد السلام المسدي

- التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م.

عبد العليم إبراهيم

- النحو الوظيفى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٦م.

عبد الفتاح لاشين

- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠م.

عبد المتعال الصعيدي

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م.

ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(~٣٩٥هـ))

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

فاضل صالح السامرائي

- معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٠م.

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ))

- معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت ط٣، ١٩٨٣م.

كمال بشر

- فن الكلام، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

محمد أحمد خضير

- التركيب والدلالة والسياق، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م.

محمد حسن باكلا وآخرون

- معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.

محمد حسن عبد العزيز

- العربية الفصحى المعاصرة: قضايا ومشكلات، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.
- علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

محمد حماسة عبد اللطيف

- بناء الجملة العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي–الدلالي، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

محمد العبد

- العبارة والإشارة: دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.
- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٠م.
- النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٥م. ص٢٥٤.

محمد عبد العزيز عبد الدايم

- النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٦م.

محمد على الخولى

- معجم علم اللغة النظرى، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

محمد عناني

- نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، أبو الهول للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.

محمود أحمد نحلة

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م.
- علم اللغة النظامي: مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

محمود فهمي حجازي

- البحث اللغوي، مكتبة غريب، القاهرة، د. ت.
- علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة، دار غريب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.
- مدخل إلى علم اللغة: المجالات والاتجاهات، ط٤، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

مصطفى ناصف

- اللغة بين البلاغة والأسلوبية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٩م.

ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد المصري (– ٧١١هـ))

- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

منير البعلبكي ورمزي منير البعلبكي

- المورد الحديث، دار العلم للملايين، لبنان. ط ٢٠١٠.

مهدي المخزومي

- في النحو العربي: نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

النَّحَّاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (– ٣٣٨هـ))

- إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م.

النووي (أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (– ٦٧٦هـ))

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

ثالثا: المراجع المترجمة

برونوين ماتن، وفليزيتاس رينجهام

- معجم مصطلحات السميوطيقا، ترجمة عابد خزندار، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م.

جاك سي. ريتشاردز، وجون بلات، وهايدي بلات، وسي. إن. كاندلين

- معجم لونجمان لتعليم اللغات وعلم اللغة التطبيقي، ترجمة: محمود فهمي حجازي ورشدي طعيمة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٧م.

جفري سامسون

- مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، ١٩٩٧م.

دومينيك مانغونو

- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ٢٠٠٨م.

فندريس، ج.

- اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت.

ماريو باي

- أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٩، ٢٠١٠م.

ميشيل ماكارثي

- قضايا في علم اللغة التطبيقي، ترجمة: عبد الجواد توفيق محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.

ميلكا إفيتش

- اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

نورمان فيركلوف

- تحليل الخطاب: البحث النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، مراجعة نجوى نصر ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م.

هنري فليش

- العربية الفصحى: دراسة في البناء اللغوي، تعريب وتحقيق وتقديم: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.

رابعا: الدوريات العربية

على الجارم

- الجملة الفعلية أساس التعبير فى اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، الجزء السابع، ١٩٥٣م.

مصطفى ناصف

- النحو والشعر : قراءة في دلائل الإعجاز ، فصول مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الأول، العدد الثالث، أبريل ١٩٨١م.

يحيى أحمد

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر (ربع سنوية)، وزارة الإعلام بالكويت، المجلد العشرون، العدد الثالث أكتوبر ١٩٨٩م، ص٦٩-٩٩.
- المعنى بين الاتجاه التجريدي والاتجاه الوظيفي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، المجلد الرابع، ١٩٨٤م.

Fifth: References

Baker، M. (1992). *In other words: A coursebook on translation*. London and New York: Routledge.

Berry، M. (1975). *An introduction to systemic linguistics: structures and systems*. London: B.T. Batsford Ltd.

Bloor، T. and Bloor، M. (2004). *The functional analysis of English: A Hallidayan approach*. 2nd ed. London: Hodder Arnold.

Caffarel، A. (2006) *A systemic functional grammar of French: From grammar to discourse*. London & New York: Continuum.

Crystal، D. (2008). *A dictionary of linguistics and phonetics*. 6th ed. USA، UK & Australia: Blackwell Publishing.

Eggins، S. (2011). *An introduction to functional linguistics*. 2nd edition. London: Continuum.

Fairclough، N. (1989). *Language and power*. New York: Longman.

Firbas، J. (1992). *Functional sentence perspective in written and spoken communication*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ghadessy، M.(ed.). (1999). *Text and context in functional linguistics*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

Halliday، M. A. K. (1970). *A course in spoken English: Intonation.* London: Oxford university press.

Halliday، M. A. K. (1973). *Explorations in the functions of language*. (in Explorations in Language Study)، London: Edward Arnold.

Halliday، M. A. K. (1975). *Learning how to mean: Explorations in development of language*. (In Explorations in Language Study) ، London: Edward Arnold.

Halliday، M. A. K. (1978). *Language as social semiotic: The social interpretation of language and meaning.* U.S.A. University Park Press.

Halliday، M. A. K. (1994). *An introduction to functional grammar*. (2nd ed.). London: Edward Arnold.

Halliday، M. A. K. (2002a). *On grammar*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday، Vol. 1. Edited by Jonathan J. Webster)، London & New York: Continuum.

Halliday، M. A. K. (2002b). *Linguistic Studies of Text and Discourse*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday، Vol. 2. Edited by Jonathan J. Webster)، London & New York: Continuum.

Halliday، M. A. K. (2003). *On language and linguistics*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday، Vol. 3. Edited by Jonathan J. Webster)، London & New York: Continuum.

Halliday، M. A. K. (2007). *Language and Society*. (In Collected Works of M. A. K. Halliday، Vol. 10. Edited by Jonathan J. Webster)، London & New York: Continuum.

Halliday، M. A. K. (2009). Methods- techniques- problems. In Halliday، M. A. K.، & Webster، J. J. (eds.)، *Continuum companion to systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum.

Halliday، M. A. K and Greaves، W. S. (2008). *Intonation in the grammar of English*. London & Oakville: Equinox.

Halliday، M. A. K. & Hasan، R. (1976). *Cohesion in English.* London: Longman.

Halliday، M. A. K. & Hasan، R. (1989). *Language، context and text: Aspect of language in social- semiotic perspective.* (2nd ed.). Oxford: Oxford University Press.

Halliday، M. A. K. and Martin، J. R. (2004). Writing science: Literacy and Discursive Power. London: Routledge.

Halliday، M. A. K.، & Matthiessen، C. M. I. M. (2004). *An introduction to functional grammar*. (3rd ed.). London: Hodder Education.

Halliday، M. A. K. and Matthiessen، C. M. I. M. (2006). *Construing Experience Through Meaning: A Language- based Approach to Cognition*. London: Continuum.

Halliday، M. A. K.، & Webster، J. J. (eds.). (2009). *Continuum companion to systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum.

Kamel، S. (1997). Implications of information structure in Al-Jurjani's theory of Nazm. In *Proceedings of the fourth international symposium on comparative literature.* Cairo: The Department of English Language and Literature. pp. 661-694**.**

Lavid، J.، Arus، J.، & Zamorano-Mansilla، J. R. (2010). *Systemic functional grammar of Spanish: A contrastive study with English*. London and New York: Continuum.

Malmkjaer، K. (ed.) (2006). *The Linguistics Encyclopedia*. London and New York: Routledge.

Matthiessen، C. M. I. M.، Teruya، K.، & Lam، M. (2010). *Key terms in systemic functional linguistics*. London and New York: Continuum.

Thompson، G. (2004). *Introducing functional grammar*. 2nd edition. London: Arnold.